الباب الأول

الدول التى نشأت عقب الحرب العالمية الأولى

المملكة العربية السعودية

المملكة العربية السعودية دولة تقع في جنوب غرب آسيا، وتشكل الجزء الأكبر من شبه الجزيرة العربية. تبلغ مساحتها حوالي ٢,١٤٩,٦٩٠ كم مربع.تحدها من الشمال العراق والأردن، وتحدها الكويت من الشمال الشرقي، ومن الشرق تحدها كل من قطر والإمارات العربية المتحدة والبحرين. ومن الجنوب تحدها اليمن، وسلطنة عمان من الجنوب الشرقي، كما يحدها البحر الأحمر من جهة الغرب. عدد السكان٢٩,٩٩٤,٢٧٢ نسمة، طبقاً لتعداد ٢٠١٣،نصفهم تقريبا من الوافدين. وكل من يحمل الجنسية السعودية ديانته الإسلام. ولاتوجد إحصائيات رسمية بشأن الديموجرافيا الدينية، وبحسب وسائل إعلام عالمية وتقديرات متباينة،فإن الشيعة يشكلون مابين٢٠ – ٣٥٪ من تعداد السكان الذين يحملون الجنسية السعودية.

التكوين

شرع عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل آل سعود فى أوائل القرن العشرين، فى استعادة ملك أجداده بإقليم نجد بشرق الجزيرة العربية. وبدأ مشروعة بتجديد التحالف بين الجيل المتبقى من أسرة آل سعود وأبناء آل الشيخ "أصحاب الدعوة الدينية السلفية المتطرفة المسماة بالوهابية". وكانت

الدولة السعودية الأولى قد اقيمت عام ١٧٧٤، وسقطت عام ١٨١٨، بعد تدمير عاصمتها الدرعية، على يد المصريين بقيادة إبراهيم باشا. وقد أقيمت الدولة السعودية الثانية عام١٨٢٤، على يد تركى بن عبد الله بن سعود، وجعل عاصمتها الرياض.وسقطت على يد والى العثمانيين على حائل محمد بن عبدالله بن رشيد،بعد استيلائه على نجد بالكامل عام ١٨٩١.(وكان يطلق حينها على رأس آل سعود شيخ قبائل نجد أو شيخ مشايخ نجد، وإن كان الإخباريون والكتاب العرب المعاصروناعتادوا على استخدام مسمى الدولة الأولى والدولة الثانية على سيطرة آل سعود على القبائل بنطاق موطنهم بالدرعية بمنطقة نجد، على الرغم من أنها لم تكن تتعدى حدود السيطرة القبلية، في وقت لم تكن هناك "دولة " بالمعنى الحقيقيسوى الدولة العثمانية).بعد استيلاء ابن رشيد على نجد،هرب عبد الرحمن بن فيصل آل سعود وابنه عبد العزيزإلى الكويت عام ١٨٩١. وهناك استضافه حاكمها مبارك الصباح، فأكرمه وبقايا أسرته. ولما كان مبارك الصباح وقتها على ارتباط مع تركيا، في الوقت الذي كان فيه يغازل الإنجليز، فقد قام بجمع عبد الرحمن آل سعود وابنه عبد العزيز بالقائم مقام التركي، وأجرت له تركيا مبلغ ٧٠ روبية.أي ما يعادل أربعة دنانير كويتية،كمرتبلعبد الرحمن وشقيقه محمد وابنه عبد العزيز، وبقية أفراد العائلة المكونة آنذاك من ١٥ من الرجال والأطفال والنساء وخمسة من

الخدم. كما أعانهم مبارك الصباح بالأرز والتمر والكساء، وأهداهم ثلاثة من الحمير للتنقل عليها. وقد بدأ عبد العزيز بن عبد الرحمن بن سعود البالغ من العمر ٢١ سنة، بغزو الرياض عاصمة إقليم نجد بقوة مكونة من ٦٠ رجلاً، وقام بالاستيلاء عليها فى يناير من عام ١٩٠٢. وانطلق من الرياض لتوسيع ملكه وغزو المناطق والبلدان المجاورة، واستولى على جنوبي نجد فى نفس العام، ثم الشعيب والمحمل والوشم وسدير عام ١٩٠٣، وشمّر والعجمان وعتيبة ومطير والقصيم ١٩٠٤.

التوسع

تمكن آل سعود من إقناع مبارك الصباح بالتعاون معهمً لغزو حائل والجوف وباقى نجد والإحساء وضمها إلى الكويت. فوجد مبارك الصباح في فكرة الغزو والضم ما يرضي طموحاته. وبدأوا فى تجنيد المقاتلين من أبناء القبائل الموالية لمبارك الصباح، وتم تدريبهم بقيادة الوهابيين من أبناء الشيخ المعممين مطلقى اللحى لابسي السراويل. وشكلوا منهم جيشاً سمي"جيش الإخوان"، والاسم لاعلاقة له باسم جماعة الاخوان المسلمين المصرية.

واتصلوا بمكتب المخابرات البريطانية المعروف باسم المكتب الهندى، الذى يديره السيرة برسي زكريا كوكس، الذيرأى في عبد العزيز وليس في

والده العجوز عبد الرحمن،المواصفات المؤهلة للعب أي دور يريده الإنجليز، مقابل إقطاع آل سعود جزءاً من جزيرة العرب. فقاموا بتوجيهه وتدريبه على أيدي خبراء مكتب المخابرات البريطانية،ومنهم: مسز بيل (تردد أن ابن سعود قد تزوجها) والكابتن ديفيد شكسبير، الذي قاد جيش "الإخوان" فى مواجهة مع متعب آل رشيد، وقُتل في معركة جراب في نجد، وحل محله جون فيلبي (وسنتناول العلاقة بينهما بالتفصيل فى سياق آخر). وتم تشكيل مجلس برئاسة فيلبى، سمى بمجلس الوكلاء، تكون من أشخاص من كافة البلدان العربية، ضم من كل قطر شخصا أو أكثر، ممن كانت لهم خبرة في بلادهم في فنون السياسة والأحزاب والتخطيط، ومنهم: حافظ وهبة من مصر، والدكتور عبد الله الدملوجي من العراق، ومهدي بك، وهويهودي من العراق،الذي تولى شؤون الأمن السعودي، فقطع عشرات الآلاف من أيدي الأبرياء وأرجلهم ورؤوسهم. وكذلك يوسف يس وفؤاد حمزة من سوريا، وحسين العويني من لبنان. وتم تنظيم القبائل، فجعل لكل قبيلة مجموعة منها، أطلقوا عليهم إسم "هيئة المشايخ"، يرأسهم مفتي، وتجمعهم مناطق معينة، أطلقوا عليها اسم "الهِجَر" (جمع هجرة). ويرتبط هؤلاء جميعاً بمشايخ للدين من الحضر، ويرتبط المشايخ بدعاة الوهابية المعروفين بإسم (آل الشيخ).وتم تشكيل هيئة في كل مدينة وقبيلة وقرية سميت باسم كبار الجماعة. ولم يكن لهذة التنظيمات إلا هدف واحد

هو توسيع حكم آل سعود. ولم يكتشف مبارك الصباح الهدف الحقيقى لهذا الحلف مع ابن سعود، إلا حين قامت المخابرات البريطانية بترسيم الحدود طبقا لحدود سيطرة الجيوش على الأرض. وقد قام السير برسي كوكس باقتطاع أجزاء كبيرة من الكويت، ومنحها لعبد العزيز آل سعود. مما جعل مبارك الصباح يبكي أمام السير كوكس، أثناء ما كان يقتطع أجزاء من أرض الكويت بالخط الأحمر على الخريطة، بحضور عبد العزيز آل سعود، الذي بكى هو الآخر مطالباً بضم الكويت كلها لأملاكه (كتاب الكويت وجاراتها للمندوب السامي إتش. آر. بي. ديكسن). ووقع الإنجليز معاهدة صداقة مع عبد العزيز، عرفت بمعاهدة دارين في ٢٦ نوفمبر ١٩١٥،بحضور النقيب ويليام هنري شكسبير. وجاء في المعاهدة: "يتعهد ابن سعود كما تعهد آباؤه من قبل،بأن يتحاشى الاعتداء على الكويت والبحرين ومشايخ قطر وسواحل عُمان، المشمولة بحماية الحكومة البريطانية، ولها صلاحيات عهدية مع الحكومة البريطانية، وألا يتدخل في شؤونها، وتحدد حدود هذه الاقطار فيما بعد. كما تتعهد بريطانيا بحماية عبد العزيز آل سعود داخلياً وخارجياً، وإمداده بما يحتاج إليه ضد أعداء بريطانيا وابن سعود". وأعتبرت نجد محمية بريطانية بموجب هذه المعاهدة.وبدأ الماليتدفق على ابن سعود مصحوباً بالسلاح والعتاد والخبراء والمستشارين من رجال المخابرات البريطانيين، الذين رأوا في نجاح حركته

حلاً نموذجياً لتجميع الكيانات المتناثرة والقبائل المتنازعة فى الجزيرة العربية فى كيان سياسى كبير تحت سلطة واحدة يسهل التعامل معها. واستخدم ابن سعود التنظيمات القبلية التى استحدثها، وكذلك الدعوة الوهابية بكفاءة عالية، فى التمهيد للغزو بقيام أولاد الشيخ وأتباعهم من "الأخوان"، بنشر الدعوة بين أبناء القبائل المزمع غزوها. وقد سيطرت الأفكار الوهابية على أفئدة وألباب أبناء القبائل، وتشكلت لديهم عقيدة دينية جهادية، تستهدف إقامة دولة إسلامية كبرى.مما أتاح لرسل ابن سعود استمالة قادتها، وكسب ولائهم باستخدام سيف المعز وذهبه الذى تدفق بعد معاهدة دارين. وقد وظف ابن سعود هذه العناصر والظروف المواتية بمنتهى الحنكة والبراعة، وتملكه طموح لاحدود لهلغزو أى أراض تطالها يداه، بما في ذلك ابتلاع الكويت. وبدأ بالتحرش بسالم الصباح أمير الكويت الجديد، الذى أدرك بدوره أن الحرب بينه وبين عبد العزيز آل سعود واقعة لا محالة. فشرع بإحاطة الكويت بسور ارتفاعه أربعة أمتار وله أربع بوابات في جهات الكويت الأربع، وبدأ سكان الكويت فى ٦/١٤/ ١٩٢٠ ببناء السور، فتم بناؤه في مدة قصيرة،اشترك فيه كل الشعب، واضعين ثقوبا للبنادق في جدران السور لمقاومة العدوان السعودي القادم.وأخذوا ينشدون الأناشيد و"العرضة"، التي تكشف قلة مروءة آل سعود، الذين آواهم الكويت وأطعمهم ونصرهم، ثم ردوا له الجميل بالنكران

والعدوان. وقد جاء فى رسالة بعثها ابن سعود لسالم الصباح: "... أما ماكان لآبائك وأجدادك من حق على آبائي وأجدادي، فإني معترف به. وحينما يتقابل آبائي وأجدادي مع آبائك وأجدادك في الآخرة، سيأخذ كل منهم حقه بنفسه". ومن جهة ثانية قام سالم الصباح بالشكوى إلى مستر مور المعتمد البريطاني في الكويت، ضد أعمال عبد العزيز آل سعود. وبعد الرجوع الى القيادة العليا بالمكتب الهندي، أكدوا له أن الحكومة البريطانية جادة في تثبيت الحدود بين الكويت ونجد، فى إطار تحسين علاقات الصباح مع عبد العزيز آل سعود برعاية بريطانية. وتدخلوا بالفعل، مما أنقذ الكويت من أن تصبح إحدى محافظات المملكة. وتمكن عبد العزيزبن سعود منتخليص نجد والإحساء والقطيف وحائل بشرق ووسط الجزيرة العربية من الحاميات العثمانية والتخلص من مناوئيه، وعلى رأسهم الخصوم التاريخيين، محمد بن طلال آل رشيد وابنه من بعده، الذين كانوا يحكمون باسم العثمانيين. ودانت له كل هذه المناطق نهائياً، باستيلائه على حائل عام ١٩٢٢.

الاستيلاء على الحجاز

وأخذ ابن سعود يعد العدة مبكراً، للقضاء على غريمه الرئيسى حسين بن على الهاشمي شريف مكة سليل الأسرة الهاشمية، الغريم التاريخي للسعوديين والوهابيين، وللفوز بالجائزة الكبرى، ألا وهى إقليم الحجاز، الذى أعلنه الشريف حسين الهاشمى مملكة، ونصب نفسه عليها ملكاً وخليفة للمسلمين عام ١٩١٦. واستغرقت هذه المهمة من ابن سعود وقتاً طويلاً، وكثيراًمن الخدع والمكائد، نظراً للمكانة الروحية والتأييد الذى كان يتمتع بهما الشريف حسين، وكذلك لصداقته الوثيقة مع البريطانيين. وكانت المعركة الأولى فى موقعة تربة بالطائف فى ٢١ مايو ١٩١٩،عندما تقدم عبد الله بن الشريف حسين ودخل تربة، وهي على مقربة من الخرمة من أملاك السعوديين. فانتهز ابن سعود الفرصة، وأرسل قوة على رأسها سلطان الدين بن بجاد، لمساعدة خالد بن لؤي أمير الخرمة. وفوجئ عبد الله بن الحسين بغارة "الإخوان" (وهو الإسم الذى كان يطلق على الوهابيين) المباغتة قبيل الفجر، يتقدمهم سلطان بن بجاد، فكانت واقعة تربة فجر ٢٥ مايو ١٩١٩، والتى كانت أشبه بمذبحة، نجا منها عبد الله بن الحسين بصعوبة، مع قليل ممن استطاعوا الفرار.وقُتل في هذه المعركة قرابة سبعة آلاف شخص، مابين مدنيين وعسكريين من الحجازيين، على يد القوات السعودية التي خسرت أربعمائة شخص.

فى يونيه ١٩٢٤ بعد أخذ ضوء أخضر من البريطانيين، عقد ابن سعود مؤتمراً في الرياض، حضره علماء نجد ورؤساء القبائل ومجالس القرى

والمدن وزعماء "الإخوان". وحصل عبد العزيز في هذا المؤتمر على فتوى شرعية، لشن الحرب على الشريف بحجة ضمان حرية أداء فريضة الحج. فصدر عن مؤتمر الرياض قرار بغزو الحجاز. ووصلت الأوامر إلى قوات "الإخوان" المتمركزة في تربة والخرمة بالاستعداد، كما وصلت الأوامر إلى قائدها سلطان بن بجاد بالتحرك نحو الطائف. كانت طلائع الإخوان المتلهفه للقتال على مشارف الطائف، بقيادة سلطان بن بجاد، ومعه ثلاثة الآف مقاتل جميعهم من الإخوان،فكانت معركة الهدى الشهيرة. حيث تقدم ٢٠٠٠ مقاتل من الإخوان، وهاجموا قوات علي بن حسين، واستطاع علي صدهم أكثر من مرة. تقدمت بعدها قوات سلطان بن بجاد، وهجموا على جنود علي هجوما عنيفاً،استطاعوا به أن يزعزعوا الجيش الحجازي. وضعفت معنويات الجنود، ولم يترك الإخوان لهم الفرصه لجمع شملهم، وأغاروا عليهم فاضطروا للانسحاب من الطائف،وبعدها كان الطريق سالكاً إلى مكة. وفي يوم ٢٧ أكتوبر عام ١٩٢٤ دخل الإخوان مكة بأسلحتهم ملبين محرمين بعمرة. وأرسل قائدا الإخوان، سلطان بن بجاد وخالد بن لؤي رسائل إلى معتمدي الدول وقناصلها في جدة، يخبرونهم باحتلالهم لمكة، ويستفسرون عن موقفهم تجاه الحرب. فتلقوا رداً من قنصل المملكة المتحدة وقنصل مملكة إيطاليا ووكيل قنصل فرنسا ونائب قنصل هولندا ووكيل قنصل الشاه، يعلمون ابن بجاد بوقوفهم على الحياد التام إزاء الحرب. وفي ١٥ يناير١٩٢٥ وصل الملك عبد العزيز إلى مكة قادماً من الرياض فدخلها محرماً، وأتاه أهل مكة مبايعين. وتقدم جنود الإخوان ومن كان مع

الملك عبد العزيز وحاصروا جدة. وفي ٢١ ديسمبر ١٩٢٥ استسلمت جدة بعد حصار طويل دام لمدة سنة كاملة.

التخلص من الإخوان (الجيش الوهابى)

بعد إنتهاء الحرب الحجازية ورجوع الإخوان إلى نجد بنشوة النصر، أرادوا استكمال الفتوحات في العراق. فى حين أن مستشارالملك عبد العزيز، عالم الآثار رجل المخابرات الإنجليزيةٌ فيلبي، أقنعه بأن تسامح الإنجليزمع عدم التزامه بما تم الاتفاق عليه بشأن حدود المملكة واستيلائه على الحجاز وبعض الإمارات الخاضعة للنفوذ البريطانى لن يتكرر، فى حالة تقدمه شمالاً نحوالعراق والشام، لأن مقتضيات الموازين الدولية فى هذا الوقت تحتم على الإنجليزعدم التعدى على نفوذ فرنسا فى الشام. وكذلك لأن مصالح إنجلترا الإستراتيجية تقتضى عدم تجاوز الملك الحدود الجنوبية لدولة العراق، التى تم إنشاؤها ضمن الحزام الجنوبي، المزمع إقامته جنوب الإتحاد السوفييتى، العدو الجديد الذى تشكل حديثاً. مما دفع الملك عبد العزيز آل سعود للتصدي للإخوان.ولماكانوا ينظرون إلى غزواتهم في العراق على أنها جهاد،التقى كل من فيصل الدويشوسلطان بن بجاد شيخ قبيلة مطير وزعيم حركة الإخوان وأمير بلدة الأرطاوية، وكان الأثنان قد شاركا في الكثير من معارك تأسيس المملكة العربية السعودية بجانب الملك عبدالعزيز، وقادا الكثير منها. التقى فيصل الدويش وسلطان بن بجاد وضيدان بن حثلين من قيادات الإخوان، واجتمعوا في بلدة الأرطاوية في

١٩٢٦، حيث تعاهدوا على نصرة دين الله، ومواصلة الجهاد في أرض العراق. وبدأ الصراع الأزلى بين الثورة والدولة، بين العقيدة والسياسة، بين المطلق والنسبى. وخاض الإخوان بقيادة فيصل الدويش وسلطان بن بجاد ضد عبد العزيز آل سعودالعديد من المعارك الطاحنة على مدى أربع سنوات، مابين كر وفر.اتسعت فيها دعوتهم، وازدادت قوتهم، وضموا إلى صفوفهم الكثير من القبائل. إلا أن تعديهم على الحدود العراقية والكويتية والقوافل وطرق التجارة، جعلهم فى مواجهة مع الإنجليز.مما إضطرهم فى النهاية إلى الدخول فى مفاوضات مع السلطات البريطانية، إنتهت باستسلام غير مشروط.وسلم قادة الإخوان بالجهراء أنفسهم في ١٠ يناير ١٩٣٠، إلى قائد السلاح الجوي الملكي البريطاني، وهم كل من فيصل الدويش ونايف بن حثلين وجاسر بن صاهود بن لامي ونقلوا إلى البصرة.

وفي ٢٥ يناير، وبعد لقاء حضره كل من المعتمد البريطاني في الخليج وقائد سلاح الجو البريطاني بممثلين عن الملك عبد العزيز آل سعود، وافقت بريطانيا على تسليم كل من فيصل الدويش ونايف بن حثلين وبن لامي، على شرط الإبقاء على حياتهم. وفى رسالة من السجن، أرسلها فيصل الدويش للملك عبد العزيز، يقول له فيها: "إنك يا عبد العزيز ترفض مقابلتي وأنا مقيد اليدين والقدمين. فهل تخاف مني حتى وأنا في هذه الحالة المزرية، بينما لا تخاف من الله الذي لابد أن نتقابل لديه، وما دام أن هذا ظلمك مع أناس لهم الفضل عليك وأوصلوك إلى الملك العضوض وندموا، كيف لا يكون ظلمك أشد مع أناس أصبحت تملكهم وليس لهم

فضل عليك؟... هذا العمل لا يعمله، يا عبد العزيز، مسلم ولا عربي، بل هو من أعمال اليهود، الذين أوصلوك وأنت منهم. وهذا ما كان يتهمك فيه خصومك يوم أن كنا قادتك، وكنا نحاول التشكيك في صحته. إنّما الآن تأكد لنا أصلك اليهودي، وأكده لنا أكثر دفاع الإنجليز معك وعنك، وتسخيرهم لكافة قواتهم الجوية والبرية والبحرية. إننا الآن لا نطلب منك أيها الظالم اليهودي عفواً، وإنما نطلب منك الإسراع بقتلنا السريع. لأننا نموت كل يوم بعدد الساعات والدقائق، فلا تعزّرنا أيها الظالم، لكيلا نبقى في حياة أنت فيها. وثق أنه سيأتي اليوم الذي تتوحد فيه قبائلنا كلها، سواء من قاتل معك أو قاتل ضدك، لتأخذ منك ومن ذريتك بالثأر لنا ولغيرنا".

أعلنت المملكه عام ١٩٣٢ تحت اسمها الجديد"المملكة العربية السعودية"، رافعة رايات الوهابية،وهو علم المملكة الحالي، ذو المصحف والسيفين وعبارة التوحيد، أساس شرعية الغزو وولاء القبائل. وتطورت ألقاب بن سعود، متمشية مع توسع ممتلكاته. فقد لقب الملك إضافة إلى لقب الإمام بعدد من الألقاب المتتالية. هي: أمير نجد ورئيس عشائرها ١٩٠٢. سلطان نجد وملحقاتها ١٩٢٠. ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها ١٩٢٦. ملك الحجاز ونجد وملحقاتها ١٩٢٧. ثم ملك المملكة العربية السعودية ١٩٣٢. وواصل عبد العزيز توسيع حدود المملكة، ولم يكف عن ضم المناطق غير المتعاهدة مع بريطانيا (والمتعاهدة أحياناً)، وخاصة فى إتجاه الجنوب والغرب.

حيث أن الإمام يحيى حميد الدين المتوكل إمام الزيدية في اليمن، أراد لدى خروج الأتراك عام ١٩١٨ توسيع نفوذه، ليشمل كامل اليمن، ويعيد إحياء ملك أجداده القاسميين. ولم يعترف بالمعاهدة الأنجلو عثمانية بترسيم الحدود التي قسمت اليمن لشمال وجنوبعام ١٩١٥. وأعلن نفسه ملكاً على اليمن، عقب سقوط الدولة العثمانية،وأقام المملكة المتوكلية اليمنية. ولم يكن مرتبطاً بمعاهدة صداقة مع الإنجليز. وهاجم عسير وضم بلاد قحطان ونجران والحديدة، التي كانت تحت حكم ابن عائض في عسير. كما هاجم جازان التى كانت تحت حكم الحسن الإدريسي. وكان الأدارسة قد وقعواعلى معاهدة مع الإنجليز لقتال الأتراك، وفي المقابل تضمن لهم استقلالهم فور انتهاء الحرب العالمية الأولى. مما اضطر حسن آل عائض حاكم عسير والحسن الإدريسي حاكم جازان للتحالف مع ابن سعود. وبعد استتباب السلام شعر آل عائض في عسيرونجران والأدارسة في جازان، أن تدخل بن سعود في إماراتهم يتزايد، بعد إعلان قيام المملكة العربية السعودية رسمياً في ٢٣ سبتمبر ١٩٣٢. فالتحق الأدارسة بالإمام يحيى في اليمن ملك المملكة المتوكلية في نوفمبر ١٩٣٣، وقامت الحرب السعودية اليمنية في ١٩٣٤، بين الإمارة الإدريسية في جازان المؤيدة من المملكة المتوكلية وبين سعود، وانتهت الحرب بتوقيع معاهدة الطائف عام ١٩٣٤، والاتفاق على ضم جازان تحت الحماية السعودية، بعد وفاة الحسن الإدريسي. وبالنسبة لإمارة آل عائض في عسير ونجران، فقد انتهت بعد عدة معارك وقعت بين آل سعود وآل عائض، تارة بقيادة

عبدالعزيز بن مساعد بن جلوي قائد الجيش السعودي، وتارةً أخرى بقيادة فيصل بن عبدالعزيز آل سعود،الذي أنهى الصراع لصالحه في موقعة حجلا، وهزم قوات آل عائض، وبها ضم عسير بعاصمتها أبها، رغم قواتها وحصونها المنيعة، إلى الدولة السعودية. وقاد فيصل أغلب هذه الغزوات، بقدركبير من الدهاء والمناورة، سواء فى ميادين القتال، أو فى المفاوضات مع دول وإمارات الجوار.

وحددت معاهدة الطائف حدود ماعرف بشمال اليمن، بين بن سعود والإمام والإنجليز، ونصت على ضرورة تجديدها كل عشرين سنة. ولم تلغ وتعتمد الحدود نهائياً، إلا في ١٣ يوليو عام ٢٠٠٠. وقد أسفرت اتفاقية الطائف عن الاعتراف بالحدود الجديدة للمملكةواعتبارها الحدود النهائية. والتزمت المملكة بالكف عن غزو جيرانها، وحصلت إثر توقيع الاتفاقية، على إمدادات المال والسلاح والعتاد من بريطانيا، مكافأة لها على التزامها ودعما لدورها السلمى الجديد.

مهندس المملكة : جون فيلبى (الشيخ عبد الله)

يصعب فهم كيفية نشأة وتطور المملكة العربية السعودية، دون إلقاء الضوء على دور جون فيلبي، الذى يعده المؤرخون والمتابعون مهندس إنشاء المملكة وإكسابها ملامحها الحالية. وقد بدأ ظهوره في آخر عام ١٩١٥ عندما قام سيرپرسي كوكس، كبير الضباط السياسيين في قوة تجريدة

الرافدين في الجيش البريطاني، بتجنيد فيلبي كوزير التمويل (الخزانة) في إدارة الإحتلال البريطاني في بغداد. هدف الإدارة كان يتكون من مهمتين، أولاهما تنظيم الثورة العربية ضد العثمانيين، والثانية حماية آبار النفط بالقرب من البصرة وشط العرب. وكانت الثورة العربية قد قامت بناء على وعد من بريطانيا، بإنشاء دولة عربية موحدة أو اتحاد عربي، من حلب إلى عدن. وقد كلفت جِرترود بِيل "مس بيل" من المخابرات الحربية البريطانية، بتدريبه على فنون التجسس المتقدمة. وفي نوفمبر ١٩١٧، بدأت علاقته بعبد العزيز بن سعود، عندما أُرسل إلى قلب الجزيرة العربية، على رأس بعثة إلى ابن سعود، شيخ القبيلة الوهابي، والعدو اللدود للشريف حسين، حيث كان كثير الإغارة على الحاكم الهاشمي للحجاز، الذي كان يقود الثورة العربية التي اندلعت في يونيو من العام السابق. كانت السلطات البريطانية قلقة جداً بسبب المنافسة القديمة القائمة بين شريف مكة وبين ابن سعود حاكم نجد. وحاولت قدر الإمكان منع تلك الخلافات من أن تبدد جهود الاشتراك في الحرب ضد الأتراك، وحاولت في نفس الوقت جلب حاكم نجد إلى جانب الحلفاء. وصل فيلبي إلى العقير قرب البحرين، وفي أول توقف له أثناء رحلته، طالبه مضيفوه بارتداء الزي المحلي، لتسهيل عملية تنقله في تلك الأرض، التي لا يرحب أهلها بوجود "نصراني" بينهم. وبعد رحلة دامت سبعة أيام على جمل، وصل فيلبي إلى الرياض، وقابل

هناك ولأول مرة ، عبد العزيز بن عبد الرحمن بن سعود، وعاش في قصره المبني من اللبن في الرياض، وفي الصحراء عاش في خيمة. قامت صداقة بين فيلبي وابن سعود، الذي أصبح يدعوه باستمرار إلى مجالسه العائلية مع أولاده. فنراه يلعب ويمزح مع الأمراء الشباب. وكان من أحد جلساء الملك، الذين يحضرون مجلسه الخاص. فيلبي في المقابل أصبح يفضل ابن سعود على الشريف حسين كـ"ملك للعرب".

كانت الخطة الأساسية أن يتزامن وصول بعثة فيلبي إلى الرياض، مع وصول بعثة قادمة من القاهرة عن طريق جدة. ولم تجد تلك الخطة طريقها إلى النجاح، حيث إن شريف مكة ادعى أنه ليس لابن سعود سوى سلطة ضعيفة جداً على القبائل المحيطة بمسار الرحلة من جدة إلى الرياض، وأن نجاحها مستحيل. ولكن فيلبي، وبتشجيع من ابن سعود، قرر أن يثبت لروسائه نفوذ وكفاءة ابن سعود، وقدرته على تجهيز وحماية مثل هذه الرحلة. وجهزه ابن سعود بالجمال والعتاد و الحراس، وقطع فيلبي مسافة ٤٥٠ ميلاً إلى الطائف، في مدة خمسة عشر يوماً. ولم تكن رحلة سهلة، فقد وجد الحراس صعوبة في حراسة رجل كافر، حتى أن بعضهم تردد في الأكل معه لئلا يلوث طعامهم، بالإضافة إلى ذلك فإنهم لم يلاقوا ترحيباً من القرى التي مروا بها في الطريق. رحلة فيلبي أثبتت قدرة ابن سعود على السيطرة على الطريق من الرياض إلى جدة، بينما الشريف حسين لم

يستطع تأمين الرحلة في الاتجاه المعاكس لوفد بريطاني. وقد منحت الجمعية الجغرافية الملكية بلندن لابن سعود ميدالية المؤسسين الذهبية، تقديراً لشجاعته في تلك الرحلة.

رجع فيلبي إلى ابن سعود في خريف ١٩١٨ في مهمة جديدة، لإقناعه بالقيام بحملة عسكرية ضد ابن رشيد، الذي يحكم منطقة تمتد بين ساحات المعارك في العراق وفلسطين. وكان ابن سعود في موقف حرج جداً، لأن مشاعر أهالى تلك المناطق كانت متعاطفة مع العثمانييينومعادية للإنجليز. فى حين أنه كان يستحيل عدم تلبية طلب حلفائه،خاصة وأن المساعدات البريطانية كانت تؤلف نسبة كبيرة من خزانته. لهذا فإن فيلبي وجد صعوبة حتى اقنع ابن سعود أخيرا بالقيام بالحملة العسكرية. ولكن ابن سعودلم يصطحب فيلبي معه فى الحملة، لأن ذلك كان سيستفز المشاعر الإسلامية عند الأهالي هناك. ولكنه جهزه بقافلة لزيارة منطقة وادي الدواسر، التي تقع على بعد ٥٠٠ ميل جنوب الرياض، وذلك لمدة خمسين يوماً. وقد جلب فيلبي معه معلومات علمية وجغرافية قيمة. كما أنه عقد العزم على أن يكون أول من يعبر الربع الخالي.

في ٧ نوفمبر ١٩١٨، قبل أربعة أيام من هدنة الحرب العالمية الأولى، أصدرت بريطانيا وفرنسا الإعلان الإنجليزي الفرنسي للعرب، والذي يعلنان فيه استقلال سوريا وبلاد الرافدين، على أن يحدد شعب كل دولة نوع

الحكم. وقد جادل فيلبي فى أنابن سعود كان ديمقراطياً يسيّر أمور دولته بالشورى حسب القرآن، على العكس مما ستؤدي إليه سياسة وزير الخارجية البريطاني لورد كرزون، المؤيدة للشريف حسين.

ترك فيلبى الجزيرة العربية لمدة أربع سنوات، لم ير فيها ابن سعود، ولكن المراسلات بينهما لم تنقطع. بعد ثورة العشرين في العراق، عُيّن فيلبي وزيراً للداخلية في حكومة الانتداب البريطاني بالعراق، حيث قام بوضع دستور ديمقراطي ومجلس تشريعي منتخب ورئيس جمهوري(كان فيلبى ينتمى لمنظمة اشتراكية أثناء دراسته فى جامعة أكسفورد). وفي يوليو ١٩٢١ أخذ إجازة وذهب إلى إيران. وفي نوفمبر ١٩٢١ عُيِّن رئيساً للمخابرات بحكومة الانتداب البريطاني بفلسطين، والتي كانت تضم كيانات الأردن وفلسطين وإسرائيل المعاصرة. وعمل مع لورنس العرب لفترة (رغم تضاد ما يعلنه كلاهما من ولاءات عربية). وهناك التقى مع نظيره الأمريكي رجل المخابرات ألن دلس Allen Dulles، الذي يعمل من اسطنبول. وفي نهاية عام ١٩٢٢ سافر فيلبي إلى لندن لسلسلة لقاءات مكثفة. وكان يعلن على الملأ اعتقاده بتطابق أهداف بريطانيا وابن سعود، في توحيد جزيرة العرب من البحر الأحمر إلى الخليج العربي، تحت قيادة ابن سعود، وإحلال ابن سعود محل الهاشميين، كـ "خادم الحرمين الشريفين"، وتأمين طريق الملاحة السويس – عدن – بومباي للإمبراطورية البريطانية. في

عام ١٩٢٤ تم الإعلان عن استقالته من منصبه كمدير للمخابرات فى حكومة الانتداب بفلسطين. ولكن بقاءه على راتب المخابرات الحربية البريطانية لمدة خمسة أعوام بعد تركه منصبه في القدس، يقوض تلك الإشاعة، ويرجح أنه أرسل في مهمة (أخرى).

بعد وصول فيلبي الرياض بفترة وجيزة، أعلن ابن سعود عن نيته الإطاحة بالهاشميين عن مُلك الحجاز. وعمل فيلبي مستشاراً (على راتب المخابرات البريطانية) لابن سعود، في بسط نفوذه في مختلف أرجاء الجزيرة العربية ومنها الحجاز. وفي عام ١٩٢٥ عينه ابن سعود مسئولاً عن تتويجه ملكاً على المملكة العربية السعودية المنشأة لتوها.

بعد زيارته إلى لندن عاد فيلبي إلى جدة، ليؤسس شركة تجارية. وقد استورد السيارات وسحبها فوق التلال الرملية، بواسطة قافلة من الجمال. كما أنه ساهم أيضاً في إدخال أجهزة الراديو والهاتف. ولكن ذلك كان في حاجة لنفوذ ابن سعود الشخصي، لإقناع العناصر المحافظة. خلال الآونة نفسها نشط فيلبي في الكتابات الجغرافية في الإعلام العالمي. وعلى ظهر جمل قام فيلبي برسم (أو ترسيم) الحدود السعودية اليمنية. وتزامن وجوده على الحدود مع اندلاع الحرب اليمنية السعودية.

ومن موقعه الخاص أصبح كبير مستشاري الملك عبد العزيز للشئون الخارجية. وأعلن اعتناقه الإسلام في أغسطس ١٩٣٠، وتسمى بالشيخ

عبد الله، وتزوج بسيدة نجدية، وخطب الجمعة فى الحرم المكي، معدداً مناقب ابن سعود. وفي عام ١٩٣١ دعا تشارلز كرين إلى جدة لتسهيل التنقيب عن النفط في الأراضي السعودية. كرين كان يصاحبه المؤرخ جورج أنطونيوس، الذي عمل مترجماً في تلك الزيارة. وفي مايو ١٩٣٣، أتمت شركة ستاندرد أويل أوف كاليفورنيا مفاوضاتها مع فيلبي، موقعة عقد إمتياز حصري لمدة ٦٠ سنة، للتنقيب عن النفط وإنتاجه في منطقة الإحساء على الخليج العربي. دلت تلك الصفقة على بدء حلول النفوذ الأمريكي في المنطقة محل النفوذ البريطاني. وكانت معظم الاتصالات الشخصية بين الولايات المتحدة والسعودية تتم عبر فيلبي شخصياً. وبتسهيل فيلبي للمصالح التجارية الأمريكية، رأى البعض أنه قد قوض النفوذ البريطاني (لصالح الولايات المتحدة)، الذى بنته في الفترة من ١٨٠٠ إلى ١٩٣٤، لتأمين شريان الملاحة من بومباي والخليج العربي إلى السويس، قامت خلالها بريطانيا بتوقيع ١٤٠٠ معاهدة واتفاقية مع مختلف القبائل والمشايخ في الجزيرة العربية، مما دعاها لإطلاق اسم الساحل المتعاهد أو الساحل المتصالح على الساحل الممتد من البصرة حتى الحديدة.

وفي خلال هذا الوقت في كمبريدج بإنجلترا، جندت المخابرات السوفيتية كيم،ابن فيلبي. وقد برزت في السنوات الأخيرةنظرية مفادها أن السوفييت

جندوا كيم خصيصاً للتجسس على أبيه، الذي كان له نفوذ هائل على مؤسس الدولة السعودية وعلاقة تلك الدولة ببريطانيا وبشركات النفط الأمريكية. وفي عام ١٩٣٦ ضمت شركتا سوكال وتكساكو ممتلكاتهما شرق السويس في شركة سميت أرامكو، وصفتها وزارة الخارجية الأمريكية بأنها أغنى جائزة تجارية في تاريخ الكوكب. وقد كان فيلبي ممثل السعودية في الشركة. وفي عام ١٩٣٧ بدأ فيلبي مفاوضات سرية مع ألمانيا وأسپانيا فيما يتعلق بدور السعودية في حال اندلاع حرب أوروپية شاملة. هذه المحادثات سمحت للملكة العربية السعودية المحايدة بأن تبيع نفطها لأسپانيا المحايدة، التي تحوله إلى ألمانيا. وقد ادعى جون لوفتوس، الذي كان يعمل في وحدة تعقب النازي بمكتب التحقيقات الخاصة بوزارة العدل الأمريكية، أن أدولف إيخمان، أثناء مهمته بالشرق الأوسط،التقى بفيلبي في منتصف الثلاثينات. وفي صيف١٩٤٠، ألقي القبض على فيلبي، وسيق إلى إنجلترا حيث وضع تحت الإقامة الجبرية، وفقا للقانون البريطاني. ولكن أصدقاءه، ومنهم جون مايناردكينز تدخلوا، وأطلق سراحه بعد سبعة أشهر بدون توجيه تهمة.

وما أن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها، حتى رجع فيلبي إلى السعودية في عام ١٩٤٥، وعمره ٦٠ عاماً. وواصل عمله مع أرامكو. وطفت شائعات في دائرة الملك، بأن فيلبي عميل للمخابرات البريطانية،

وجاسوس صهيوني وشيوعي. وبدأ فيلبي في إثارة سلسلة من الجدال مع الملك. وقد عزى فيلبي الخلافات إلى الفساد والانحلال الذي جلبته أموال النفط للمملكة.

تعلمت أرامكو من فيلبي الكثيرعن الجزيرة العربية. فأرامكو والمخابرات المركزية الأمريكية كان بينهما باب دوار لتبادل الموظفين في ذلك الوقت. ولما لم تكن هناك مصادر معلومات أخرى متوافرة للأمريكان عن المملكة العربية السعودية، صار فيلبى فارس الحلبة، وتم تصوير المملكة للأمريكيين بطريقة تجلب تعاطف الشعب الأمريكي.على أنها: "صورة مرآة للغرب القديم Old West، أراض شاسعة غير محوطة بأسيجة، حيث الطبيعة لم تُروّض بعد،والديانة بسيطة وقانون البندقية هو السائد".

بعد وفاة الملك عبد العزيز في ١٩٥٣ جاهر فيلبى بانتقاد خليفته الملك سعود، قائلاً أن "أخلاق العائلة الملكية تؤخذ من مزابل الغرب". فتم نفيه إلى لبنان في أبريل ١٩٥٥. إلا أنه تصالح مع الأسرة السعودية المالكة فى نفس العام، وعاد إلى الرياض بسيارة مقدمة من الحكومة السعودية، واستمر في دراساته الجغرافية والأثرية، وقام بعدة زيارات إلى أوروبا. وبينما هو في بيروت لزيارة ابنه كيم في سبتمبر ١٩٦٠، وبينما هو في سريره و ابنه بجانبه، مات ودفن في بيروت.

تحديات الحاضر وآفاق المستقبل

توقع كثير من المراقبين انهيار وتفكك المملكة العربية السعودية، نظراً لتكونها من مجتمعات فقيرة متباعدة، لاتربط بينها أى صلات، ولم تجتمع فى كيان سياسى متماسك من قبل. خاصة أن هذه الوحدة قامت بقوة السلاح،استناداً إلى شرعية السلفية الوهابية، التى لم تتمكن أبداً من تكوين أى كيان سياسي قابل للبقاء قبل ذلك. وتعتبرالطائفة الشيعية فى الوقت الحالى قنبلة موقوتة، حيث تتمركز الطائفة الشيعية الإمامية الإثنى عشرية في المنطقة الشرقية من المملكة، والتي تعتبر الموطن الرئيسي للشيعة في السعودية، ولاسيما في القطيف والإحساء. وتتمركز الطائفة الشيعية الإسماعلية في منطقة نجران في الجنوب الغربى، والزيدية في الجنوب الغربى أيضا فى عسير وجيزان. وكانت هذه المناطق كما ذكرنا إمارت مستقلة قبل عام ١٩٣٤. وهى متاخمة لمناطق الحيثيين، وتشكل معاً إقليماً جغرافيا واحداً. وبناء على ما قدرته { CNN } يبلغ عدد الشيعة في المنطقة الشرقية بالسعودية حوالي ٣,٦٠٠,٠٠٠. ومثلهم تقريباً فى المنطقة الجنوبية الغربية، وهى تقديرات مستندة لتعداد ٢٠٠٤ حيث أن إحصائيات التصنيفات الدينية لاتعلن. ويدور صراع مكتوم بين الشيعة والسلطات

السعودية آخذ فى التصاعد والتبلور فى مطالب وأعمال ثورية يتم تعتيم كامل حول أحداثها. وأمكن رصد بعضها فى:

* انتفاضة محرم عام ١٩٧٤، وهي مجموعة مواجهات حدثت بين أبناء محافظتى القطيف والإحساء وبين قوات الحرس الوطني السعودي، بدأت الأحداث في٢٥ نوفمبر وانتهت بعد خمسة أيام بعد عمليات قمع واسعة.

* أحداث البقيع، وهي مواجهات حدثت بين ٢٠ و٢٤ فبراير ٢٠٠٩ بين متظاهرين شيعة وقوات الأمن السعودية مدعومة بأعضاء من هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

* الاحتجاجات السعودية ٢٠١١، وهي مجموعة احتجاجات متفرقة بدأت يوم الخميس ٣ مارس عام ٢٠١١ م متأثرة بموجةاحتجاجات الربيع العربي، للمطالبة بإصلاحات سياسية واقتصادية. ولم يكن هذا التحرك شيعياً محضاً، لكنه تم بمشاركات شبابية واسعة، ورفع شعارات سياسية غير طائفية.

* احتفال الشيعة في جنوب المملكة فى عسير وجيزان ونجران، بسيطرة الحوثيين على العاصمة اليمنية صنعاء، وإشعالهم الأضواء وإقامة الولائم احتفالاً بذلك النصر.

ويرجع المراقبون المعاصرون استمرار وحدة المملكة، لقدرة الأسرة المالكة على استخدام عوائد النفط الهائلة التى تدفقت على المملكة فى خلق ظروف مواتية لبقاء الدولة حتى الآن. فى حين يرى كثير من الخبراء والمعلقين فى القنوات الفضائية والصحافة العالمية والمواقع الإلكترونية أن

المملكة العربية السعودية تعيش أسوأ أيامها في الوقت الراهن، فحدودها على حافة الهاوية، والمخاطر تحيط بها من كل جانب.

المراجع

-عبدالرحمن منيف، مدن الملح (رواية).

http://www.alhejaz.org/tarekh/096401.htm

حروب عبد العزيز بن سعود

http://www.moqatel.com/openshare/Behoth/Atrikia51/HrakaEkwan/sec03.doc_cvt.htm

الخلاف مع حركة الإخوان (الوهابية) ١٩١٠ – ١٩٢٠

http://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D8%B9%D8%A7%D9%87%D8%AF%D8%A9_%D8%AC%D8%AF%D8%A9_%282000%29 معاهدة جدة

http://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D8%B9%D8%A7%D9%87%D8%AF%D8%A9_%D8%A7%D9%84%D8%B7%D8%A7%D8%A6%D9%81_%281934%29 معاهدة الطائف

http://ar.wikipedia.org/wiki/ جون فيلبى وبناء المملكة

دولة الإمارات العربية المتحدة

تقع دولة الإمارات العربية المتحدة شرق شبه الجزيرة العربية،وجنوب غرب قارة آسيا مطلة على الشاطئ الجنوبي للخليج العربي. لها حدود بحرية مشتركة من الشمال الغربي مع دولة قطر، ومن الغرب حدود برية وبحرية مع المملكة العربية السعودية، ومن الجنوب الشرقي مع سلطنة عمان.تبلغ مساحتها ٨٣,٠٠٠ كيلو متر مربع، وطبقا لتعداد ٢٠١٠بلغ عدد السكان ٨ مليون نسمة، منهم ١٦% مواطنين، ٥٥% آسيويين، ٢٣% عرب من جنسيات مختلفة، والباقى جنسيات متنوعة.أكثر إمارتين في عدد السكان هما إمارة أبو ظبي وإمارة دبي، تليهما إمارة الشارقة ثم باقي الإمارات. وتعد رأس الخيمة الأعلى كثافة بالنسبة للمواطنين.

وقبل ميلاد الدولة كانت المنطقة تسمى مشيخات الساحل العماني، ثم أطلق عليها الإستعمار ساحل القرصان، ثم تغير هذا الاسم ليصبح مشيخات الساحل المهادن، من البصرة حتى الحديدة. ولا ينفصل تاريخها عن تاريخ المنطقة حولها. وشكل الفرس قوة عظمى في تلك المنطقة منذ ماقبل الميلاد، وسيطروا على الطرق والكثير من المنافذ البحرية. ونشأ صراع عنيف وطويل على المنطقة بين الفرس والروم استمر قرابة ثلاثة قرون، إلى أن انتهى في عصر هرقل ملك الروم وكسرى ملك فارس، على يد الفاتحين المسلمين فى أوائل القرن السابع الميلادى.

في هذه المرحلة من التاريخ نشطت التجارة البحرية بين تجار عمان وحضرموت واليمن وساحل عمان (حيث كان يطلق على كافة الأراضى المطلة على الخليج من البصرة شمالا حتى هرمز جنوبا تعبيرساحل عمان،وهى الأراضيالتي تقع على جزء منهادولة الإمارات العربية المتحدة اليوم)، وبين منطقة جنوب شرق آسيا وسواحل أفريقيا الغربية. وساهم هذا النشاط في ازدهارطرق التجارة العالمية طويلة المدى، التي تمر عبر شبه الجزيرة العربية والعراق وبلاد الشام ومصر، والتى اصطلح على تسميتها طريق الحرير البحرى. واستمر هذا خلال عهدي الدولتين الأموية والعباسية، ولم ينجح النفوذ العثماني بعد ذلك في الوصول إلى هذه السواحل من البصرة حتى عدن إلا بحراً، دون أن يستطيع فرض أي سيطرة سياسية على أراضيها. وأصبح هذا النشاط التجاري مطمعاً أوروبياً، خاصة بعد انطلاق الرحلات الاستكشافية لطرق جديدة للوصول إلى الهند، وكان البرتغاليون أول من نجح في الوصول إلى هذه المنطقة، حيث بدأ الطموح البرتغالي بالتوسع في القرن الخامس عشر، وقد بدأ هذا التوسع في المحيط الهندي من خلال الرحلات التي كانوا يقومون بها في ساحل أفريقيا الشرقي وجنوب الصحاري، وذلك بهدف الحصول على السلع والعبيد. وكان لهم ذلك مع الرحلة التي قام بها بارثولوميو دياز حول رأس جنوب أفريقيا خلال عامي ١٤٨٧ و ١٤٨٨. في تلك الفترة كان المسلمون ما زالوا يسيطرون على التجارة.

الوجود البرتغالى

وقد أدى الوجود البرتغالى إلى ضعف التجارة في البحر المتوسط،وفقدان الطرق البرية العابرة للجزيرة العربية أهميتها.كما أدى قيام فاسكو دي جاما برحلته الشهيرة حول رأس الرجاء الصالح عام ١٤٨٩ إلى حدوث ثورة فى التجارة الشرقية، ونزول قوات عسكرية في المحيط الهندي والخليج العربي، كما أدى إلى تثبيت سيطرة البرتغاليين في تلك المنطقة. لكنهم حصروا إستراتيجيتهم في المحيط الهندي ومنطقة الخليج العربي، من خلال السيطرة على الطرق التجارية وبناء الموانئ الإستراتيجية. واستولوا على الساحل العماني بأكمله. فاحتلوا مسقط وجزيرة هرمز سنة ١٥٠٦، وأقاموا العديد من القلاع والحصون على السواحل المشرفة على البحر. فبنوا فى مسقط قلعتي الجلالي والميراني، وقلعة في جزيرة هرمز، وقلاعا في البحرين وفيلكا وجلفار. وتمكنواباسأليبهم الاستعمارية من إنهاء السيطرة العربية في المنطقة تدريجيا، وتدمير كل أثر للتجارة العربية فيها.

مع استمرار تثبيت قوة البرتغاليين وإتمام السيطرة على المحيط الهندي والخليج العربي،صار لهم السيطرة الكاملة على تجارة التوابل. وقد عزز البرتغاليون احتكارهم من خلال بناء مستوطنات محصنة في المحيط الهندي، تساندها دوريات بحرية منتظمة. كما أنهم ألزموا التجار بشراء تصاريح لضمان سلامتهم، وكذلك دفع رسوم جمركية. استمرت هذه السيطرة نحو قرنين من الزمان، قامالبرتغاليون خلالها بالقضاء على كل

أثر للتجارة العربية على سواحل عمان. وكان لهم تأثير مزدوج الأثر؛ فمن ناحية فتحوا المجال أمام اتصال المنطقة بأوروبا، ولكنهم من ناحية أخرى فعلوا ذلك بعد حروب كان لها أثر مدمر.

اليعاربة والقواسم

لكن العمانيين توحدوا تحت قيادة الإمام ناصر بن مرشد مؤسس دولة اليعاربة (١٦٢٤-١٧٤١) التي شملت عُمان التاريخية، أي سلطنة عُمان والإمارات العربية المتحدة وأجزاء كبيرة من شرق أفريقيا، وكانت عاصمتها الرستاق. وشن اليعاربة حرباً ضد البرتغاليين، وأخرجوهم من جميع أراضيهم، وأضعفوا شوكتهم في جميع أرجاء المحيط الهندي. وتمكنوا من القضاء على الوجود البرتغالي والانفراد بالسيطرة على المنطقة، في معركة بحرية حاسمة سنة ١٦٢٥ بالقرب من بندر عباس، لتبدأ مرحلة جديدة.بعد تحرير عمان من السيطرة البرتغالية وانحلال دولة اليعاربة، حدثت تحركات وتحالفات جديدة بين القبائل، ليس في عُمان وحدها، بل في شرقي شبه الجزيرة العربية كلها. إذ ساد الأمان ساحل الخليج العربي، بعد فترة طويلة من الصراع في العهد البرتغالي. وبدأت القبائل هجرتها إلى منطقة ساحل عُمان، التي تعرف الآن بالإمارات العربية المتحدة. وتشكلت قوتان سياسيتان جديدتان مستقلتان هما:

القواسم: التى سيطرت على البحر، وتألفت من حلف قبائل بني غافر، وتزعمته القواسم. وهم قبيلة بدأت زعامتها على إثر إنحلال دولة اليعاربة.

وبدأت دولتهم في ما يسمى اليوم برأس الخيمة والشارقة. ثم انتشرت لتشمل شرق الخليج العربي، بساحليه الشمالي (يتبع اليوم لإيران) والجنوبي، إضافة للجزر. وقد صارت للقواسم في أواخر القرن السابع عشر أضخم قوة بحرية في المنطقة. وأقلقوا بريطانيا، وشنوا على قواتها الحملة إثر الأخرى، بهدف إجلائها عن كامل سواحل عمان. كما برعوا فى صناعة وصيانة السفن، مستفيدين من تقنيات البرتغاليين في تطوير صناعة سفنهم. وتمكن القواسم من صناعة أسطول بحري قوي، ساعدهم في السيطرة البحرية على المنطقة لزمن إمتد لأكثر من ١٥٠ عاماً.

بنى ياس: هى القوة الثانية التى سيطرت على الأرض، وهى قبيلة لها وجود قوى ومنتشر. و قد تحالفت معها بعض القبائل، وأطلق على هذا الحلف تحالف بني ياس.وكانت زعامته بيد قبيلة آل بوفلاح، التي ينحدر منها آل نهيان حكام إمارة أبوظبي، وآل بوفلاسة التي ينحدر منها آل مكتوم حكام إمارة دبي. في تلك الفترة لم يكن أعداد سكان المنطقة يتعدى ٧٢,٠٠٠ نسمة. وكانت المنطقة تُعرف حتى الخمسينات من القرن العشرين باسم إمارات ساحل عمان. أما الإنجليز فكانوا يسمونها بساحل القراصنة، حتى أبرمت اتفاقية الهدنة عام ١٨٥٣.

كان الناس يقطنون في قرى صغيرة متناثرة على ساحل رأس الخيمة والشارقة ودبي وأبوظبي. وبنوا حصونا لحماية أنفسهم في مناطق التجمعات السكانيه الرئيسية. وكان اقتصادهم يعتمد على صيد السمك واللؤلؤ. ومعظمهم بحارون يعتمدون على البحر في معيشتهم. وازدهرت

التجارة في هذه الفترة، وعُرفت بالعصر الذهبي الذي تجلى في الفنون والصناعات اليدوية. ولكن اكتشاف اللؤلؤ الصناعي، ونشوب الحرب العالمية الأولى، أثرا سلباً على اقتصاد المنطقة، رغم أنه كانت هناك بعض الأنشطة الزراعية في الواحات الداخلية، وكان عليهم استيراد الكثير من حاجياتهم من البصرة والبحرين.

الوجود الهولندي

مع بداية القرن السابع عشر أصبح الهولنديون القوة المسيطرة في المحيط الهندي والخليج، فقد كان لسقوط البرتغاليين عام ١٦٢٥ بعد معركة بندر عباس أمام اليعاربة، دور مهمفي تمهيد الطريق أمام الهولنديين. ففى سنة ١٥٩٥ خرج أول أسطول هولندي إلى آسيا، والذي بلغ جزر الهند الشرقية، ثم عاد بعد غيبة دامت سنتين ونصف. ولم تكن هذه الرحلة بداية لرحلات عديدة فحسب، بل أنها كانت محركاً لإنشاء شركة الهند الشرقية الهولندية المتحدة، والتي أسست بمرسوم صدر في ٢٠ مارس ١٦٠٢ من الحكومة الهولندية. والذي خولت بمقتضاه حق احتكار التجارة، واتخاذ الإجراءات الكفيلة بردع أي معاملة سيئة يتعرض لها الهولنديون، وكذلك حق عقد معاهدات مع حكام الشرق باسم الحكومة الهولندية، وبناء القلاع، وتعيين الحكام والقضاة في المواقع التابعة، وتطبيق القانون وتوفير النظام في مثل تلك المناطق. وخلال وقت قصير أصبحت المحطة التجارية الهولندية في بندر عباس هي الأكثر نشاطًا ونجاحًا من الإنجليز؛ حيث تاجروا بالسكر

والتوابل والأقمشة الهندية والنحاس والحديد. كما أبرموا مع شاه عباس الأول عام ١٦٢٣ عقدًا لتجارة الحرير. وفي عام ١٦٥٢ م، وعلى إثر الحرب الهولندية الإنجليزية في أوروبا، لم يعد للإنجليز أي سيطرة تجارية، وفقدوا وكالاتهم التجارية في الخليج العربي وبندر عباس والبصرة؛ وذلك لصالح الهولنديين؛ مما جعل شركة الهند الشرقية الهولندية تحصل على تلك الوكالات، وبالتالي أصبحت هي المزود الأساسي للتوابل في فارس والخليج العربي، وكان لشركة الهند الشرقية الهولندية وجود في عُمان لفترة قصيرة، وفي عام ١٦٨٠مثبّت الهولنديون أقدماهم في البصرة وبندر عباس.

كان توجه الهولنديين إلى المنطقة للتأكيد على حرية الملاحة في أعالي البحار، ولكي تبطل أثر القرار الصادر عن البابا، الذي نص على جعل المحيط الهندي تحت سيطرة البرتغاليين. لقد أدت شركة الهند الشرقية الهولندية الدور نفسه الذي لعبه البرتغاليون مستخدمين نفس الأسلوب؛ فقد استخدموا القوة للحصول على الاتفاقيات التجارية والحقوق في موانئ المحيط الهندي، ولكنهم لم يستخدموا القوة العسكرية إلا فى أضيق الحدود. كذلك اتبعوا نظام إصدار التصاريح للحماية. غير أن هذا النجاح والازدهار في منطقة الساحل قابله انحدار في المناطق البعيدة، كما أدى إلى نهاية مدن الخليج القديمة، ونهضة مدن أخرى مثل: مسقط وبندر عباس .

الوجود البريطاني

كان الخليج العربي ساحة للصراعات الأوروبية، وتحديدًا البريطانية والفرنسية. ولكن في عام ١٨١٠ تمكنت الحملة البحرية البريطانية بقيادة كرومبي من ضرب جزيرة مورشيوس التي كانت قاعدة انطلاق الهجمات الفرنسية ضد البريطانيين، مما مكنهم من أن يصبحوا القوة الوحيدة المهيمنة على المنطقة. وبدأ الإنجليز في هذه الفترة بإجراء المسوحات في الموانئ، وفي مغاصات اللؤلؤ؛ للتعرف على طبيعة المنطقة. الأمر الذي زاد من نشاط القواسم في تتبع السفن البريطانية في المحيط الهندي ١٨١١– ١٨١٨، حتى أنهم وصلوا إلى مسافة تبعد نحو ٦٠ كم عن بومباي بعد خروج البرتغاليين.ونجحت بريطانيا – رغم منافسة كل من فرنسا وهولندا لها– فى السيطرة التجارية على المنطقة خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر. وأنشأت شركة الهند الشرقيةالبريطانية، ككيان تجارى اقتصادى سياسى. وتمكنت من خلاله من السيطرة على الهند وجميع المناطق في ذلك الجزء من العالم، بما فيه منطقة الخليج العربي. بينما أخذت قوة القواسم البحرية تبرز بأسطول بحري يضم أكثر من ٦٠ سفينة ضخمة، وحوالي عشرين ألف بحار. وبدأت تشكل تحدياً خطيراً للبريطانيين. ووصل نفوذهم إلى السواحل الشرقية للخليج العربي. وقد أدى صعود القواسم، ونشاطهم البحري ضد السفن البريطانية،لغضب شركة الهند الشرقيةالبريطانية، التي كانت قد انتهت من الحروب في الهند، واطمأنت لإبعاد التوسع الفرنسي عن المنطقة. وكانت الأوضاع قدهدأت

في شبه القارة الهندية وبلاد فارس. وعند ذلك عزمت على محاربة القواسم، وجددت اتهاماتها لهم بالقرصنة، وأعطت تعليماتها للمقيم البريطاني في مسقط، سيتون، بالتعاون مع سلطان مسقط،لوقف نفوذ القواسم. وفي تاريخ ٢٨ مايو عام ١٨٠٥م أبحر كابتن بريطاني من مسقط على ظهر السفينة البريطانية مورنجتون إلى ميناء بندر عباس، لمساعدة سلطان عُمان فى مهاجمة ذلك البندر،لاستعادته من بني معين حلفاء القواسم. وقد بلغت قوة القواسم وتحديهم لبريطانيا لدرجة تقدّم شيخ رأس الخيمة، عن طريق حسين بن علي حاكم الرمس، بطلب إلى حكومة بومباي البريطانية، بدفع مبالغ مالية سنوية لشيوخ القواسم، كرسومِ مرورٍ،مقابل السماح لسفنهم بالملاحة في مياه الخليج العربي. غير أنّ حكومة بومباي لم تستجب لتلك الطلبات، والتي عدتها تجاوزاً وخدشاً لكرامة ومكانة بريطانيا العظمى. وواصل القواسم هجماتهم على السفن البريطانية. وبعد ذلك استعدوا لمهاجمة ميناء البصرة والانقضاض على التجارة الهندية. وبذلك أصبحوا مصدر خطر على المصالح البريطانية في الخليج العربي وسواحل الهند. وفي أبريل عام ١٨٠٩م أصدر الحاكم البريطاني العام للهند أوامره إلى دنكان حامى بومباي، لتجهيز حملة بحرية عسكرية لتدمير قوة القواسم البحرية في الخليج العربي،انتقاماً للهجمات التي كانوا يشنونها على السفن البريطانية. كذلك هدفت الحملة إلى إطلاق سراح الأسرى والرعايا البريطانيين،الذين كانوا قد وقعوا في أسر القواسم خلال معارك بحرية سابقة، وأيضاً استرداد المواقع العُمانية التى أسولى القواسم عليها. وفي تاريخ ١٤ سبتمبر عام

١٨٠٩م أبحرت الحملة البريطانية على القواسم من بومباي متجهةإلى مسقط، التي وصلتها بتاريخ ٢١ أكتوبر من العام نفسه. وفي اليوم الثالث للمعركة على أراضي رأس الخيمة،تقدّمت باتجاه ميناء القواسم المزدهر، على الجانب الشرقي من الخليج العربي.وقامت بتاريخ ١٤ نوفمبر بمهاجمته وإحراقه، كما قامت بحرق وتدمير ٢٠ سفينة شراعية. وما بين ١٨١٠ – ١٨١١م توقف نشاط القواسم البحري ضد السفن البريطانية.

بداية تكوين الشكل الحالى للإمارات

كانت نتيجة تدمير قوة القواسم وإضعاف اتحادهم، أن سيطر البريطانيون سيطرة كاملة على الخليج العربي. ومنذ إوائل القرن التاسع عشر بدأت تتكون الإمارات المختلفة في المنطقة التي تُشكل الدولة الحالية بشكل تدريجي، وأخذت فى التطور شيئاً فشيئاً. خلال ذلك كانت تقع النزاعات على مناطق النفوذ، التي كانت تنتهي بالصلح بين مختلف شيوخ الإمارات تحت الحماية البريطانية. وقد حكم البريطانيون الساحل العماني، عن طريق شركة الهند الشرقية البريطانية حتى عام ١٩٤٧، حيث انتهى الدور الذي تلعبه في الخليج. فبعد الانسحاب البريطاني من الهند أصبح الخليج تابعًا لوزارة الخارجية البريطانية.

بدأت بريطانيا الدخول مع مشايخ سواحل الخليج في معاهدات سلام، كان أشهرها معاهدة السلام العامة ١٨٢٠م،فوضعت منذ ذلك الوقت قوة بحرية

في رأس الخيمة، ومن ثم قوة في قشم؛ وذلك للإشراف على المعاهدات التي وقعتها.

ثم انطلقت الحكومة البريطانية لترتيب أوضاعها السياسية في الخليج؛ فقامت بتعيين الجنرال طومسون الموجود مع قواته العسكرية في قشم،في منصب الوكيل السياسي في الخليج، وذلك عام ١٨٢٠م. وتعتبر تلك نقطة تحول، بعد أن كانت إدارة المنطقة بيد شركة الهند الشرقية البريطانية. وكانت مهمة طومسون تطوير العلاقات مع مشيخات الساحل العماني. وتحولت الوكالة التجارية في بوشهر إلى مقيّمية. وكان ماك لويد أول مقيّم سياسي بريطاني عام ١٨٢٢م. وكانت المقيمية مسؤولة عن الوكالات التي تأسست في بريطانيا وفي الشارقة عام ١٨٢٣م. حيث عمل لويد على تنفيذ تعليمات الحكومة البريطانية في الحفاظ على أمن الخليج، وإخماد أى أعمال عدوانية، وعلى حماية التجارة البريطانية، وعلى أن يتعامل بكافة أساليب الحزم والود في نفس الوقت مع شيوخ الخليج. كما جعلوا إدارة الوكيل السياسي للساحل المهادن في الشارقة اعتباراً من ١٨٢٣م، لأنها كانت تعتبر أكثر مناطق الساحل خطورة، وعين له وكلاء محليون.وكانت الحكومة البريطانية تتدخل في شؤون القبائلفى حالة تسوية النزاعات. وقامت عام ١٨٣٥مبفرض نظام الهدنة، الذي ينص على وقف القتال لمدة ستة أشهربين المشيخات، ومعاقبة من يخالف بدفع التعويضات. الأمر الذي أدى إلى حالة من السلم، تجلت آثارها في تخفيض عدد السفن الحربية البريطانية في الخليج .

وقد أدى نجاح هذه الخطوات الى تشجيع البريطانيين على عقد الهدنة البحرية عام ١٨٤٧م مع مشايخ الساحل. وفى عام ١٨٥٣م تم الاتفاق على تطوير الهدنة،معتوقيع اتفاقية سلام،كمرحلة أولى من اتفاقية شاملة مع البريطانيين، لضمانالسلام البحري، والتخلص من النزاعات القبلية،مما يمهد لعقداتفاق بعدم تدخلبريطانيا في الشؤون الداخلية لمختلف الإمارات. وفعلاً تم توقيع المرحلة الأولى من معاهدة السلم الدائم في الرابع من مايو عام ١٨٥٣م، وتضمنت المعاهدة مقدمة وثلاثة بنود. ففي المقدمة أكد الموقعون وهم :

الشيخ سلطان بن صقر القاسمي زعيم القواسم

الشيخ سعيد بن طحنون آل نهيان زعيم بني ياس

الشيخ سعيد بن بطي آل مكتوم زعيم دبي

الشيخ حميد الثاني بن راشد النعيمي زعيم عجمان

الشيخ عبد الله بن راشد المعلا زعيم أم القيوين

أما البنود الثلاثة فهي كالآتي :

البند الأول: التوقف التام عن الأعمال العسكرية في البحر من قبل كل الأطراف،اعتباراً من مايو عام ١٨٥٣م.

البند الثاني: قيام كل شيخ بالقصاص من أي من رعاياه، إذا اعتدى على رعايا شيخ آخر.

البند الثالث: إبلاغ المقيم البريطاني في الخليج، ومقره بوشهر، بأي اعتداء يقع في البحر. كما تقوم بريطانيا بمراقبة الأمور، والعمل على تنفيذ بنود المعاهدة.

ومنذ ذلك التاريخ عرف الساحل العربي للخليج، باسم الساحل المتصالح أوساحل الصلح البحري. وقد تمت مراجعة شروط هذه المعاهدة على مدى الأعوام الثلاثينالتالية، الأمر الذي أدى إلى توافق نسبي بين زعماء القبائل، الذين كانوا يتطلعون إلى إقامة الإمارات المتصالحة. وفي سنة ١٨٩٢، تم التوقيع على الاتفاقية الدائمة،التى أصبحت بمقتضاها الإمارات (بعد دمج عدد من المشيخات والقبائلوتحديد وضعها النهائى فى سبع إمارات هى أبوظبى، دبى، عجمان، الشارقة، رأس الخيمة، أم القيوين، الفجيرة) تسمى بالإمارات المتصالحة. ونصت الاتفاقية على الآتى: "أنا الموقع على هذا ، زايد بن خليفة شيخ أبوظبي في حضرة الليفتاننت كولونيل أي. سي. تالبوت (Lieut Colon. A. C. Talbot) المقيم السياسي في الخليج – أعتمد و أوافق – باسمي و اسم ورثتي و من يخلفني على ما يلي:

أولا: ألا أوقع أية اتفاقيات أو أدخل في أي علاقات مع أي دولة باستثناء بريطانيا العظمى.

ثانيا: ألا أسمح بإقامة أي ممثل لأية حكومة أخرى في أرضي دون موافقة مسبقة من الحكومة البريطانية.

ثالثا: ألا أؤجر أو أبيع أو أرهن أو أتنازل أو أسمح بأية صورة أخرى من الصور، باحتلال أي جزء من الأراضي لدولة أخرى غير بريطانيا العظمى.

تم هذا الاتفاق و جرى توقيعه في أبوظبي يوم ٦ مارس سنة ١٨٩٢ م، الموافق ٥ شعبان سنة ١٣٠٩ هجرية.

توقيع: زايد بن خليفة شيخ أبوظبي

لنزدون نائب الحاكم العام في الهند

ليفتينانت كولونيل آي. سي. تالبوت المقيم السياسي في الخليج.

تم التصديق على هذه الاتفاقية من قبل سعادة نائب الحاكم العام في الهند،دوراند سكرتير وزارة الخارجية بحكومة الهند، بسملا في ١٢ مايو ١٨٩٢م. وقد تم التوقيع على الاتفاقية من قبل الشيوخ المتصالحين الآخرين، وهم شيوخ كل من دبي و عجمان و الشارقة، الذين وقعوا بتاريخ ٧ مارس، وكذلك شيخا رأس الخيمة وأم القيوين اللذين، وقعا في ٨ مارس. وفي عام ١٩٣٢مبدأانتهاج سياسية توحيد الإمارات. وتم وضع خطوطً أساسية لذلك، منها: توحيد التعليم، والبريد، وإنشاء قوة عسكرية، وتكوين مجلس أعلى للحكام عام ١٩٥٢م سمي بمجلس الإمارات المتصالحة، في محاولة لانتهاج سياسة إيجابية في المنطقة. واستمر المجلس يدير شؤون الإمارات تحت الإشراف البريطاني حتى انسحاب بريطانيا من الخليج عام ١٩٧١.

ميلاد دولة الإمارت

بعد ان أستمر الوجود البريطانى فى دول الخليج قرابة١٥٠ عاماً، أعلنت بريطانيا في سنة ١٩٦٨ عن رغبتها في الانسحاب من جميع محمياتها ومستعمراتها شرق المتوسط،بحلول نهاية سنة ١٩٧١. وهو ما كان يمكن أن يسبب خللا سياسياًوأمنياً وإستراتيجياً في المنطقة.فبدأت تتبلور فكرة الاتحاد في اجتماع عقد بين الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان والشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم، في قرية السميح الحدودية في ١٨ فبراير ١٩٦٨. واتفقا على أن أفضل السبل، هو أن يقوم اتحاد بينهما، وأن يدعوا الإمارات الخليجية الأخرى إلى هذا الاتحاد. وهو ما تم بالفعل. وقد وجهت الدعوة، بالإضافة إلى الإمارات السبع، إلى كل من إمارتي قطر والبحرين. وتمت الدعوة لاجتماع في دبي لبحث مسألة إنشاء اتحاد بينهم. وانعقد الاجتماع ووافق الجميع، على أن تشكل لجنة لدراسة الدستور المقترح.لكن ما لبثت أن فشلت هذه المحاولة، وأعلنت كل من قطر والبحرين عن استقلالهما، معلنتين عن سيادة كل منهما على أراضيها. وبالفعل نالت كل دولة منهما الاعترافات العربية والدولية. لكن مشكلة الإمارات بقيت قائمة. وقد حاول قطبا الاتحاد، الشيخ زايد والشيخ راشد، مرة أخرى ضم الإمارات السبع إلى بعضها. غير أن تلك المحاولة كان مصيرها الفشل أيضا. فحاولا من جديد، إذ اجتمع الشيخ زايد والشيخ راشد، وقررا أن يشكلااتحاداً بينهما، على أن تتم دعوة حكام الإمارات الباقية للاجتماع، فور إتمام كتابة مشروع دستور للاتحاد. وفي هذا الاجتماع يقررون الانضمام إليه إذا شاءوا. أما

هما فكانا قد اتخذا قراراً بالإتحاد بين دبي وأبوظبي، ولم يبق إلا التنفيذ. أقر مشروع دستور الإمارات الاتحادي المؤقت، بشكل مبدئي مساء يوم ١ ديسمبر عام ١٩٧١. وفي صباح اليوم التالي بتاريخ ٢ ديسمبر ١٩٧١ اجتمع حكام سبع إمارات في قصر الضيافة في دبي. ووافق أربعة من حكام الإمارات مشاركة إمارتي أبوظبي ودبي في هذا الإتحاد، في حين لم يوافق حاكم رأس الخيمة في حينها. ووقع حكام أبوظبي ودبي والشارقة والفجيرة وأم القيوين وعجمان على الدستور، مانحين الشرعية لقيام الاتحاد بينهم والاستقلال عن بريطانيا.

وخرج أحمد خليفة السويدي مستشار الشيخ زايد، والذي عين وزيراً للخارجية في أول تشكيل وزاري للدولة، ليعلن أمام رجال الإعلام عن إقرار الدستور وقيام الاتحاد. وقد كان الدستور المؤقّت يتضمّن ١٥٢ مادة، مكوّناً من مقدّمة وعشرة أقسام، ويعمل على تحديد الهياكل المتعلّقة بالمؤسسات الاتحادية، بينما ظلت الهياكل المحلية،لتمكن كلّ إمارة من الإمارات منإدارة وتصريف شؤونها الداخلية.

والسلطات المركزية الخمس المحددة في الدستور هي:

- المجلس الأعلى، ويتكوّن من الحكام السبعة؛ وهو أعلى المؤسسات التي تحدّد السياسة في الدولة، ويعهد إليهبالقوة الشرعية والتنفيذية.
- الرئيس ونائب الرئيس في الدولة الاتحادية.
- مجلس الوزراء.

– المجلس الوطني الاتحادي، وهو مجلس استشاري يتكوّن من ٤٠ عضواً، يتمّ اختيارهم من مختلف الإمارات، وفق عدد السكان في كلّ منها: ثمانية مندوبين من كلّ من إمارة أبو ظبي ودبي، وستة من كلّ من الشارقة ورأس الخيمة، وأربعة من كلّ من الفجيرة وعجمان وأم القيوين.

– السلطة التشريعية أو القضائية؛ وتتكوّن من عدد من المحاكم، على رأسها المحكمة الاتحادية العليا.

تمّ انتخاب حاكم أبو ظبي، الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، من قبل سائر زملائه الحكام ليكون أوّل رئيس لدولة الإمارات العربية المتحدة. وأعيد انتخابه بعد إنتهاء كل فترة خمس سنوات بالتوالي.

وكان حاكم دبي آنذاك الشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم، قد تمّ انتخابه ليكون نائباً للرئيس، وهو منصب ظلّ يملؤه حتى وفاته عام ١٩٩٠م، وبعدها تمّ انتخاب ابنه الأكبر الشيخ مكتوم بن راشد ليخلفه في ذلك المنصب. (وفي اجتماع عُقد في ٢٠ مايو ١٩٩٦م، وافق المجلس الأعلى للاتحاد على نصّ معدّل للدستور، جعل من دستور البلاد المؤقّت، الدستور الدائم لدولة الإمارات العربية المتحدة، وعُيّنت أبو ظبي عاصمة الدولة). ورفع علم الدولة في قصر الضيافة بدبي، الذي يعرف اليوم باسم "بيت الاتحاد".وترأس الدولة الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان حاكم إمارة أبوظبي، وعين الشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم حاكم إمارة دبي نائبا لرئيس الدولة. وشُكل المجلس الأعلى للاتحاد من الرئيس ونائبه وباقي حكام الإمارات الموقعة على الدستور. وشكل مجلس وزراء الإمارات برئاسة

الشيخ مكتوم بن راشد آل مكتوم. وبدأت الدول في الاعتراف بالدولة الوليدة. وكان لا بد من بعض الإجراءات التي تتخذها لتثبيت وجودها دوليا. وفي هذا الإطار، انضمت الإمارات إلى جامعة الدول العربية في ٦ ديسمبر سنة ١٩٧١، ثم انضمت إلى الأمم المتحدة في ٩ ديسمبر من نفس العام، لتصبح العضو رقم ١٣٢. كما قامت بإنشاء المجلس الاستشاري الاتحادي في يوليو ١٩٧٢، ليعقد أولى جلساته في ١٣ ديسمبر سنة ١٩٧٢. وفي عام ١٩٧٥ تمت إعادة إنشائه، تحت مسمى المجلس الوطني الاتحادي. وأرسلت رأس الخيمة خطاباً للمجلس الأعلى للاتحاد، طالبة الالتحاق بالدولة في ٢٣ ديسمبر ١٩٧١. فانضمت فعلياً إلى الاتحاد في ١٠ فبراير عام ١٩٧٢، وانضم حاكمها إلى المجلس الأعلى للاتحاد. وبدأت الإمارات بإرسال واستقبال السفراء والبعثات الدبلوماسية مع باقي دول العالم تحقيقا للتمثيل الدبلوماسي وإنشاء العلاقات المباشرة مع الدول الأخرى.

في ٢٤ يناير ١٩٧٢ قام الشيخ صقر بن سلطان القاسمي، أحد الحكام السابقين لإمارة الشارقة، بمحاولة انقلابية، قُتل خلالها الشيخ خالد بن محمد القاسمي حاكم الشارقة. وتم التصدي لهذه المحاولة. وقاد الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم، وزير الدفاع آنذاك، قوة حاصرت الانقلابيين في الشارقة واضطرتهم لتسليم أنفسهم وقدموا للمحاكمة. وعلى أثرها تم تعيين الدكتور الشيخ سلطان بن محمد القاسمي حاكما لإمارة الشارقة، وأصبح بالتالي عضوا في المجلس الأعلى للاتحاد. وكانت هذه الحادثة أول

اختبار لقدرة السلطات الاتحادية. وقد احتلت ايران ثلاث جزر هي أبو موسى، وطنب الكبرى، وطنب الصغرى، وكانت تحتلها قوات بريطانية انسحبت منها عام ١٩٧١، قبل فترة قصيرة من استقلال الإمارات عن بريطانيا. ودخلتها القوات الإيرانية، وبقت فيها منذ ذلك الحين، إذ تزعم طهران أن تبعية الجزر تعود لها، بينما تؤكد الإمارات أحقيتها في الجزر. والموقف المعلن الدائم للإمارات هو حث طهران على التفاوض، أو قبول إحالة النزاع إلى محكمة العدل الدولية في لاهاي، بينما تصر إيران على أن سيادتها على الجزر ليست محل نقاش، وتدعو الطرف الإماراتي إلى "تفهم الموقف".

وفي أواخر عقد السبعينيات اكتملت مشروعات ضخمة في دبي، أذ أنجز ميناء جبل علي،والمنطقة الحرة حوله عام ١٩٨٥.ووضعت الدولة سياساتاستثمارية متنوعة ومتشعبة، خصصت لها اعتمادات مالية هائلة، أدت إلى زيادة نسبة مساهمة القطاعات غير النفطية في الناتج المحلي لتصل إلى ٧٠% خلال عام ٢٠١٠ مقابل ١٠% خلال عام ١٩٧١، حيث حرصت الدولة منذ إعلان الاتحاد على استخدام مردود الموارد النفطية في بناء بنى تحتية متطورة، أهلتها لتكون مقراً لكبرى الشركات العالمية، ومقصدا لرجال الأعمال، ووجهة استثمارية متميزة. وذلك بفضل المقومات الاقتصادية الضخمة التي تمتلكها، والسياسات الاقتصادية التي تعتمد على الانفتاح والتنوع والمرونة. حيث قدر تقرير غربي الأصولالمستثمرة بالإمارات بنحو ٥٥٠ مليار دولار بنهاية ٢٠١٠،

متوقعاًارتفاعها إلى رقم قياسي، يناهز ٦٠٠ مليار دولار نهاية ٢٠١٢.وتتبنى الدولة سياساتاقتصادية للانتقال إلى مرحلة اقتصادية جديدة ترتكز على رؤية طموحة حتى عام٢٠٢١.

ولتحقيق ذلك تدعم الدولة القطاعات الحالية والناشئة ذات الإنتاجية العالية والقيمة المضافة،والتى تحقق نمواً متزايداً،وتؤكد جاذبية الاقتصاد الوطني للاستثمار،وتؤدى إلى قوته وتنوعه وتحقق فرصاً أفضل لمختلف القطاعات، مما يصلبمساهمة القطاع الصناعي في الناتج الإجمالي للدولة إلي ٢٥%، وصولاً إلي تقليل الاعتماد على النفط كمصدر رئيسي للدخل،وقد بلغتنسبة مشاركة القطاع الصناعي بالفعل إلى ١٦.٤% عام ٢٠٠٩، مقابل ١% عام ١٩٧١.بينما بلغ عدد المنشآت الصناعية العاملة في الدولة نهاية عام ٢٠١٠ حوالي ٤٩٦٠ منشأة .

وتبوأت دولة الإمارات خلال عام ٢٠١٠ المرتبة الـ ١٨ بين الدول المستوردة في العالم، حيث بلغت قيمة وارداتها ١٧٠ مليار دولار من السلع التجارية، بنسبة ١.٤% من إجمالي واردات العالم. وتشكل العمالة الوافدة ٦,٥ مليون نسمة، يشكلون٨٤% من عدد السكان، وأكثر من ٩٥% من القوى العاملة، طبقاً لإحصاء عام ٢٠١٠.

ولعل تعدد النزاعات والتحالفات والمهادنات والاتفاقاتهو الذى أنضج الظروف المواتية للطريقة الطوعية الاختيارية التى قررت بها قبائل ومشيخات وإمارات ساحل عمان الشرقى تقرير مصيرهم وإقامة دولتهم الفيدرالية، والتى استغرق بناؤها وتكونها نحو مائة وخمسين عاماً، منذ

معاهدة السلام العامة عام ١٨٢٠، ثم نظام الهدنة عام ١٨٣٥، إلى أن عقدت معاهدة السلم الدائم عام ١٨٥٣، التى توجت باتفاقية عام ١٨٩٢، ثم توحيد نظم التعليم والبريد، وتشكيل قوة عسكرية مشتركة عام ١٩٣٢، إلى أن تم تكوين مجلس الإمارات المتصالحة، وتشكيل مجلس أعلى من حكام الإمارات السبعة عام ١٩٥٢، إلى أن توج هذا العمل المشترك، بالتكون الطوعى لدولة الإمارات الفيدرالية الدستورية عام ١٩٧١. ولعل تطور اسم المنطقة ليبين لنا خطوات أنشائها، فمن ساحل القراصنة، إلى الساحل المهادن، ثم ساحل الصلح البحري، إلى الساحل المتصالح، ثم الإمارات المتصالحة، وأخيراً دولة الإمارات العربية المتحدة. دولة متماسكة مستقرة مزدهرة، تعمل على تحقيق مصالح مواطنيهابأقل قدر ممكن من المشاكل والنزاعات المحلية والإقليمية والدولية، وكأنها ليست دولة عربية شرق أوسطية. إلا أن كثيرا من المراقبين يبدون تخوفهم من آثار الخلل السكاني، الناتج عن وصول نسبة العمالة الوافدة المؤقتة إلى٨٥% من مجموع السكان، وأكثر من ٩٥% من حجم القوى العاملة. ونظراً لأنهذه العمالة لاتتمتع بالحقوق المدنية والقانونية التى يتمتع بها مواطنو الدولة، ويعاملون كمواطنين من الدرجة الثانية،فإن هذا الوضع يجعلها قنبلة موقوتة قابلة للانفجار،بفعل أى عامل غير محسوب أو متوقع.

المراجع

http://www.14october.com/news.aspx?newsno=649 التوسع البريطانى فى الخليج

- حسين فوزي، سندباد عصري، دار المعارف، القاهرة.

سلطنة عمان

تقع سَلْطَنَة عُمان في غرب آسيا، وتحتل الموقع الجنوبي الشرقي من شبه الجزيرة العربية، وتبلغ مساحتها حوالي ٣١٠ كيلومتر مربع. يحدها من الغرب السعودية، ومن الجنوب الغربى اليمن، ومن الشمال الغربى الإمارات العربية المتحدة. ولديها ساحل جنوبي مطل على بحر العرب، وعلى بحر عمان من الشمال الشرقي. ويبلغ عدد السكان ٤ مليون نسمة طبقا لتعداد سنة ٢٠١٤. وتمثل العمالة الوافدة نسبة ٣٥% من عدد السكان تقريباً. ويتوزع السكان الوطنيون بين جماعتين رئيسيتين: جماعة الغافرية، وهى القبائل العربية الشمالية العدنانية الحجازية، التى تنتمى إلى المذهب السُنِّى، وجماعة الهنائية وهى القبائل العربية الجنوبية القحطانية اليمنية، وتنتمى إلى مذهب الأباضية، وبعض القبائل اليمنية السُنَّية المالكية، وهي تشكل التجمع الأكثر عدداً، وتسكن مسقط. نظام الحكم في عمان ملكي مطلق. ولا يسمح الدستور العماني بالأحزاب السياسية، بينما حق الانتخاب مكفول لكل مواطن عماني بلغ الواحدة والعشرين من عمره، لاختيار نسبة من أعضاء مجلس الشورى.

عصر الخلافة الإسلامية

وصل الإسلام إلى ساحل عُمان فى السنة العاشرة من الهجرة عام٦٣٠ م. وتنقل حكم ساحل وباطن عمان أو أجزاء منها، بالتوالى بين: الأمويين والعباسيين والقرامطة والبويهيين والسلاجقة. وبدأ العمانيون بعد الدوله العباسيه الثانيه بالانفصال عن الخلافة الإسلامية. وكانوا يختارون الأئمة من بينهم، غير أن الإمام ربما يخلع ويختار غيره.

آل نبهان عام ١١٥٤

أصبح الأمر وراثياً منذ حكم آل نبهان لعمان لمدة ٣٥٠ سنة بدأت عام ١١٥٤، وانتهىعام١٥٠٠. وقد تخللت هذه الفترة غزوات وحروب واجهت بني نبهان من الداخل والخارج. وقد استمر حكمهم فى بعض المناطق الداخلية أثناء الاحتلال البرتغالى للساحل، تخللتها أحداث مختلفة منها الصراع على السلطة بين بني نبهان أنفسهم من جهة، وبينهم وبين بعض القبائل العُمانية الأخرى الطموحة إلى الوصول إلى الحكم من جهة ثانية. ويمكن القول بأن نفوذ النباهنة الذى استمر خمسمائةعام، منها مائه تقريباً أثناء الاحتلال البرتغالى، قد اقتصر على المناطق الداخلية في معظم الفترات،إذ تمكنت بعض القبائل المتمردة على حكم النباهنة، من الانفراد

بالساحل بعيداً عن سلطتهم. إلا أن حكم النباهنةامتد إلى الساحل في مراحل أخرى. وكانت عُمان فى معظم الوقت تتكون من مدن على شكل إمارات، مثل: قلهات ومسقط وصحار ومطرح.كلهاتقريباً تدفع أتاوة لحاكم جزيرة هرمز. حتى جاء البرتغاليون عام١٥٠٧، مستغلين الحروب الأهلية وضعف دولتى النباهنة وأئمة الأباضية، الذين تقاسموا حكم المنطقة فيما بينهم وبين النبهانة.

الإحتلال البرتغالى عام ١٥٠٧

تمكن البرتغاليون من السيطرة على أجزاء كبيرة من السواحل العمانية. وظلت عمان تحت الاحتلال البرتغالي، حتى تمكن الإمام ناصر بن مرشد من توحيد البلاد تحت قيادته،وأسس دولة اليعاربة (١٦٢٤ – ١٧٤٤)، بعد مرحلة طويلة من التمزق الداخليوالصراع القبلى، إضافة إلى الاحتلال الأجنبي.

اليعاربة عام ١٦٢٤

اجتمع حوالي سبعين من نخبة علماء عمان الأباضيين في قرية قصوى، في منطقة الرستاق عام ١٦٢٤م. وانتخبوا ناصر بن مرشد بن مالك

اليعربي مرشداً وإماماً، إلا أنه اشترط الولاء التام، فأدى العلماء القسم على ذلك. وقد استطاع الإمام ناصر بن مرشد، بفضل سياسته الثابتة والحازمة تجاه القبائل المتمردة، أن يخضع كافة الممالك الصغيرة في المقاطعات والمناطق. وسقطت في يده القرى والمدن الواحدة تلو الأخرى. بعد ذلك بدأ بدحر الاحتلال البرتغالي، فاستطاع أن يطرده من عمان، باستثناء بعض المناطق المحصنة مثل: مسقط، ومطرح، وصحار. توفي ناصر بن مرشد عام ١٦٤٩، بعد ٢٦ سنة من الحكم،تاركاإمبراطورية مترامية الأطراف. وخلفه ابن عمه سلطان بن سيف بن مالك اليعربي، الذي استطاع أن ينقذ مسقط من أيدي البرتغاليين. وعلى عهده قويت الدولة العمانية كثيراً. توفي السلطان بن سيف وخلفه ابنه بلعرب، وعلى الرغم من كفاءته، إلا أن توليه أعطى مؤشراً على بداية تغيير طبيعة الإمامة في التاريخ الأباضى الحديث، إذ بدا أن الإمامة تتحول من الانتخاب إلى الوراثة.

وطارد اليعاربة البرتغاليين إلى سواحل فارس والهند وشرق أفريقيا. وصارت لليعاربة السيادة الفعلية على المحيط الهندي، لمدة قرن ونصف تقريبا، ممسكة فيها بزمام الأمور. إلا أنه تعاقب سبعة أئمة ينتمون إلى الأسرة نفسها، لكن الاثنين الأخيرين منهم لم يتمتعا بشرعية،مما أدى إلى ضعف دولتهم وانتهاءحكمهم، إثر قيام الحرب الأهلية في عمان.

الحرب الأهلية بين عامي ١٧١٨-١٧٣٧

انقسمت عُمان بعد وفاة الإمام سلطان الثاني بن سيف اليعربي سنة ١٧١٨ إلى مجموعات كبيرة،أسفرت عن قيام حزبين من التحالفات القبلية، هما الحلف الهناوي والحلف الغافري.بدأ الخلافبسبب تمسك علماء الإباضية بانتخاب الإمام. أما الأسرة اليعربية، فقد أرادت إبقاء السلطة وراثية بيدها، وليس طبقاً لإرادة علماء الأباضية. واشتدت الخصومة، وتحزب كل طرف إلى جهة وإلى زعيم.واحتكم الطرفان إلى السلاح. وتحولت الفتنة إلى حرب أهلية. خاض الحلفان حروباً أهلية استمرت حوالي خمسة وعشرين عاماً، ووقعتاضطرابات وثورات وقتال.

يرى البعض أن هذه الخصومة تمثل صورة من الصراع التقليدي، بين تحزب الغافرية،الذى يمثل عرب الشمال العدنانية الحجازية السنية، وتحزب الهنائية،الذي يمثل عرب الجنوب القحطانية اليمنية الأباضية، وكان يضم أيضا قبائل سنية مثل بني ياس والعوامر والمناصير والظواهر، وهي قبائل يمنية سنية من ذوى المذهب المالكي. ومن المعروف أن الصراع كان قديماً بين عرب الشمال والجنوب. وكان عرب الجنوب القحطانيون يرون أحقيتهم في السلطة، على اعتبار أنهم الأغلبية. وكانوا أول القادمين إلى عمان من اليمن وأقدمهم.وتشكل الحزبان الهنائي والغافري،استناداً إلى

تشابك المصالح السياسية والاقتصادية مع الانتماءات القبلية المختلطة، إذ أن هذين الحزبين يمثلون تحالف وولاءات سياسية واقتصادية. ولا يمكننا أن نعتبر التحزب الهنائي والغافري صورة من صور التعصب التقليدي بين القبائل الحجازية العدنانية واليمانية القحطانية فقط، أو نوعاً من أنواع الانتماء المذهبي بين الأباضية والسنة فقط، وإنما هو نوع من المصلحة المشتركة التي جمعت القبائل العمانية في حزب هنائي وآخرغافري. وهناك عدة عوامل كرست هذا التحزب، منها ما يلي:

* الوضع الجغرافي: فقد كان له تأثير كبير، من حيث تقارب مناطق استيطان القبائل فى تجمعات إقليمية جهوية. فالقبائل الغافرية تسكن في منطقة الظاهرة والبريمي وضنك،وهي المناطق الداخلية والغربية من عمان، والمناطق الشمالية من ساحل عمان، مثل رأس الخيمة والشارقة والفجيرة وأم القوين وعجمان. في حين تستوطن القبائل الهنائية في باطن عمان، وبعض المناطق الداخلية، وأبو ظبي ودبي وظفار.

* العامل الاقتصادي: شكل تركيز الأفلاج (ينابيع ومجارى المياة) في مناطق جغرافية معينة، وأساليب الري المشترك، مصالح اقتصادية لمجموعة من القبائل،اعتمدت حياتها على مياه الأفلاج. وأدى هذا العامل دوراً في الانتماءات القبلية لأحد الحزبين، نظرا لأن نظام الأفلاج نظام رى جماعي مشترك، ابتداء من حفره وبنائه، وانتهاء بتوزيع المياه واقتسامها،

حسب الأسهم والحصص فيما بينهم. وكأنه جمعية تعاونية مشتركة ذات نفع عام، أو شراكة تضامنية مساهمة عامة، بين مجموعة معينة في منطقة معينة، يربط فيما بينهم المصالح المشتركة أو الشراكة في مشروع هو الفلج أو الأفلاج. ولذلك ترتبط المصالح الاقتصادية، لأن أى تنافس أو اختلاف فيما بين السكان، يؤثر على مصالح مستخدمى الأفلاج. مما يعني تضرر نظام الري، الذي يؤثر على الزراعة، التي هي العمود الفقري للحياة اليومية والمستقبلية. وللحفاظ على تلك المصالح الاقتصادية عن طريق توحيد التوجهات السياسية، يجب الاعتماد على القوة العسكرية؛ ومنها كان قيام التحالف أو التحزب الهنائي والغافري.

* العامل السياسي: أدى تطابق العامل الجغرافي مع المصلحة الاقتصادية، إلى تشكيل وحدة سياسية إقليمية لمجموعة من القبائل. وشكلت هذه بدورها اتجاهات معينة، من حيث المصلحة العليا لهذه المجموعات القبلية، من حيث ولائها السياسي لأحد الحزبين. وقد أدى الدفاع عن المصالح الاقتصادية لهذه المجموعة الاجتماعية في بيئة جغرافية معينة، إلى توحيد المواقفالسياسية، وبالتالي إلى تشكيل الحزب الذي كان يعبر عن مجموعة قبلية تتوافر فيه تلك العوامل التي ذكرناها.وقد جاءت تسمية التحزب الهنائي والغافري نسبة إلى الزعامة، حيث أطلقت الهنائية نسبة إلى زعيمها خلف بن مبارك القصير الهنائي،

في حين أطلقت الغافرية على أتباع محمد بن ناصر الغافري. واتخذ الهنائية العلم الأحمر والغافرية العلم الأبيض.واستمر الانقسام الهنائي والغافري حتى قيام سلطنة عمان،وقيام دولة الإمارات العربية المتحدة في السبعينيات من القرن العشرين.

الحكم البوسعيدى ١٧٤٤ حتى الآن

تمثل مبايعة الإمام أحمد بن سعيد البوسعيدي، القحطانى الأباضى المنتمى إلى الحزب الهنائى، الذي كان والياً على صحار وما حولها في عام ١٧٤٤م، بداية لحقبة جديدة في التاريخ العماني، استمرت بمراحلها المختلفة على امتداد المائتين والخمسة والستين عاماً الأخيرة. وقد تولي الإمامة نزولاً على رغبة أهل الحل والعقد في عُمان في ذلك الوقت، بالنظر لمواقفه وشجاعته، وبخاصة في تخليص البلاد من الغزاة الفرس. وقد تمكن الإمام أحمد بن سعيد الذي أسس الدولة البوسعيدية، من إعادة توحيد البلاد، وإخماد الفتن الداخلية، وإنشاء قوة بحرية كبيرة، إلى جانب أسطول تجاري ضخم. وهو ما أعاد النشاط والحركة التجارية إلى السواحل العمانية. كما أعاد لساحل عمان دوره في المنطقة. وليس أدل على ذلك من أنه أرسل نحو مائة مركب، تقودها السفينة الضخمة "الرحماني" في عام ١٧٧٥م، إلى شمال الخليج، لفك الحصار الذي ضربه الفرس حول

البصرة، بعد استنجاد الدولة العثمانية به. واستطاع الأسطول العماني فك الحصار عن البصرة. وقد كافأته الدولة العثمانية بخراج البصرة فترة من الزمن. وهو مايؤكد حقيقة أن عمان لم تخضع قط للدولة العثمانية. بعد وفاة السلطان أحمد بن سعيد عام ١٧٩٣، تجدد الصراع على السلطة بين أخوته .

إلا أنه فى خلال خمس سنوات، أي في عام ١٧٩٨م، كان السلطان سلطان بن أحمد قد سيطرعلى المنطقة، وانقلب على أخوية. كما ضم ميناء بندر عباس وجوادر وشهباربالساحل الشرقي الفارسي من الخليج إلى سلطنته.وقام بتدعيم علاقاته مع القوى الكبرى، خاصة الإنجليزية والفرنسية، وذلك في أوج التنافس بينهما على السيطرة على المنطقة. بوفاة سلطان بن أحمد قتيلاً في ٣٠ نوفمبر ١٨٠٤، على يد بعض القراصنة أثناء رحلة بحرية كان يقوم بها بين البصرة وعُمان، خلفه في الحكم ابنه سعيد بن سلطان. وقد تمكن السلطان الشاب من توطيد حكمه، والقضاء عل منافسية من عائلة البوسعيد. وسيطر على عُمان والمناطق التابعة لها. وقد تميز السلطان سعيد بشخصية قوية وإرادة صلبة وأفق واسع وحنكة كبيرة، جعلته بين الفريدين في تاريخ شرق الجزيرة العربية وشرق أفريقيا خلال القرن ١٩. ويعتبر من الشخصيات المهمة في تاريخ العرب الحديث والمعاصر. شهدت فترة حكمه قيام الإمبراطورية العمانية. وشهدت

اهتماماً كبيراً ببناء الأسطولين التجاري والحربي. وكانت الموانئ العمانية مثل مطرح ومسقط وصور، تعد من أهم أحواض بناء السفن، إضافة إلى السفن التي تعاقد السلطان سعيد على بنائها في الهند. وتشير المصادر الأجنبية إلى أنه كان يستدعى خبراء من بريطانيا وهولندا والبرتغال وفرنسا ومصر، لتفقد السفن المصنعة. ومن أشهر السفن في تاريخ الإسطول العماني(تاج بكس) و(كارولين) و(شاه علم) و(ليفربول) و(سلطانة) و(تاجه)، وقد أهدى السلطان البارجة (ليفربول)، والتي كانت تحمل ٧٤ مدفعاً الى وليم الرابع ملك بريطانيا عام ١٨٢٤. واطلق عليهاالأخير اسم (الإمام)، تكريماً لمهديها السلطان الإمام سعيد بن سلطان. وفي منتصف القرن التاسع عشر كان الأسطول العماني التجاري المسلحيتكون من مائة سفينة متعددة الحمولة، كل منها مزود بما بين عشرة مدافع إلى أربعة وسبعين مدفعاً، إضافة إلى مئات المراكب التجارية الصغيرة. ووصف الأسطول العماني في ذلك الوقت، بأنه أقوى أسطول في النصف الأول من القرن التاسع عشر، فيمابين اليابان ورأس الرجاء الصالح. ويأتي في المرتبة الثانية بعد الأسطول البريطانى فى نصف الكرة الأرضية الجنوبى. وعندما تمكنت القوات المصرية من الاستيلاء على الدرعية عام ١٨١٨ ، بادر سعيد بن سلطان بإرسال تهنئة إلى محمد علي، كما وفد حاجاً على مكة عام ١٨٢٤ م. وقد أحسن محمد علي ويحيى بن سرور شريف مكة

استقباله، إذ أرسل محمد علي فرقة مدفعية إلى جدة، لتحية السلطان عندما اقتربت السفينة العمانية (ليفربول) المقلة له من الميناء. وعند عودته من الحج حمل معه هدايا كثيرة من محمد علي وشريف مكة. وكان السلطان يستعين بخبراء مصريين. وتذكر بعض المصادرأنه أراد السيطرة على إمارة البحرين، واتجه إلى تنسيق سياسته مع محمد على. وتفاهما حول مشروع تضم بموجبه البحرين والأحساء (المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية حاليا) تحت حكم السلطان سعيد مقابل أن يدفع مبلغا من المال للحكومة المصرية على سبيل الخراج، ولكن المشروع لم يتم لأسباب غير واضحة. كما أقام السلطان علاقات ودية متينة ومتوازنة مع كل من مصر وبريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية.

بوفاة السلطان سعيد بن سلطان (سعيد الكبير) عام ١٨٥٦، ظلت عمان تعاني من الاضطرابات والانقسامات وتردي الأوضاع الاقتصادية لأكثر من قرن من الزمان، إلى حين تولى السلطنة سعيد بن تيمور بن فيصل آل بوسعيد ، فى ١٠ فبراير ١٩٣٢ خلفا لأبيه تيمور بن فيصل. وتوخى السلطان سعيد سياسة شديدة المحافظة والمعارضة لأي تحديث، كما شهد عهده عزلة البلاد عن العالم الخارجي. وشهدت فترة الخمسينات عدة مواجهات بين نظامه والإمام الأباضي غالب بن علي.وفي عام ١٩٦٤ قام السلطان بوضع نجلة قابوس تحت الإقامة الجبرية.

ثورة ظفار ١٩٦٥

بحلول عام ١٩٦٥اندلعت ثورة ظفار في الجنوب. وفي عام ١٩٦٦ تعرض السلطان لمحاولة اغتيال قام بها ثوار ظفار. وأخيراًأطيح به في إنقلاب، قاده أنصار ابنه قابوس في ٢٣ يوليو ١٩٧٠، وخلع من الحكم ونصب قابوس سلطاناً، عاش سعيد بعدها في المنفى بلندن، إلى أن توفي في ١٩ أكتوبر ١٩٧٢. و دفن في مقبرة بروكود.

واستمرت الثوره إلى أواخر١٩٧٥، أي إلى ما بعد ٥ سنوات من حكم السلطان قابوس. وتم إخمادها بمساعدة قوات إيرانية مسلحة. كما تم إدماج الثوار فى النظام، وإلحاق مقاتليهم البالغ عددهم ١٠,٠٠٠ مقاتل بجيش غير نظامي، يسمى قوات الفرق الوطنية. كما حصلت عمان على دعم خليجى مكن السلطان الشاب (بعد تنحية والده عن الحكم) من تبنى سياسات وبرامج للتنمية الشاملةتنفذ برامج طموحة ترتكز بالأساس على تحديث البنية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، لتكون أداةً ضرورية لبناء الدولة العصرية. وفتحت أبواب التعليم أمام جميع الشرائح.

الإحتجاجات العمانية

هي حملة احتجاجات شعبية انطلقت فى مطلع عام ٢٠١١، متأثرة بموجة الاحتجاجات العارمة التي اندلعت في العالم العربي، وبخاصة ثورتى تونس

ومصر. ففي ١٧ يناير ٢٠١١ تحرك المئات في العاصمة مسقط "المسيرة الخضراء١"،ثم عمت المظاهرات غالبية مناطق ومدن عمان، وردد المتظاهرون هتافات تطالب بمحاربة الفساد المالي والإداري وغلاء الأسعار، وبتحقيق العدالة الاجتماعية، مرددين شعارات من قبيل "لا للفساد"، و"يداً بيد مع السلطان ضد الفساد"، و"الحرية للجميع"، و"العدالة للجميع" و"كلنا شركاء في الوطن". على أثر ذلك بعث السلطان وزير ديوان البلاط السلطاني، ليقابل المتظاهرين في الميدان وجها لوجه، ووضع الوزيرتليفون محمول في جيبه في وضع الاتصال ليستمع السلطان شخصياً من داخل قصره، للمحادثة الطويلة التي دارت بين الوزير والمواطنين المعتصمين وطلباتهم وشكاواهم وسبب تجمعهم. واستمع السلطان لتلك الشكاوى والطلبات. وبعد ثلاثة أيام فقط من لقاء وزير ديوان البلاط بالمتظاهرين قام بإقالة كامل حكومته بصورة مفاجئة. وتم تشكيل حكومة جديدة بوزراء جدد. ولم يستثن من الحكومة القديمة سوى وزيرين فقط. وتم حبس ومحاكمة وزير مكتب القصر الفريق على ماجد المعمري، المتسبب بحرائق صحار، واللواء مالك المعمري الآمر بإطلاق الرصاص الحي. كماأمرالسلطان برفع المخصصات المالية الشهرية لطلبة الكليات والمعاهد والمراكز الحكومية،وأمر بإنشاء هيئة مستقلة لحماية المستهلك. وأمربتوفير ٥٠ ألف فرصة عمل للعاطلين، مع منح مبلغ ١٥٠ ريالاً عمانيا (٣٨٨

دولاراً) شهرياً لكل باحث عن عمل، من المسجلين لدى وزارة القوى العاملة، إلى أن يجد عملاً.كما أمر قابوس باتخاذ الخطوات اللازمة تجاه تحقيق استقلالية جهاز الادعاء العام، وهو مطلب سبق أن طالب به المتظاهرون. كما تم تكليف لجنة وزارية برئاسة وزير ديوان البلاط السلطاني،بوضع مجموعة من المقترحات والتصورات، يتعلق بعضها بإعطاء مجلس الشورى مزيداً من الصلاحيات، وهو أيضا من مطالب المتظاهرين. ورغم أن هذه الإجراءات قد حدت من موجة الاحتجاجات السياسية نادرة الحدوث في الدول الخليجية،وعمّت الفرحة أوساط المحتجين بعد الإعلان عن الحكومة الجديدة.إلا أنهم أكدوا أن اعتصامهم سيتواصل حتى تتحقق مطالب أخرى، تتمثل في الإصلاحات الدستورية. وذبح المعتصمون في دوار صحار أربعة ثيران،فور الإعلان عن الحكومة الجديدة. ورفعوا أصواتهم بهتافات مؤيدة للسلطان قابوس بن سعيد، وأطلقوا على دوار صحار إسم دوار الإصلاح والشهداء.

ونشرت صحيفة القبس الكويتيةيوم الأربعاء ٢٠١١/٣/٢ تقريراًجاء فيه أن مجلس التعاون الخليجي وضع خطة لدعم مملكة البحرين وسلطنة عمان اقتصادياًواجتماعياً، بهدف مساعدتهما على استعادة الاستقرار، عقب تفجر الاحتجاجات. وترمي الخطة إلى إصلاح الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في البحرين وعمان، اللتين تعدان الأضعف اقتصادياً بين دول

المجلس الست. تشمل الخطة توفير فرص عمل للشباب البحرينيين والعمانيين، ليس فقط في البحرين وعُمان، وإنما أيضا في دول المجلس الأربع الأخرى، وتحسين مستوى الخدمات، إضافة إلى توفير مساكن لمن لا يمتلكونها. وذكرت المصادر ذاتها، أن أولوية التوظيف في إدارات دول المجلس ستكون للعمانيين. وقرر وزراء خارجية دول مجلس التعاون الخليجى فى الخميس ٢٠١١/٣/١٠، تقديم ٢٠ مليار دولار على مدى ١٠ سنوات لدعم البحرين وعُمان.

فى يوم الأحد ٢٠١١/٣/١٣، أصدر السلطانقابوس مرسوماً يقضي بمنح مجلس عُمان (البرلمان) صلاحيات تشريعية ورقابية، وبزيادة المعاشات الشهرية للأسر المستفيدة من قانون الضمان الاجتماعي بنسبة ١٠٠%. كما أمر بزيادة قيمة المستحقات التقاعدية لجميع الخاضعين لقانون معاشات ومكافآت ما بعد الخدمة لموظفي الحكومة العُمانيين، بنسبة تصل إلى ٥٠% للفئات المستحقة لأقل معاش تقاعدي. وأقال المفتش العام للشرطة والجمارك، استجابة لمطالب المتظاهرين وفي بيان صدريوم ٢٠١١/٤/٩، قرر النائب العام الإفراج عن جميع المعتقلين على خلفية احتجاجات صحار،ماعدا ٣٤ مازالت التحقيات جارية معهم. المظاهرات والاحتجاجات استمرت. إلا أن أعداد المتظاهرينبدأت فى التراجع بعد أن

استمرت إلى مايقرب من ستة شهور. فيما اعتبره المراقبون انتهاء للأحداث، بلا منتصر ولا مهزوم.

ورغم انخراط الدولة فى تنفيذ برامج طموحة، محققه نجاحات يدركها الجميع، متفرغة للعمل على ترقية نوعية حياه مواطنيها، متعاملة مع المشاكل الناتجة عن التنوع المذهبي والقبائلي، بمشاركة ممثلين من أبناء الطوائف وجهات السلطنة، مبتعدة عن الخوض فى أى معارك دونكيشوتية إقليمية، لدرجة إنهم يبدون لأى متابع وكأنهم طائرشارد، يغرد خارج الأسراب العربية والشرق أوسطية. إلا أن الاقتصاد العماني يعانى من الهشاشة، الناتجة عن اعتماد الموازنة العامة للسلطنة على الصادرات النفطية التى تمثل ٨٥% من مواردها، ونسبة مماثلة من صادرتها،رغم قلة حجمها الذى لايتجاوز مليون برميل يومياً. ولاتملك الدولةاحتياطيات نفطية تذكر. ويرى كثير من المراقبين أنه بدون دعم دول مجلس التعاون الخليجى، لما تمكنت الدولة من الحفاظ على تماسكها. فقراءة تاريخ عمان يوضح لنا هذه الحقيقة بجلاء. فلم تتماسك سوى فى الأوقات التى كانت تتمدد فيها خارج أراضيها، محققة إيرادات خارجية مرتفعة. وهذه الأوقات لم تتجاوز٤٠٠سنة متقطعة عبر تاريخها تقريباً. عاشت فيهم الدولة بدون حروب داخلية وصراعات قبلية وعرقية وسياسية. ولعل تمكن السلطان قابوس من القضاء على الثورة الشعبية فى سبعينيات القرن الماضى، كان يستحيل أن يتحقق من دون الدعم الأيرانى والسعودى. وكذلك قدرته على إنهاء إحتجاجات عام ٢٠١١، ماكان يمكن أن تنتهى دون الدعم الخليجي

السخي. والسؤال الآن فى هذا المناخ المضطرب فى المنطقة: هل سيتمكن السلطان قابوس (الذى لايوجد وريث لعرشة)، بحكمته وحنكته من الحفاظ على النظام الحالى للسلطنة، فى ظل تنامى الطبقة الوسطى الحديثة المتعلمة الشبابية المدنية، ومالها من متطلبات وتطلعات فى عصر الثورة الرقمية والسماوات المفتوحة؟.... السنوات القليلة القادمة هى وحدها القادرة على الإجابة على هذا السؤال.

المراجع

http://www.arab.sh2elh.com/show-80.html

التاريخ الوسيط والحديث للمنطقة

http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A8%D9%86%D9%8A_%D9%86

%D8%A8%D9%87%D8%A7%D9%86 تاريخ بني نبهان

http://www.attarikh-

alarabi.ma/Html/adad13partie13.htmالحرب الأهلية

العمانية ١٧١٨ – ١٧٥٣

* http://aakoor.wordpress.com/2013/06/09

/حركة تحرير ظفار

http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%8

4%D8%A7%D8%AD%D8%AA%D8%AC%D8

%A7%D8%AC%D8%A7%D8%AA_%D8%A7

%D9%84%D8%B9%D9%85%D8%A7%D9%

86%D9%8A%D8%A9_2011 الاحتجاجات العمانية

٢٠١١

دولة الكويت

تقعالكويت في الركن الشمالي الغربي للخليج العربي، الذى يحدها من الشرق. ويحدها من الشمال والغرب جمهورية العراق. ومن الجنوب المملكة العربية السعودية. وتبلغ مساحتها الإجمالية ١٧,٨١٨ كيلومتراً مربعاً. وإجمالي عدد السكانفي ٣٠ يونيو ٢٠١٢ (حسب الادارة المركزية للإحصاء) ٣,٢٦٨,٤٣١ نسمة تقريباً، منهم ١,١٢٨,٣٨١ كويتيين(الثلث تقريبا)، والباقي من الوافدين والأجانب. ويتركز معظم السكان في مدينة الكويت وضواحيها، وبخاصة في المناطق المحاذية لساحل الخليج العربي. ولاتنشر الإحصائيات الرسمية بيانات عن أعداد أو نسب الطوائف. ولكن وفقاً لتقرير "الحرية الدينية في العالم" لعام ٢٠٠٦، الذي تصدره الخارجية الأمريكية، يشكل الشيعة نسبة ٣٠ % من عدد السكان المواطنين. ويذكر التقرير ذاته أيضاً، أن هناك حوالى ١٠٠ ألف شيعي مقيم لا يحملون الجنسية الكويتية (يطلق عليهم الـ"بدون"). وترجع تسمية الكويت إلى تصغير لفظ "كوت"، التي تعني الحصن أو القلعة،المشيدة بالقرب من الساحل. في القرن السابع عشر استوطنت الكويت قبائل العتوب، الذين هاجروا من نجد في القرن السابع عشر إلى الإحساء أولاً، ثم ارتحلوا إلى قرية بالقرب من الزبارة في قطر،ومنهم من رحل للمخراق وعبدان قرب البصرة. أما آل الصباح وآل خليفة والجلاهمة (بطون من قبائل

العتوب)،فقد استقروا في أم قصر قرب شط العرب (تقع بين الرافدين)،ولكن العثمانيين أجلوهم عنها فرحلوا جنوباً. وعند وصولهم إلى الكويت استأذنوا بني خالد حكام الإحساء، التى كانت تتبعها هذه المناطق آنذاك سنة وصولهم القرين. فاستقروا فيها حيث مارسوا التجارة، وامتهنوا الغوص لجمع اللؤلؤ والتجارة البحرية. فازدهرت أعمالهم وتكاثر السكان في المدينة. وهكذا تأسست مدينة الكويت، وكان أغلب سكانها منذ تأسيسها يمتهنون الغوص لصيد اللؤلؤ. وفي سنة ١٧١٦ اتفق سكان الكويت آنذاك على أن يتولى صباح الأول الرئاسة والتجارة البحرية، بين الهند وشبه الجزيرة العربية. الأمر الذي ساعد على تحويل الكويت إلى مركز تجاري في شمال الخليج العربي، وجعلها ميناء رئيسياً لكل من شبه الجزيرة العربية، التى تقع الكويت فى أقصى شمالها، وبلاد الرافدينالتى تقع الكويت فى أقصى جنوبها على ساحل الخليج. وعلى الرغم من أن الكويت حكمها ١٥ شيخاً منذ عام ١٧١٦ وحتى اليوم، فعندما تولى الشيخ مبارك الصباح الحكم (١٨٩٦-١٩١٥)،اعتبره أهل الكويت المؤسس الحقيقي والفعلي للدولة. وقد نص أول دستور للكويت والذى صدر بعد وفاتة فى عام ١٩٢١ وأحتويعلىخمسموادفقطفي مادته الرابعة، على أن جميع حكام الكويت من بعده هم من ذريته،أبنائه وأبناء أبنائه. وفي عهده وقعت الكويت اتفاقية الحماية البريطانية، والتي عرفت باسم معاهدة الصداقة الأنجلو-كويت.وعقدت بين الحكومة البريطانية وحاكم الكويت الشيخ مبارك الصباح في ٢٣ يناير ١٨٩٩ بطلب منه، بهدف مقاومة المد العثماني. وقد اتفق

على أن تكون الاتفاقية سرية، حتى لا تثير مشاكل دبلوماسية مع العثمانيين، إلا أنه أعلن عنها بعد سنوات قليلة من توقيعها.وتضمنت بنود الاتفاقية، أن الشيخ مبارك بن صباح، بدافع من مطلق إرادته ورغبته، يتعهد ويلزم نفسه وورثته وخلفاءه بعدم قبول وكيل أو ممثل أي دولة أو حكومة في الكويت، أو في أي منطقة أخرى، ضمن حدود إقليمه، من دون موافقة الحكومة البريطانية مسبقاً. كما يلزم نفسه أيضًا وورثته وخلفاءه، بعدم التنازل عن أو بيع أو إيجار أو رهن أي جزء من إقليمه، أو إعطائه لغرض إشغاله، أو لأي غرض آخر إلى حكومة أو رعايا أي دولة، من دون أخذ الموافقة المسبقة للحكومة البريطانية.

ولم تنص الاتفاقية على تعهدات بريطانية بتقديم دعم مادي أو التعهد بحماية الكويت، إلا أن السلطات البريطانية أعطت للشيخ مبارك خطاباً مستقلاً، تضمن التزام بريطانيا بمنح حاكم الكويت مبلغ ألف جنيه إسترليني سنوياً، كمقابل لتعهده بعدم بيع أو رهن أي جزء من أراضي الكويت،كما تضمن التزام بريطانيا بحماية الكويت. وقد حولت هذه الاتفاقية واقعياً الكويت إلى محمية بريطانية. استغل الكويتيون هذه المعاهدة في بناء وتدعيم وإرساء قواعد الدولة، حيث وفرت تلك المعاهدة للكويت الاستقرار السياسي الخارجي إلى حد كبير.

وقد دخلت الكويت في نزاع مع الدولة العثمانيةفى أواخر القرن التاسع عشر،حسم بأن احتلت القوات العثمانية في عام ١٩٠٢جزيرتي بوبيان

وورية، ومنطقتي أم قصر وصفوان الحدوديتين، ومناطق مجاورة لخور الصبية. واحتجت الكويت على هذا الاحتلال. وعندما تم تحديد حدود الكويت للمرة الأولىفي يوليو ١٩١٣،حين وقّعت المعاهدةالبريطانية العثمانية لترسيم الحدود بالمنطقة، تم ضم صفوان وأم قصر للدولة العثمانية مع بقاء جزيرة بوبيان وجزيرة وربة تابعتين للكويت.

عندما تولى مبارك الحكم في الكويت، دخل في حروب وصراعات كثيرة اعتبارا من سنة ١٩٠١،لتوسيع وتأمين حكمه وحماية طرق التجارة. كانت أولى هذه الحروب مع يوسف الإبراهيمي، ومع عبد العزيز الرشيد حاكم حائل، والشيخ قاسم آل ثاني حاكم قطر. تحالف فى معظم هذه الحروب مع حليفه عبد العزيز بن سعود، الذى كان قد استولى على الدرعية وبدأ فى توسيع أملاكه بمساعدة من الشيخ مبارك. وقام بوضع إبنه جابر المبارك الصباح، على رأس ثلاثة آلاف مقاتل، للقيام بتأمين الرحلات البرية. وفى عام ١٩١٠احتاج الشيخ مبارك إلى الأموال لشراء الأسلحة، ففرض ضرائب إضافية على التجار وبالتحديد تجار اللؤلؤ. وقد امتنع بعضهم عن دفع الضرائب الجديدة، فأصدر الشيخ قراراً في عام١٩١١ بمنع الغوص بحثاً عن اللؤلؤ في ذلك العام، كوسيلة للضغط على التجار. فبادر بعض التجار بدفع الضرائب المفروضة عليهم، كي يسمح لهم بالبحث عن اللؤلؤ، ما عدا ثلاثة منهم، هجروا الكويت وذهبوا إلى

البحرين. ولم يكن الشيخ يريد خسارة هؤلاء التجار الذين كانوا يعدون من أكبر التجار في الكويت، فقام بإرسال إبنه الشيخ سالم المبارك الصباح لمفاوضتهم. وعاد على إثر ذلك كل من شملان بن علي الرومي وإبراهيم المضف وبقي هلال فجحان المطيري في البحرين. فسافر الشيخ مبارك على متن يخته إلى البحرين برفقتهم، ووافق المطيرى على العودة إلى الكويت.

في يوليو ١٩١٣ وقّعت بريطانيا والدولة التركية معاهدة، تتضمن اعتراف الدولة العثمانية باستقلال الكويت، وترسيم خرائط حدودية بين البلدين، واعتراف الدولة العثمانية بملكية الكويت على جزر وربه وبوبيان ومسكان وفيلكا وعوهة وكبر، وبحق شيخ الكويت في الحصول على الزكاة من القبائل المحيطة بالكويت بمسافة ٣٦٢ كيلومتر، وبعد نشوب الحرب العالمية الأولى، أعلنت بريطانيا أن الكويت إمارة مستقلة تحت الحماية البريطانية. كانت الكويت تستخدم العلم العثماني منذ سنة ١٨٧١، وفي عام ١٩٠٣ رفعت الكويت علماً أحمر كتب عليه توكلنا على الله. وفي سنة ١٩١٤ قرر الشيخ مبارك رفع علم خاص بالكويت، وهو علم أحمر كتب عليه كويت بالوسط، وقد زاره الشيخ خزعل الكعبيحاكمالمحمرةوالأحوازبمنطقه عربستان، على يخته مشرف، وأنزل العلم العثماني ووضع العلم الجديد.

وكان الشيخ مبارك يشجع التجارة الخارجية مع الدول الأخرى، ففي بداية القرن العشرين شجع التجار الكويتيين على فتح مكاتب استيراد وتصدير في الخارج. ففتحوا مكاتب في كراتشي وبومباي وكلكتا وبوربندر وبروال وكوة، وهي مناطق تقع في الهند وباكستان حاليًا. وتمّ إنشاء أول مستشفى في تاريخ الكويت في عهده في سنة ١٩١٠ من قبل الإرسالية الأمريكية. وكان يسمى باسم المستشفى الأمريكاني. كما افتُتح أول مكتب بريد في الكويت في ٢١ يناير ١٩١٥، وكان مقره في القنصلية البريطانية التي كانت تسمى دار الاعتماد البريطاني، وكان تحت إشراف إدارة البريد الهندية التي كانت تستخدم طوابع الهند.

ومن اللافت للنظر إنه تم تشييد سور يحيط بالكويت ثلاث مرات فى تاريخها(فقد كانت على الدوام مطمعا لجيرانها). كان أولها في عهد الشيخ صباح بن جابر عام ١٧٦٠، وبلغ طوله ٧٥٠ مترا. وهو أول سور عرفته الكويت.وكان يمتد عند الساحل الواقع شمال منحدر بهيته، ويحتوي على خمس بوابات، وقيل ست. وقد بني هذا السور بعد ضعف نفوذ بني خالد حكام الإحساء، وعجزهم عن حماية الكويت ازاء التهديدات الآتية من الجنوب بتزايد نفوذ آل سعود،وتهديدأسرةآلسعدونحاكمةإمارةالمنتفق بجنوب العراقمن جهة الشمال. وكان السور مبنيا من الطين.

أما السور الثاني فقد شيد عام ١٨١٤، واحتوى على خمسة أبواب، وبلغ طوله ٢٣٠٠ متر.والغرض من بنائه صد هجومبندرالسعدونشيخقبيلةالمنتفق، الذى قامبغزوالكويت،ولكنبتكاتفأهلالكويتاصلحواماهدممن السورالقديمودعموه وزادوا من طوله.

السور الثالث بني فى ظروف متشابكة كادت أن تمحو الكويت من على الخريطة السياسية. فقد شهد عام ١٩١٩ اضطرابًا في العلاقات، بين عبد العزيز بن سعود والشيخ سالم بن مبارك الصباح، بسبب خلاف حدودي بين نجد والكويت. بدأ الخلاف الحدودي حينما أراد الشيخ سالم في ١٣ سبتمبر ١٩١٩ بناء مدينة تجارية في بلبول.إلا أن الشيخ سالم تخلى عنالمشروع ازاء احتجاج بن سعود. وفي بداية سنة ١٩٢٠ قامت بعض القبائل الوهابية المقاتلة، وكان يطلق عليها الإخوان (وهى تسمية لاعلاقة لها بجماعة الإخوان المسلمين المصرية)ببناء هجرة (معسكر) لهم في منطقة آبار يملكونها، بمنطقة تدعى قرية فى بلدة مطير داخل حدود الكويت.وأعترض الشيخ سالم على ذلك، ولكن الأخوان استمروا فى البناء، وأشتبكوا مع قوات الكويت، وهاجموها وهزموها فى أكثر من موقعة. أرسل الشيخ سالم أكثر من وفد إلى الرياض، مطالباً برد ما نهبه الإخوان في هذه المواقع، ودفع دية القتلى. وكان رد ابن سعود:"السبب في هذا الحادث

تدخلكم فيما لا يعنيكم.اعلموا أن لا حق لكم في بلبول أو قرية. وإني أرى أن يقرر ذلك في عهد بيننا وبينكم فنرعاه". ورجع الوفد إلى الكويت من دون تحقيق نتيجة. وتيقن الكويتيون من أطماع ابن سعود فى أملاك آل الصباح والكويت، دون أى مراعاة لمافعلته عائلة الصباح مع آل سعود، عندما كانو مطرودين من موطنهم بالدرعية، بل من نجد كلها،حيث أعالوهم وأعطوهم جعالات ورواتب دورية ينفقون منها على عوائلهم، وساندوهم فى استرداد موطنهم وتوسيع أملاكهم.وصار الاهتمام الأكبر منصباً على ضرورة بناء سور، يحمي الكويت من الأخطار القادمة. وفي يوم ٢٢ مايو سنة ١٩٢٠ قام الشيخ سالم بتدشين العمل في بناء سور الكويت، وهو السور الثالث للمدينة. وقد فرضت الضريبة على الناس، وتم توزيع إدارةالعمل والمسؤليات بين رجال المدينة البارزين، وانتهى بناء السور في شهر سبتمبر من نفس العام. امتد السور لأكثر من ثلاثة أميال، وعزل المدينة تماماً عن البر.ووصل إلى داخل البحر لمنع التسلل عن طريق البحر. وكان للسور ثلاث بوابات وبوابة رابعة خاصة بالأمير. وكانت كل بوابة أشبه بالحصن، بحيث عندما تغلق وتوضع خلفها المزاليج وألواح الخشب الكبيرة تتحول المدينة إلى قلعة لا يمكن اختراقها.وقد زود السور بأبراج وصل عددها إلى ستة وعشرين برجاً، بها فتحات لإطلاق النار.

وفي شهر أكتوبر من نفس العام قامت قوات كبيرةمن الإخوان، تقدر ب٤,٠٠٠ رجل منهم ٥٠٠ خيال.بالتقدم باتجاهجنوب الكويت. فخرج الكويتيون إلى الجهراء فى قوةمن٥٠٠ رجل من أهلها، تدعمت بحوالى ٢٠٠٠رجل من الحلفاء، حيث نشبت معركة الجهراء فى يوم ١٠ أكتوبر١٩٢٠. ولم تسغرق المعركة سوى ثلاث ساعات، سقطت الجهراء بعدها بيد الإخوان. وأرسل فيصل الدويش قائذ قولت الأخوان منديل بن غنيمان إلى الشيخ سالم المبارك لعقد الصلح، وإلا فإنه سيرخص للإخوان بمهاجمة قصرالأمير والاستيلاء على الكويت. وتمثلت الشروط التي عرضها الإخوان للصلح في: الإسلام ومنع التدخين والمنكرات وتكفير الأتراك، على الرغم من أن الأتراك كانوا قد غادروا المنطقة منذ سنوات.

في أثناء ذلك طلب الشيخ سالم المساعدة البريطانية. وتمت مقابلة بين الأمير ورسولين من الأخوان،بحضور الرائد جون مور، المقيم السياسي البريطاني في الكويت،الذسلم إليهما رسالةً رسميةً، تتضمن تهديدًا من الحكومة البريطانية للإخوان، من أي هجوم تتعرض له الكويت. وتم إلقاء بعض من نسخ هذه الرسالة عن طريق الطائرات فوق مخيم الإخوان بالصبيحية خارج أسوارالكويت. وقد نصت الرسالة على: "إلى الشيخ فيصل الدويش وجميع الإخوان الذين معه: ليكن معلومًا لديكم بما أن أفعالكم ضيقت على البادية،وعلى الجهراء أيضاً، وبما أن من واجب الحكومة

البريطانية أن تعمل ما هو في عادتها بحسب الصداقة والإصلاح،والآن وما دمتم تهددون ليس فقط حقوق سعادة شيخ الكويت الذى نلتزم بتأميننا له، بل وضد بريطانيا وسلامة الرعايا البريطانيين، فلا يمكن للحكومة البريطانية أن تجتنب التدخل في هذه المسألة. ثم أنه من الالتزامات التى تعهد بها من مدة قصيرة سعادة الشيخ عبد العزيز آل سعود، إلى فخامة السير برسي كوكس المندوب السامي في العراق، تثق الحكومة البريطانية في أن أفعالكم هي بعكس إرادة وأوامر الأمير. ولا شك في أن سعادته سينبهكم بذلك عندما يعلم بأفعالكم، وبناء عليه ننبهكم بأنه إذا كررتم هجومكم على مدينة الكويت، فحينئذ ستعاملونكمجرمي حرب، ليس عند شيخ الكويت، بل عند الحكومة البريطانية أيضاً. فالحكومة البريطانية لن تتهاون معكم، بل ستقوم بأفعال عدائية باستخدام القوة اللازمة. هذا مالزم إعلامه لكم". أثناء ذلك وصلتسفينتان حربيتانإلى ميناء الكويت في ٢١ أكتوبر، بالإضافة إلى طائرتين بريطانيتين. وفي ٢٢ أكتوبر وصلت سفينة حربية ثالثة على متنها السير أرنولد ويلسون المفوض المدني بالوكالة في العراق. أرسلت بعدها طائرة حلقت فوق مخيم الإخوان في الصبيحية، وألقت منشورات تتضمن تهديدهم من مغبة شن هجوم على مدينة الكويت. انسحب الإخوان من الصبيحية إلا أنهم رجعوا من جديد في منتصف شهر ديسمبر، بجموع كبيرة بقيادة فيصل الدويش، وأغاروا على عدة مواقع

بالمنطقة. إلا أن الحاكم السياسي البريطاني للبصرةكتب رسالة إلى الدويش وعاود ارسال الطائرات فوق جموعالإخوانلترهيبهم،فرجعواإلىنجد.

تولى حاكم المحمرة والأحواز الشيخ خزعل أمر الصلح بين الكويت والرياض،وتم إرسال وفد للصلح إلى الرياض،برئاسة الشيخ أحمد الجابر الصباح ولي عهد الكويت آنذاك،والتقى الوفد بأبن سعود فى الرياض. وقبل مغادرة الوفد والرجوع للكويت، بلغهم وفاة أمير الكويت الشيخ سالم الصباح، فابتهج الملك عبد العزيز وقبل بالصلح.

في ٢ ديسمبر ١٩٢٢ وقعت معاهدة العقير، حيث اجتمع في العقير كل من السيربيرسي كوكس، والميجور مور، المعتمد السياسي البريطاني في الكويت ممثلا للكويت، ووزير المواصلات والأشغال العراقي، صبيح بك ممثلا عن العراق، والتقوا مع عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود، وانصب النقاش حول ترسيم حدود نجد مع العراق والكويت. وبدأ الطرفان بالتشدد في مواقفهم، حيث طلب العراق ألاتقل حدوده عن ٢٠٠ميل جنوب الفرات،أى على بعد ١٢ ميلا من الرياض. بالمقابل طلبابن سعود كل مناطق البدو الشمالية من حلب حتى نهر العاصي، وعلى جانب الشط الأيمن للفرات وحتى البصرة. وطالب أيضا بحدود قبلية طبقا لمنازل القبائل الموالية لكل طرف، بدلاً من الترسيم بحدود ثابتة عن طريق الخرائط، مما يجعله يلتهم غالبية مساحة الكويت، حيث انتشرت فى وسطها الدعوة

الوهابية. بضغط من كوكس تخلى ابن سعود عن مطلبه في قبائل الظفير، والتي تسكن بالقرب من الفرات، ولكنه واصل مطالبه الأخرى. استمرت النقاشات طوال خمسة أيام.ولم تتوصل الأطراف لاتفاق، فقام بيرسي كوكس برسم الحدود بالخط الأحمرعلى خريطة،اعتمدت من قبل الأطراف الثلاثة رغما عنهم، فهي بالطبع لم تعط أى منهم ماأراد. وتقرر بناء على هذه الخريطة إنشاء منطقتين محايدتين، الأولى بين الكويت والسعودية، والثانية بين العراق والسعودية.

في عام ١٩٣٧ تم اكتشاف أول بئر نفط، وهو بئر بحره، إلا أن أول شحنة نفط صدرت في ٣٠ يونيو سنة ١٩٤٦، بسبب ظروف الحرب العالمية الثانية. وفي ١٩ يونيو سنة ١٩٦١ تم إلغاء معاهدة الحماية البريطانية التي وقعت في ٢٣ يناير عام ١٨٩٩. وتم إعلان استقلال دولة الكويت عام ١٩٦١.

في هذه الأثناءعقد الرئيس العراقيعبدالكريمقاسممؤتمراًصحفياً،فيمقرةالدائمفيوزارةالدفاعالعراقية،يوماالأحد ٢٥ يونيو ١٩٦١،طالبفيهصراحةًبضمالكويت،وأعلنأنالكويتجزءلايتجزأمنالعراق،وأنهعلىشيخالكويتأنيعيدالأمورالىمجراهاالطبيعي،كماصرحبأنهمصممعلىحماية " الشعبالعراقيفيالكويت،وأنهبصددإصدارمرسومجمهوري،بتعيينشيخالكويتقائمقاماً

لقضاء الكويت التابع للواء البصرة . ثم بدأ عبد الكريم قاسم بتهديد أمير الكويت، وقال: "سوف أنذر الشيخ بعدما التعسف بحق شعب الكويت، وإنأساء التصرف فسيلقى العقاب الصارم، ويحسب فيعداد المتمردين".

وأعلنت العراق رسمياً بعد هذا المؤتمر، قطع العلاقات الدبلوماسية مع أي دولة تعترف باستقلال الكويت، أو تتبادل معها التمثيل الدبلوماسي.

كما استولت القوات العراقية على مجموعة من السفن الكويتية، أثناء رسوها في ميناء البصرة. وأصدرت الحكومة العراقية قراراً بتجميد أموال الكويتيين في المصارف العراقية. وكادت أن تحدث حرب حقيقية، فقد أنزلت بريطانيا قوات عسكرية قوامها ٥,٠٠٠ جندي إلى الكويت. وأعلن عبد الناصر تأهب الجيش المصرى للتحرك نحو الكويت. وتأزم الموقف الدولي، إلى أن انتهى بتدخل الأمم المتحدة وتراجع عبد الكريم قاسم.

وبانتهاء هذه الأزمة عادت الكويت لاستكمال تأسيس نظامها السياسى. وكانت البداية بوضع دستور دائم للكويت. فتقرر إجراء انتخابات لاختيار لجنة تضم ممثلين عن الشعب لتصيغ الدستور. وفي ١١ نوفمبر سنة ١٩٦٢ تم إصدار الدستور. ونصت المادة السادسة منه على أن نظام الحكم في الكويت ديموقراطي، السيادة فيه للأمة، التي هي مصدر السلطات جميعاً. وتأسس نظام برلماني متمثلاً بمجلس الأمة الذي يمثل

السلطة التشريعية. وفي ٢٩ يناير سنة ١٩٦٣ تمافتتاح أول جلسة لمجلس الأمة.

في صيف عام ١٩٨٢ حدثت أزمة سوق المناخ، التي كانت إحدى أكبر الهزات في تاريخ الكويت الاقتصادي.فقد عجز العديد من المتداولين في بورصة الكويت عن دفع بعض الشيكات المؤجلة.حيث كان العديد من المستثمرين يشترون ويبيعون الأسهم بالأجل، مما أدى إلى ارتفاع قيمة الأسهم، ثم انخفاضها بشكل كبير ومفاجئ. مما أدى إلى حدوث أكبر أزمةاقتصادية في تاريخ الكويت. وقد عولجت الأزمة بشراء الحكومة أسهما بقيمة ٢,٥ مليار دولار أمريكي.

وفي عام ١٩٨٣ تعرضت الكويت لسلسلة من التفجيرات، أطلق عليها تفجيرات الكويت ١٩٨٣. واستمرت من ديسمبر ١٩٨٣ إلى مايو ١٩٨٨. استهدفت الهجمات منشآت أجنبية وكويتية وسفارات أجنبية مهمة في الكويت.ويعتقد أن منفذي التفجيرات منظمات إرهابية تابعة لحزب الدعوة الشيعي، الذى يتخذ من العراق مقراً له. وقد شملت التفجيرات كلاً من السفارة الأمريكية في الكويت، وموكب الشيخ جابر الأحمد الصباح، وعدة مقاه شعبية. وفي ٢٥ مايو ١٩٨٥ تعرض الشيخ جابر الأحمد الصباح لمحاولة اغتيال فاشلة، في طريقة للذهاب إلى مكتبه في قصر السيف. وقد توفي شخصان من الحرس المرافق له في الحادث. وكانت هذه المحاولة

عن طريق سيارة مفخخة، اعترضت موكب الأمير من قبل أحد الإرهابيين، يدعى جمال جعفر علي الإبراهيمي، من أعضاء حزب الدعوة. وذلك بالإضافة لخطف الطائرة الجابرية عام ١٩٨٨، وقتل عدد من ركابها. كما تم خطف الطائرة كاظمة.وتوقفت هذه الأحداث فى مايو ١٩٨٨.

في ٢ أغسطس عام ١٩٩٠ غزت العراق الكويت، على خلفيةاتهام صدام حسين للكويت بسرقة النفط عبر الحفر بطريقة مائلة، وبدعوى أن زيادة إنتاجها من النفط، أدى إلى انخفاض سعر النفط العالمى عن المعدل الطبيعي، مما يسبب الخسائر للعراق. وفي ١٧ يناير سنة ١٩٩١ قامت قوات التحالف المكونة من ٣٤ دولة منها مصر وسوريا بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية بهجمات ضد العراق، بغطاء من الأمم المتحدة، لتحرير الكويت من الاحتلال العراقي، فيما عرف باسم "حرب تحرير الكويت" و"بحرب الخليج الثانية". وفي ٢٧ فبراير ١٩٩١، أعلن الرئيس الأمريكي جورج بوش الأب تحرير الكويت، بعد ٧ شهور من الاحتلال العراقي. بعد التحرير عادت الحياة مرة أخرى فى الكويت إلى عهدها السابق.

من الناحية الاقتصادية، تعد الكويت أحد أهم منتجي ومصدري النفط في العالم. فهي تمتلك خامس أكبر احتياطي نفطي في العالم، حيث يوجد في أرضها ١٠% من احتياطي النفط العالمى. ويمثل النفط والمنتجات النفطية ما يقرب من ٨٧% من عائدات التصدير و ٨٠% من الإيرادات الحكومية. وتعتبر الكويت من البلدان ذات الدخل المرتفع، بحسب تصنيف البنك الدولي. وتعود أسباب تلك القوة الاقتصادية، إلى ضخامة الناتج المحلي

الإجمالي، الذى تعادل قدرته الشرائية١٦٧.٩ مليار دولار. ونصيب الفرد المرتفع من الناتج المحلي الإجمالي، الذي بلغ قرابة ٤٥,٤٥٥ دولار أمريكي في عام ٢٠١١.كما تملك الكويت خامس أكبر صندوق سيادي في العالم، والذي تديره الهيئة العامة للاستثمار. ويعد هذا الصندوق (يسمى صندوق الأجيال القادمة) أقدم الصناديق السيادية في العالم، حيث أنشئ عام ١٩٥٣، ويملك ما يقارب ٢١٠ مليار دولار من الأصول تمثل١٤٠٪ من الناتج المحلي الإجمالي، ومعظم استثماراته خارجية.

وقد عادت الحياة السياسية إلى عهدها قبل الاحتلال. فما أن ينتخب المجلس إلا ليحل مرة أخرى (حل سبع مرات منذ إنشائه)، بفعل التوترات السياسية التى تحكم علاقات القوى السياسية بالسلطة التنفيذية، وبين بعضها البعض. وقد يكون من المناسب إلقاء نظرة سريعة على نتائج انتخابت آخر برلمان للتتعرف على الحالة السياسيةالراهنة فى الكويت:

فقد أسفرت انتخابات المجلس التى جرت ٢٠١٢، عن فوز القوى المعارضة بعدد ٣٣ مقعداً، ليشكلوا ما يقارب ٦٦% من أعضاء البرلمان المنتخبين البالغ عددهم ٥٠ عضواً، وينتمون للقوى الإسلامية، بشقيها الإخوانى والسلفي، فضلاً عن القوى القبلية. وبلغت نسبة التغيير فى تركيبة مجلس الأمة الأخير ٥٢%، وتفاوتت تلك النسبة بين الدوائر الانتخابية. وقد غيرت هذه الانتخابات خريطة القوى السياسية فى الكويت، وحملت العديد من الدلالات، التى يمكن إجمالها على النحو التالى:

– التغير فى تركيبة النخبة البرلمانية، لتصبح المعارضة هى الأكثرية لأول مرة فى تاريخ البرلمان، مما يمثل المتغير الأكبر فى الحياة السياسية الكويتية.

– تنامي الاتجاه الداعى للتغيير، وهو ما يعود بدرجة أساسية إلى حراك أبناء الأجيال الجديدة، والذين يركزون على استهداف الأعراف السياسية، التى تتمحور حول حصانة منصب رئيس الحكومة، وضرورة انتخاب رئيس وزراء من الشعب، أي من خارج الأسرة الحاكمة.

– غلبة المعارضة ذات التوجهات الإسلامية السلفية والإخوانية على تركيبة البرلمان، والتراجع الشديد فى تمثيل القوى الليبرالية. وهو ما يعبر عنه أعضاء كتلة العمل الوطنى بالبرلمان الحالي، بحيث تقلص عددهم من خمسة أعضاء إلى عضو واحد.

– سقوط النواب الموالين للسياسات الحكومية. حيث حاز نواب آخرون على مواقعهم، على الرغم من أنهم يمثلون نفس الإتجاه.

– تراجع النواب الذين ينتمون إلى المذهب الشيعي فى المجتمع الكويتي، بتأثير الفرز الطائفي، الناتج عن الاحتجاجات البحرينية .

– انعدام التمثيل النسائى فى برلمان ٢٠١٢، فى مقابل أربع نائبات فزن فى إنتخابات ٢٠٠٩ شكلن ٨% من إجمالى الأعضاء. فإذا كانت المرأة الكويتية ربحت حق التصويت، فإنها خسرت فرصة التمثيل.

– سقوط النواب الذين خاضوا الانتخابات الفرعية التى تجريها القبائل للمفاضلة بين أبنائها، مما يشير إلى غلبة الانتماء السياسي على حساب

الانتماء القبلى. وعلى الرغم من أن كتلة المعارضة أصبحت تضم نحو ٢٠ نائبا من أبناء القبائل، إلا أن كثيراً من المراقبين يرجعون ذلك لتحالف القبائل مع التيار الإسلامي.

ويتنبأ كثير من المراقبين، بتوقعات مستقبلية تتعلق بتزايد المواجهات وتصاعد الصراع، وتلاحق الأزمات السياسية، سواء بين السلطة التنفيذية (العائلة المالكة) والسلطة التشريعية (القوى السياسية)، أو بين القوى السياسية بعضها البعض. ويتخوفون من تأثير هذة الأزمات المتوقعة على كيان الدولة. ويزيد من هذه المخاوف بالطبع أحداث العنف التى يموج بها الإقليم. والعناصر الحاكمة لشكل وطبيعة ومسار ومستقبل الصراع السياسى ربما تشمل:

- قدرة الأسرة الحاكمة على استيعاب الموقف، والتحول إلى ملكية دستورية تملك ولاتحكم.
- المزاج السياسى العام للشعب الكويتي، ومدى تقبله ودعمه للتيارات الإسلامية.
- قدرة التيار المدنى، سواء كان قومياً أو يسارياً أو ليبرالياً، على مراجعة وضعه السياسى وحجمه التنظيمى وتصوره الفكري تجاه قضايا العالم والأقليم والوطن، وإدركه لما أظهرته الانتخابات الأخيرةمن دخول شرائح مجتمعية جديدة من العناصر الشابة إلى الحياة السياسية، تأمل فى بناء دولة المواطنة وسيادة القانون، وهى وإن كانت متحالفة مع جماعات

الإسلام السياسي، إلا إنه تحالف إنتخابيمعرض للتغيير، طبقا لمسار الصراع السياسى.

المراجع

- سعود السنعوسى،ساق البامبو (رواية)، الدارالعربيةللعلوم، الكويت.

http://alwatan.kuwait.tt/articledetails.aspx?I

d=180302 سكان الكويت -

http://www.muslm.org/vb/showthread.php?

275033-عددالشيعةفى دولالخليج

http://www.neelwafurat.com/itempage.aspx

?id=lbb104647-64805&search=books كتاب:

الكويت وجاراتها هـ.ر.ب ديكسن

http://www.nationalkuwait.com/forum/inde

x.php?threads/1962/معاهدة العقير عام ١٩٢٢ لترسم - الحدود بينجد والكويت والعراق

http://www.marefa.org/index.php/ حرب الخليج

الثانية

دولة قطر

قطَر شبه جزيرة تقع على الشاطئ الشرقي لشبه الجزيرة العربية، وفي منتصف الساحل الغربي للخليج العربي. لها حدود برية مشتركة من الجنوب مع المملكة العربية السعودية وبحرية مع دولة الإمارات العربية المتحدة ومملكة البحرين. ويبلغ عدد سكانها ٢ مليون نسمة فى تعداد فبراير عام ٢٠١٤. وفي قطر أعلى نسبة وافدين فى أي دولة في العالم، إذ يشكل المواطنون نحو ١٢% من إجمالي تعداد السكان.ويسكن ما نسبته ٨٣% من السكان في الدوحة.

في التاريخ الإسلامي خلال القرن السابع للميلاد، كانت أرض قطر والمناطق المجاورة لها، تابعة لحكم المناذرة العرب. حيث استجاب ملكهم المنذر بن ساوي للدعوة الإسلامية، بعد أن أوفد إليه النبىمحمد (ص) أبا العلاء الحضرمي في عام ٦٢٩، وأعلن إسلامه، وأسلم معه العرب التابعون لحكمه. ومنذ ذلك التاريخ، دخلت المنطقة في موكب الحضارة الإسلامية، بمراحلها وعهودها المتعاقبة. وتروي مصادر التاريخ العربي الإسلامي شواهد متعددة، على حضور الأهالى وبراعتهم في ركوب البحر، ومشاركتهم في تجهيز الأساطيل البحرية، لنقل الجيش الإسلامي تحت قيادة أبي العلاء الحضرمي.

ظلت المنطقة تابعة للخلفاء الراشدين، ثمانتلقت من بعدهم إلى بني أمية، حيث ظلت خاضعة لعمال أمويين حتى العهد العباسي. وبانتهاء الدولة العباسية الثانية، تشتتت المنطقة بين القبائل والمشيخات، واختفى الحديث عنها في المصادر المختلفة،إلى أن وقعت تحت الاحتلال البرتغالي عام ١٥١٤. وفى عام ١٥٥٥ خلص العثمانيون المنطقة من الاحتلال البرتغالى، وأصبحت ولاية تابعة للعثمانيين. تواصل الوجود العثماني على الساحل الشرقي للجزيرة العربية، بشكل أو بآخر من البصرة إلى شبه جزيرة قطر. ومع ذلك لا نجد إدارة عثمانية حقيقية خارج نطاق ولاية البصرة، إلى أن قام آل حميد، أحدى بطون بنى خالد، بتمرد على العثمانيين، وطردوهم وأعلنوا أنفسهم ملوكاً على الإحساء.

التاريخ الحديث

يبدأ التاريخ الحديث لقطر في منتصف القرن الثامن عشر، عندما هاجرت عدة قبائل عربية إلى هذه البلاد،من ضمنها العتوب، الذين استقروا في الزبارة،على الساحل الغربي لقطر سنه ١٧٦٦، وكثير من القبائل العربية الصغيرة الأخرى. كانت كل هذه القبائل تسكن شبه جزيرة قطر، التي لاتتعدى مساحتها١١,٤٣٧ كم^2. عندما نزل آل ثاني فى عام ١٨٤٨ إلى الدوحة، في ظروف غاية في الشدة والاضطراب، برزت فيها شخصية

الشيخ محمد بن ثاني، وابنه الشيخ قاسم بن محمد، الذى يعتبره المؤرخون المؤسس الفعلي لإمارة قطر. قبل نزولهم كان بنو مسلم يحكمون المنطقة باسم بنى خالد، من مركزهم بالحويلة، غير أنه مع قيام الدولة السعودية الأولى (يطلق الإخباريون والمؤرخون العرب مسمىالدولة السعودية سواء الأولى أو الثانية، على تمدد آل سعود، وسيطرتهم على قبائل نجد وأي قبائل أخرى يستطيعون الإغارة عليها)، وتوسعها في الإحساء،بدأتالهجوم على الزبارة في عام ١٧٩٨ وسقطت في يدهم بعد خسائر فادحة بالأرواح. ثم شرعوا في الاستيلاء على بقية شبة جزيرة قطر، وهكذا امتدت سلطة السعوديين إلى شرقي الجزيرة العربية.وضم السعوديون كلا من الإحساء وقطر والبحرين في ولاية واحده. كانت الزكاة تجمع من قطر والإحساء، لترسل إلى مقر الولاية في البحرين، وعندما اشتد خطر آل سعودعلى النفوذ العثماني في الجزيرة العربية، لجأ السلطان العثماني إلى واليه في مصر محمد علي باشا، الذي أرسل حملات عسكرية،استطاعت الوصول للعاصمة السعودية الدرعية بنجد، وتدميرها والقضاء على الدولة السعودية الأولى ١٨١٢-١٨١٨.

إنتهز آل خليفة فرصة القضاء على الدولة السعودية الأولى، لاستعادة مركزهم في البحرين، بعد أن فقدوه تحت الحكم السعودي. وتمكن محمد بن خليفة من انتزاع السلطة في البحرين، وانفراده بها من دون آل خليفة،

بمساعدة القبائل القطرية. إلا أنه تنكر لهم فيما بعد، وانقلب عليهم، واشتبك الطرفان في معركة أم سوية عام ١٨٤٧، التي خرب فيها البحرينيون الدوحة تماماً. فى أثناء ذلك ظهر الأمير فيصل بن تركي آل سعود، شارعاً فى بناء الدولة السعودية الثانية، حيث نجح في استعادة نجد والإحساء، ثم وصل بقواته إلى حدود قطر عام ١٨٥٠م، ودارت بينه وبين شيوخ قطر اشتباكات عند مسيمير،انتصرت فيها القوات القطرية، وبرز خلالها قاسم بن محمد آل ثاني قائداً للقبائل القطرية. غير أن والده (محمد بن ثاني) استطاع أن يبرماتفاقا مع السعوديين لإنهاء الصراع، تخوفاً من عودتهم إلى قطر بقوة أكبر. وسبب هذا الاتفاق مع الأمير فيصل إزعاجاً لآل خليفه، وجعلهم يتهمون القطريين بالانحياز إلى السعوديين.

ساءت الأمور بشكل سريع بين قطر والبحرين، واعتبارا عام ١٨٦٧ وقعت العديد من المعارك البرية والبحرية، فطلب حاكم قطر الشيخ محمد بن ثاني العون من العثمانيين فى البصرة، جاءت إلى قطر حامية عسكرية عثمانية في يوليو عام ١٨٧١، واستقرت في (البدع) ضمن خطة للدولة العثمانية للسيطرة على شرق الجزيرة العربية، إنطلقت بموجبها واحتلت الإحساء. إنتهت هذه المرحلة بتدهور العلاقات بين العثمانيين والشيخ قاسم، الذي كان قد تولى الحكم في١٨٧٨، وأستمر فيه حتى عام ١٩١٣.ووصلت الأمور إلى حد الصدام المسلح في معركة الوجبة عام ١٨٩٣، ولقى فيها

العثمانيون هزيمة مخزية، وشهدت السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر إنتهاء نفوذ الإمبراطورية العثمانية على المنطقة.

العلاقات القطرية البريطانية

نتيجة حدوث بعض أعمال القرصنة على ساحل قطر، أرسلت شركة الهند الشرقية البريطانية المدمرة فيستال عام ١٨٢١، لتطلق مدافعها على طول ساحل المنطقة، لإرهاب الشيوخ والأهالي، وإثبات قوة بريطانيا. وكان التدميرمن نصيب البدع، وهاجر المئات من سكانها إلى الجزر الممتدة بين قطر والساحل العماني. وكان هذا القصف البريطاني لسواحل قطر أول إتصال لبريطانيا بقطر.

وقعت بريطانيافي عام ١٨٩٧مع الشيخ محمد بن ثاني حاكم البلاد إتفاقية السلام البحري. وتعهد بموجبها الشيخ نيابة عن نفسه وأسرة آل ثاني والقبائل القطرية الأخرى، بالإقامة الدائمة في الدوحة، وعدم الإغارة على جيرانها. والمحافظة على السلام البحري، ومراجعة المقيم السياسي البريطاني في الأمور المخلة بالأمن، وكذلك القيام بمحاربة تجارة الرقيق وتجارة السلاح والقرصنة البحرية. ومن جانب آخر أعلنت بريطانيا اعترافها باستقلال قطر وبحكم آل ثاني، وتعهدت بالمحافظة على سلامتها ضد أي عدوان تتعرض له.

ومع أن العلاقات القطرية – البريطانية شهدت الكثير من الأزمات طيلة حياة الشيخ قاسم، وذلك بسبب الضغوط السياسية والاقتصادية والعسكرية البريطانية عليه، إلا أن هذه العلاقات شهدت إنفراجاً كبيراً وتحسناً ملحوظاً بين البلدين منذ عام ١٩١٣، وذلك أنه في هذا العام بدأت المفاوضات العثمانية البريطانية، وانتهت هذه المفاوضات بين الجانبين، بتوقيعهما بالأحرف الأولى، على تحديد الحدود بين مناطق النفوذ البريطاني والعثماني في المنطقة في ٢٩ يوليو سنة ١٩١٣، وقد نصت المادة الحادية عشرة من الاتفاقية على أن تتنازل الدولة العثمانية عن سيادتها على قطر، وأن يحكمها الشيخ قاسم بن محمد آل ثاني وأسرته بالولاية من بعده، وتتعهد بريطانيا بعدم السماح لأية جهة ما بالاعتداء على قطر أو التدخل في شئونها الداخلية. وبتوقيع هذه الاتفاقية، التي تنازلت بموجبها الدولة العثمانية عن سيادتها على قطر لبريطانيا، تكون العلاقات القطرية – البريطانية – قد دخلت مرحلة جديدة، مهدت لمعاهدة الحماية البريطانية على قطر،التي وقعت في ٣ نوفمبر سنة ١٩١٦.

وعندما نشبت الحرب العالمية الأولى في سبتمبر ١٩١٤، انضمت الدولة العثمانية إلى جانب ألمانيا ضد بريطانيا وحلفائها، ونظراً للعلاقات المتوترة بين شعوب منطقة شبه الجزيرة العربية والدولة العثمانية، فقد استطاعت بريطانيا كسب ود معظم زعماء المنطقة في الوقوف إلى جانبها في الحرب

ضد الدولة العثمانية. وكان الشيخ عبد الله بن قاسم آل ثاني شيخ قطر ضمن زعماء شبه الجزيرة والخليج، الذين انضموا إلى جانب بريطانيا بصورة مباشرة أو غير مباشرة فيمقابل أن تحقق لهم بريطانيا الاستقلال والأمن. وقد أثرت الحرب على معيشة أهالي قطر، حيث انقطعت الكثير من المواد الغذائية، كالأرز والقمح والسكر والشاي والبن وغيرها من السلع الأخرى، كما توقفت الدول الأوربية والهند عن شراء اللؤلؤ، وقلت موارد البلاد من الضرائب الجمركية، الأمر الذي إضطرالقطريين إلى طلب المساعدة المالية والمعونات الغذائية. وعلى الرغم من انحياز الشيخ قاسم إلى بريطانيا في الحرب، إلا أنه كان يقدم للحامية العثمانية في البلاد المساعدات المالية والغذائية، بعد أن انقطعت الإمدادات عنها من الحكومة العثمانية، بسبب الحصار البحري الذي فرضته القوات البحرية البريطانية على مياه الخليج، لمنع وصول تلك الإمدادات إلى القوات العثمانية في منطقة الخليج وشبه الجزيرة العربية. وقامت الحكومة البريطانية بعد أن أخطرها الشيخ قاسم بالأمر، بمطالبة الحامية العثمانية بالاستسلام. وغادرت ميناء الدوحة يوم ١٩ أغسطس ١٩١٥على ظهر السفن البريطانية إلى البحرين، ومن ثم إلى الأناضول.

ووقعت معاهدة الحماية البريطانية على قطريوم ٣ نوفمبر سنة ١٩١٦ في الدوحة. وقد تعهد فيها الشيخ عبد الله بن قاسم، الذى كان قد تولى الحكم

خلفا لوالده فى عام ١٩١٣، بموجب المادة الأولى من المعاهدة، أن يتعاون مع بريطانيا في القضاء على تجارة الرقيق والقرصنة البحرية، والحفاظ على السلم البحري بصورة عامة، أسوة بشيوخ إمارات الساحل المتصالح (أبو ظبي ودبي والشارقة والفجيرة وعجمان ورأس الخيمة وأم القوين) وشيخى البحرين والكويت، كما تعهد الشيخ، بموجب المادة الثالثة، بعدم استيراد الأسلحة أو بيعها في أراضيه، على أن تقوم الحكومة البريطانية بتزويده بخمسمائة قطعة سلاح مع الذخيرة سنوياً للاستعمال الشخصي، ولتسليح أتباعه. كما تعهد بعدم إقامة أية علاقات مع دول أخرى، أو التنازل عن أي جزء من أراضيه لأي دولة، إلا بموافقة الحكومة البريطانية. وكذلك بعدم منح أية امتيازات لصيد اللؤلؤ، أو أي احتكارات أخرى،من دون موافقة الحكومة البريطانيه. وقد تحفظ الشيخ عبد الله، على المواد ٧، ٨، ٩، حيث نصت المادة ٧على السماح لرعايا بريطانيا (الهنود) بدخول البلاد لمزاولة النشاط التجاري. واعترض الشيخ على ذلك، بدعوى أن دخولهم سيؤدي إلى منافسة الأهالي في قوت يومهم ونشاطهم التجاري. أما المادة الثامنة، فقد كانت تنص على تعيين معتمد بريطاني في البلاد، في حين كان يرى الشيخ أن البلاد ليست في حاجة لمثل هذا المسؤول في هذه الفترة، ووعد بالنظر في ذلك مستقبلاً. أما المادة التاسعة التي اعترض عليها الشيخ أيضاً، فقد كانت تدعو إلى إنشاء مكاتب للبريد والبرق

واللاسلكي، وكان الشيخ يرى أن البلاد ليست في حاجة لمثل هذه الخدمات في الوقت الحاضر، ولكنه وعد بدراستها والنظر فيها مستقبلاً. وقد قبلت حكومة الهند البريطانية تحفظات شيخ قطر، خاصة أنه يعترف بها، ولكنه لا يحبذ تنفيذها في الوقت الراهن، على حد تعبير المقيم البريطاني في الخليج، على أن يتم التفاوض معه بشأنها لاحقاً. ومن جانب آخر تعهدت بريطانيا بموجب المواد ٢، ١٠، ١١، بحماية قطر من جهة البحر، وبعدم السماح لأية جهة خارجية التدخل في الشؤون الداخلية في البلاد، كما تعهدت بمنح شيخ قطر من المساعدات ما يمنح لشيوخ الساحل المتصالح ولرعاياهم وسفنهم، وبحماية البلاد ضد أي عدوان تتعرض له ما لم يكن نتيجة استفزاز أو هجوم مسلح من قبل الشيخ أو رعاياه على الآخرين. وعقب توقيع المعاهدة، أصدر الشيخ عبد الله وثيقة منفصلة، هي بمثابة إعلان لشعبه، تعهد بموجبها بوقف استيراد السلاح والعتاد الحربي أو تصديره إلى أماكن أخرى. وحذر رعاياه من المتاجرة به ومن أن جميع الأسلحة والذخائر الواردة أو المصدرة ستكون عرضة لمصادرتها من قبل البحرية البريطانية. وقد كانت هذه المعاهدة ختام المعاهدات التي وقعتها بريطانيا مع زعماء الخليج العربي. وبها أدخلت قطر إلى دائرة الحماية البريطانية. وحسب تعبير اللورد كرزون أن هذه المعاهدات جعلت منطقة الخليج العربي بحيرة بريطانية. وما أن وضعت الحرب العالمية أوزارها عام

١٩١٨، حتى منحت الحكومة البريطانية شيخ قطر لقب (السير)، وبذلك تميز عن شيوخ الساحل العماني المتصالح نتيجة لما كان له من دور في الحرب لصالح بريطانيا.

النزاعات الحدودية مع السعودية

لم تكن مسألة ترسيم الحدود بدقة على الأرض قد برزت قبل دخول الشركات النفطية إلى منطقة الخليج. وقد كان حكام منطقة الخليج لايولون هذه المسألة أهمية من قبل.وكانت معاهدة جدة، التي وقعتها بريطانيا مع ابن سعود في ٢٧ مايو ١٩٢٧،قد نصت على ما يلي: "يتعهد صاحب الجلالة ملك الحجاز ونَجْد وملحقاتهما بالمحافظة على علاقات الود والسلم مع الكويت والبحرين ومشايخ قطر والساحل العماني، الذين لهم معاهدات خاصة مع حكومة صاحب الجلالة البريطانية".

ورغم أزمة الحدود القطرية السعودية التي ظهرت مع بداية البحث والتنقيب عن النفط،والاحتجاجات السعودية ضد شركات النفط العاملة بقطر، فقد استمرت الشركات في عمليات استخراج النفط من شبه جزيرة قطر من دون

توقف. وقد تم العثور على النفط بكميات تجارية من منطقة دخان عام ١٩٤٠، وتأسست شركة النفط القطرية المحدودة. ولكن أعمال التنقيب واستخراج النفط توقفت بسبب الحرب العالمية الثانية. واستأنفت الشركة أعمالها مع بداية عام ١٩٤٦. وفي شهر ديسمبر من عام ١٩٤٩، تم تصدير أول شحنة من النفط الخام القطري إلى الخارج من ميناء مسيعيد، الواقع على الساحل الجنوبي الشرقي للبلاد، على الرغم من أن الاتصالات واللقاءات بين السعوديين والإنجليز استمرتقبل الحرب العالمية الثانية وبعدها، بقصد تسوية مسألة الحدود بين قطر والسعودية.

ولم تسو المشكلة إلى أن تم بعد ٤ سنوات من المفاوضات واللقاءات في كل من الرياض والدوحة وباريس، التوقيع في ٢٠ /٢٠٠١/٣ بالدوحة على الخريطة النهائية لترسيم شريط الحدود الدولية الجديدة بين الجانبين. وبهذا الاتفاق على الخريطة الحدودية الجديدة ينتهى الخلاف الحدودى الذى امتد لخمسة وثلاثين عاماً منذ ديسمبر ١٩٦٥. إلا أنه لم ينه الخلافات السياسيةالقطرية السعودية فهى لاتنتهى إلاوتبدأ من جديد.

النزاعات الحدودية مع البحرين

يعود الخلاف الحدودي البحريني القطري (١٩٣٧- ٢٠٠٠) إلى عام ١٩٣٧، حينما هاجمت القوات القطرية منطقة الزبارة التي كانت تابعة

للبحرين، والواقعة ضمن شبه الجزيرة القطرية في الناحية الشمالية الغربية منها.

وتدخلت بريطانيا وتمت تسوية النزاع وترسيم الحدود بينهما.إلا أنه في أبريل عام ١٩٨٦، أنزلت قطر قواتها على جزيرة فشت الديبل البحرينية، والتي تقع إلى الشمال الشرقي من جزيرة البحرين الرئيسية. وتدخلت السعودية،وفى عام ١٩٨٧وافق الطرفان بشكل مبدئي على إطار مبادئ للحل اقترحته السعودية، ونص على أنه إذا لم تنجح المفاوضات بين الطرفين، للتوصل إلى اتفاقية شاملة لتسوية الخلاف، يقوم الطرفان بإجراء مفاوضات لاحقة، لتقرير أفضل السبل للوصول إلى تسوية لكل من قطر والبحرين عن طريق القانون الدولي. وتقدمت قطر بشكوى عام ١٩٩١.أصدرت فيها محكمة العدل الدولية في لاهاي حكمها في قضية ترسيم الحدود البحرية والخلاف الحدودي بين قطر والبحرين. وهو حكم نهائي، ولا يمكن استئنافه، وملزم للطرفين.

قطر: الدور والمستقبل

جرت العادة فيما يتعلق بالعلاقات الخليجية/ الخليجية، أن تفاوض السعودية في شأن السياسة الإقليمية، ثم تقود الدول الأصغر على الطريق. وتمتعت القيادة السعودية ببناء صلب، مع تشكيل مجلس التعاون الخليجي في ١٩٨١، والذي جمع ستة بلدان خليجية (الإمارات وقطر والكويت

وعُمان والبحرين، إلى جانب السعودية)، تحت مظلة تعاون إقليمية. وعلى الرغم من أن مجلس التعاون هو نظام فضفاض بعيد جداً عن التكامل الحقيقى، إلا أنه كان المقصود منه جمع البلدان الخليجية العربية القلقة، لمواجهة التهديدات المتزايدة من الطموحات الإقليمية الإيرانية والعراقية، خصوصاً بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران في ١٩٧٩. مع تولى الأمير الشاب حمد بن خليفة مقاليد الحكم بالإمارة فى انقلاب قصر فى ٢٧ يونيو ١٩٩٥، ومع اكتشاف احتياطات غازية كبرى في البلاد، أطلق الأمير مشاريع وسياسات توسعية قوية، محلياً وإقليمياً، غطت مجموعة كاملة من المجالات. وانتهج الأمير الجديد سياسة خارجية مستقلة جديدة، قصدت أن تثبت للآخرين جميعاً أن الحجم لا يهم، وأن تفنّد الإقلال من شأن البلد الصغيرة، التي لا يتجاوز عدد سكانها الأصليين ٢٢٥ ألف نسمةً. لكن التغيير الجذري الذي حققه الأمير، بقي يواجه معارضة قوية من الشقيقتين الكبريين، السعودية ومصر. فالبلدان فضلا الوالد. وبعد سنة من تولى الأمير، كُشف عن انقلاب عسكري فاشل ضد القيادة الجديدة، واتُّهمت القاهرة والرياض بتنسيقه. ودفع الأمير إلى تبني سياسات حذرة، وعدوانية في نظر البعض، ضد السعوديين والمصريين. وقصدت الإستراتيجية، التي حمت قطر باستضافة القاعدة العسكرية الأميركية الأكبر خارج الولايات المتحدة، لتحييد أي قوى إقليمية، قد ترغب فى

العدوانعلى الدولة الأصغر في الخليج. وسرعان ما تمكنت قطر من تشكيل شبكة مذهِلة (إن لم تكن مقامِرة) من العلاقات، مع أطراف ميالة إلى الخصومة، كانت لكل منها مصلحة محددة ومختلفة. فقطر من جهة، أقامت علاقات طيبة مع الولايات المتحدة، والبلدان الغربية الأخرى كلها، وحتى إسرائيل، ولو إلى درجة أقل. ومن جهة أخرى، أقامت علاقات قوية مع حركتي حماس الفلسطينية وحزب الله اللبناني، وكثير من الأحزاب الإسلامية والبلدان المارقة، بما فيها إيران وسوريا.

وقد استمرت –في الواقع– سياستها الخارجية الفاعلة والمتنامية خلال العقد الماضي. فخلال تلك السنوات، وعلى صعيد عدد من المسائل الممتدة في المنطقة، كان القطريون هم من نجحوا في التوسط في عقد الصفقات الناجحة، فقاد القطريون الجهود في السودان لتحقيق السلام بين الحكومة ومتمردي دارفور، فيما اكتفت القاهرة بمراقبة الوضع لسنوات. وانخرط القطريون أيضاً مع الحكومة اليمنية والمتمردين الحوثيين في محادثات، فنالوا ثقة الطرفين، فيما اكتفت الرياض بمراقبة الوضع، أيضاً لسنوات. وكما أظهرتالحالتان دور الدبلوماسية القطرية النشطة والناجحة، فقد كشفتا أيضاً انعدام فاعلية الدول العربية الكبرى، وانعدام اهتمامها وفشلها في حل المشكلات التي كانت تقلقها في جوارها. ثم كان القطريون هم من منعوا ببراعة لبنان من الانزلاق إلى حرب أهلية داهمة أخرى في

مايو ٢٠٠٨، إذ استضافوا اللاعبين اللبنانيين الأساسيين (ويمكن القول إنهم انخرطوا من وراء الكواليس مع لاعبين آخرين ذوي نفوذ في لبنان) في عاصمتهم، وتوصلوا إلى اتفاقية في اللحظة الأخيرة. وعلى الجبهة الفلسطينية، لعبت الدوحة دوراً فاعلاً جداً في فتح القنوات مع كل من السلطة الفلسطينية في رام الله وحماس في غزة. وخلال الحرب الإسرائيلية على غزة في ٢٠٠٨ – ٢٠٠٩، نافست قطر مصر في الدعوة إلى قمة عربية، بهدف قيادة جهد منسق لوقف الحرب. ثم وفي فبراير ٢٠١٢، نجحت الدوحة في جمع الرئيس الفلسطيني محمود عباس وزعيم حماس خالد مشعل، لتوقيع اتفاقية مفاجئة على حكومة وحدة وطنية. وبلغ انخراط قطر في المسألة الفلسطينية ذروته في أكتوبر ٢٠١٢ حين زار أمير قطر غزة، على الرغم من الحصار، ووعد بمساعدات ومشاريع للغزاويين المتضررين، فأغضب بذلك واشنطن وتل أبيب ورام الله معاً. وفي مجلس التعاون الخليجي، بقيت الدوحة نشطة، لكن حفاظها على علاقات دافئة مع طهران، حتى اندلاع الثورة السورية، كان يزعج الرياض وأبو ظبي، فالجانبان يعانيان توترات منذ زمن بعيد مع جارتهم المخيفة، ذات الطموحات النووية والسياسات الإقليمية العدوانية. ولذلك مثّلت موازنة العلاقات مع لاعبين متخاصمين، ممارسة مذهلة للسياسة الخارجية المبادِرة، على الرغم مما رافقها من أخطار ومقامرات. يقود المغامرة

القطرية الشيخ حمد بنفسه، طبقا لاعتقاده بوجود فراغ على صعيد قيادة المنطقة، حيث يمكنه أن يتدخل عكس السلبيات كلها، المتعلقة بحجم بلاده على صعيدي الجغرافيا والديموغرافيا. وفي هذا الصدد، إذن، صُمّم الدور الجازم لقطر، للتعويض عن النقص في النفوذ العربي في المنطقة العربية نفسها، وعدم فاعلية المجتمع الدولي. فإن لم تملأ أي من البلدان العربية الكبرى الفراغ الواضح في القيادة في المنطقة، سيتوزع المحيط العربي بين إيران وتركيا وأى جماعات راديكالية تملك المبادرة. وسيحافظ دعم الثورات العربية والجيل الجديد من قادتها، على تأييد الطموحات الإقليمية البارزة هذه، ويمنح فضلاً كبيراً لقطر، وسيندرج ذلك كله في مخطط القيادة الخاص بالأمير.

لم تستطع البلدان العربية ولاعبوها من السياسيين المحافظين مواكبة الوتيرة السريعة للانتفاضتين التونسية والمصرية في يناير ٢٠١١. وتصرفت قطر بطريقة مختلفة. لقد بدت بلداً متميزاً في المنطقة العربية، في الترحيب بالانتفاضات ودعمها.ويمكن القول إن القيادة القطرية اعتبرت الربيع العربي الفرصة التي كانت تنتظرها لتأكيد نفوذها وموقعها الإقليميَّين. وكان الرد الفوري لقطر على الانتفاضات العربية، النشر الفعلي لترسانتها الإعلامية، ونشاطها الدبلوماسي، ودعمها المالي، وحتى دعمها العسكري.

أصبحت الدوحة المركز الإقليمي الرئيسي للدعم الدبلوماسي واللوجستي للانتفاضات في ليبيا واليمن وسوريا.

وعشية الربيع العربي، كانت قنوات شبكة الجزيرة المملوكة لقطر، أكثر من مستعدة بمواردها العالمية التي لا تُضاهى.فحشدت الجزيرة كل ما في وسعها لتغطية المتظاهرين في تونس ومصر واليمن ثم ليبيا وسوريا ودعمهم.كما أنها قدّمت حماية للحشود المصورة أثناء قيامها بثوراتها السلمية ونقل صورها إلى العالم بأسره.لقد شلّت بذلك القدرة العاتية لأجهزة الأمن، حيث أن أي قمع للمحتجين كان سيراه العالم على شاشات الجزيرة.

يمكن القول أنه من دون الجهود الضخمة التي بذلتها شبكة قنوات الجزيرة، لما تمكنت قطر من لعب هذا الدور. فهي ناصرت سياسات الأمير المبادِرة والواسعة النطاق. وأعطت نموذجا لدور الوسائط الإعلامية الحديثة العابرة للحدود في دعم السياسة الخارجية. ووأثبتت أنها من أهم الديناميكيات الحديثة الناجحة لاستخدام الوسائط الإعلامية المكثفة، العابرة للحدود والعالمية، للتعويض عن الجوانب الضعيفة، أو الغائبة، في أوجه القوة الجغرافية – الديموجرافية – السياسية لبلدان معينة. ويمكننا أن نقول إن البروز الموازي لتأثير الجزيرة، مع السياسة الخارجية الحازمة لقطر، قد مكنتاها من تجاوز أوجه القصور الجغرافى والديموجرافى لديها. ويتفق معارضو الجزيرة وقطر ومؤيدوهما عموماً على أن نفوذ المحطة في

المنطقة، منذ إطلاقها في ١٩٩٦، وكذلك النفوذ الذي سمحت لقطر بتحقيقه، مثير للإعجاب على الصعيد الإعلامى.

ولكنفى حالات الربيع العربي كلها تقريباً، هاجم المنتقدون قطر، للترويج خارجياً للنظام الديمقراطي الذي تفتقده داخلياً. وأُثيرَت مسألة المصداقية بقوة أيضاً، حين فشلت "الجزيرة" في أن تغطي في شكل كامل الانتفاضة في البحرين المجاورة، ناهيك عن دعمها، وأقرت قطر الخطوات السعودية، وحيّدت نفسها على ما يبدو إزاء المسألة البحرينية. وتدور مجموعة أخرى من الانتقادات التي تتهم قطر بالعمل في الواقع كدمية أميركية في المنطقة. ويشير المنتقدون إلى استضافة قطر للقاعدة العسكرية الأميركية الأكبر، وسياسة الباب المفتوح التي تعتمدها البلاد مع إسرائيل. بالإضافة لنظرية لعب قطر لدورالوكيل الأمريكي، الذى ينحصر فى ان تسأل واشنطن الدوحة أن تتخذ خطوات أساسية تسهّل تطبيق السياسات الأميركية التي ستلي ذلك. ومن التحديات الرئيسية الأخرى بروز نظرة في بلدان الحالات الناجحة، ففي البلدان الثلاثة حيث دعمت قطر بقوة قلب الأنظمة القديمة، أي تونس ومصر وليبيا، تُنْتَقَد السياسات القطرية، بدعوى أن قطر تدعم قوى الإسلام السياسى، على حساب القوى الأخرى. ويتحيّر مراقبون كثيرون أمام أسباب حصر القطريين نفوذهم في الإسلاميين، وبالتالي إيجاد أعداء غير ضروريين، في وقت يمكنهم فيه التمتع بنفوذ

أقوى على معظم الأحزاب، إن بقوا غير منحازين، وعلى علاقة صداقة مع القوى كلها، في الديمقراطيات الناشئة حديثاً عن الربيع العربي.

الآن وبعد التغيير الجذرى الذى يحدث بالمنطقة العربية ، مما جعل أحوالها مغايرة تماماً لحالها السابق الذى شهد صعود هذا اللاعب السياسي، الذى خلق لنفسه خصوماً وأعداء كثرخلال هذه السنوات الصاخبة، خصوصاً حين يكون هذا اللاعب الصاعد دولة يبلغ عدد سكانها ٢ مليون نسمة، يشكل العمال الوافدين منهم ٨٨%، والسكان القطريون لايتجاوز عددهم ربع مليون نسمة يمثل الأطفال والشيوخ٧٥% منهم. ولضمان الأمن فى هذه الأحوال الديموجرافية الشاذة، صار لدى قطر أكثر النظم السياسية استبدادا فى العالم، حيث تفرض القوانين قيوداً شديدة على حرية التعبير وعقوبات جنائية قاسية على إتهامات مثل التشهير، وحظر نشر أو بث أي شيء من شأنه إرباك العلاقات بين قطر والدول العربية والصديقة، وحظر نشر أو بث أي شيء من شأنه الإساءة للنظام أو إهانة الأسرة الحاكمة، أو التسبب في ضرر بالمصالح الوطنية العليا للدولة، وتطبق أشد قوانين التمييز عنصرية فى مواجهة الوافدين، وقوانين العمل وكفالة المغتربين، التى تعد من أشد القوانين تجبراً في العالم. ويعتبر العمل الإجباري والإتجار بالبشر من المشاكل الجسيمة في المجتمع. ماذا يخبئ المستقبل لقطر ضمن مايخبئه لمستقبل المنطقة،

خاصةإذا وضعنا أمام أعينا حقيقة أن ٨٨% من سكان قطر أجانب مغتربون لاحقوق مدنية أو اجتماعية أوسياسية لهم، قابعون متربصون لأى علة قد تصيب القبضة الثقيلة للسلطة، لتنفجر الأوضاع؟. . إن لم يتغير هذا الخلل السكانى سيظل هذا الهاجس واردا وبشدة.

المراجع

http://classic.aawsat.com/details.asp?issueno=8070&article=3124#4 - الخلاف الحدودى القطرى السعودى

http://classic.aawsat.com/details.asp?article=30754&issueno=8145# -

الخلاف الحدودى بين قطر والبحرين

http://lb.boell.org/en/2014/03/03/qtr-wlrby-lrby - قطر وثورات الربيع العربى

مملكة البحرين

دولة أرخبيلية، تتكون من٣٣ جزيرة طبيعية، والعديد من الجزر الصناعية. تقع في الخليج العربي في جنوب غرب آسيا. الطول الإجمالي لحدودها هي ١٦١ كم ومساحتها ٥٧٠٠ كم، ويبلغ عدد سكانها ١,٢٣٤,٠٠٠ نسمة نصفهم من المواطنين والنصف الآخر من الوافدين غالبيتهم آسيويون، ويقدر(حيث أن التعدادات الرسمية لا تعلن هذا البيان) أن نصف السكان الوطنين تقريبا ينتمون إلى الشيعة.

وعرفت قبل ظهور الإسلام باسم أوال. وكانت مرتبطة بالساحل الشرقي للجزيرة العربية، وشكلت الجزر في تلك الفترة مع المنطقة الممتدة من البصرة شمالاً إلى قطر جنوبًا إقليمًا واحدًا، سمى ببلاد البحرين، وظلت الجزر مرتبطة سياسيًا بشكل كبير بباقي بلاد البحرين، تحت هيمنة الفرس الساسانيين، يحكمونها عن طريق ولاة عرب. وكان أكثر سكان الإقليم فى هذه الآونة من قبائل عبدالقيس وبني بكر بن وائل من ربيعة، إلى جانب بني تميم، وقد كانت جزر البحرين مركزًا لكنيسة المشرق. وكان والي البحرين وقت ظهور الإسلام، هو المنذر بن ساوى من بني تميم، ومقره مدينة هجر بالإحساء الحالية. ثم صار إقليم البحرين من أوائل الأقاليم التي اعتنقت الإسلام. وولى النبي محمد(ص) عليها أبا العلاء الحضرمي، في العام السابع للهجرة عام ٦٢٩، وبعثه برسالة سلمها إلى حاكمها المنذر بن ساوى التميمي. وفي زمن الفتنة الثانية، التي تلت موت الخليفة الأموي

يزيد بن معاوية، احتل الخوارج بلاد البحرين. ثم استعادها الأمويون زمن عبد الملك بن مروان.ويصعب تحديد الوقت الذي انحسر فيه مسمى البحرين عن كافة شرق الجزيرة العربية، واختصت به جزر البحرين. إلا أن الرحالة الدمشقي ابن المجاورفى القرن الثالث عشر، والرحالة المغربي ابن بطوطة فى القرن الرابع عشر، كانا من أقدم من استخدم اسم البحرين، للدلالة على الجزر، دون باقي شرق الجزيرة العربية، واختصاص جزر البحرين به. وعندما وصل البرتغاليون إلى البحرين في عام ١٥٢١ وسيطرت قواتهم عليها كانت قدإختصت بهذا الاسم. وقد ظلت جزر البحرين تحت الحكم البرتغالي لثمانين عامًا، حتى قام الفرس الصفويون باحتلال الجزيرة سنة ١٦٠٢. وظلت تحت الهيمنة الفارسية بشكل مباشر أو غير مباشر حتى سنة ١٧٨٣. تخللت ذلك غزوات من عمان خلال عامى ١٧١٧ و١٧٣٨، وفترات من الاستقلال على يد العرب الهولة. وفي عام ١٧٥٣، استولى ناصر آل مذكور، شيخ عرب المطاريش في بندر بوشهر على البحرين، نيابة عن كريم زند حاكم إيران. وفى هذه الآونة كانت قبائل العتوب قد هاجرت من موطنها في منطقة الهدار، الواقعة في الأفلاج جنوب نجد، وانتقلت في مسيرتها نحو ساحل الخليج، فى النصف الثاني من القرن السابع عشر الميلادي تقريباً. فاستوطنوا في أول الأمر شبه جزيرة قطر، ثم نزحوا عنها، وتنقلت جماعة العتوب على شاطئ الخليج العربي، حتى بلغت الكويت. وكان بنو خالد يبسطون سلطانهم على تلك المناطق. ونمت بينهم وبين العتوب علاقات مودة. واتخذ العتوب مدناً

صغيرة على الساحل لسكناهم، مثل الكويت والزبارة. وبإقامة العتوب على السواحل، تعلموا ركوب البحر للتجارة، وتعاظمت سفنهم، وبدأت مظاهر الثروة تعم مناطقهم، وصاروا قوة اقتصادية ملحوظة. وفي سنة ١٧٨٣ قادت أسرة آل خليفة العتوب من أهل الزبارة في قطر، فى هجوم بحري على البحرين، فهزموا ناصر آلمذكور واستقلوا بها. ولما أفل نجم بني خالد، تحت ضربات الدولة السعودية الأولى عام ١٧٩٥، سطع نجم العتوب.ومن العتوب تفرعت أسرة آل خليفة في البحرين، وأسرة آل صباح في الكويت. وكان العتوب قد قسموا الاختصاصات بينهم، فتولى آل صباح الحكم، وتولى آل خليفة التجارة، وتولى الجلاهمة القتال في البحر. ولم تستقر الأوضاع في البحرين. إذ تعرضت الجزيرة لغزوات عمانية، ما بين أعوام ١٧٩٩ و١٨٢٨. كما اضطر حكام البحرين لدفع الجزية لإمارة الدرعية (آل سعود) لبضع سنوات. ودفع الجزية لحاكم مسقط لأكثر من ٣٠ سنة. وقد جعل آل خليفة قاعدتهم في جزيرة المحرق، بينما كانت الحاضرة الكبرى في البحرين هي المنامة. وبعد قيام الدولة السعودية الثانية حاول حاكمها فيصل بن تركي السيطرة على البحرين، واستطاع فرض الزكاة عليها مؤقتًا. واستمرت النزاعات بين الطرفين، وامتد حكم آل خليفة في بعض الأوقات إلى قلعة الدمام. إلا أن تلك الفترة شهدت أيضًا دخول البريطانيين إلى الخليج، واعتبارة بمثابة بحيرة بريطانية، وحلقة اتصال مهمة في الطريق إلى ممتلكاتها في الهند. وحرصت على بقاء البحرين مستقلة، عن الدول المحيطة وخاصة السعوديين، وأرسلت أسطولاً بحريًا

لحمايتها. وبعد سلسلة من المعاهدات بين بريطانيا وحكام البحرين، وقع آل خليفة اتفاقية الحماية البريطانية سنة ١٨١٦. وظلت البحرين محمية بريطانية حتى سنة ١٩٧١. وقد قدّر الرحالة البريطاني بالغريف عدد سكان البحرين وقت توقيع الاتفاقية بنحو ٧٠,٠٠٠ نسمة. انطلق التدخل البريطاني في الخليج العربي من شبه القارة الهندية، التي خضعت لحكم شركة الهند الشرقية البريطانية، التي تأسست في القرن السابع عشر، ومن ثَمّ حرصت بريطانيا على ضمان أمن واستقرار الخليج العربي، لضمان التجارة والمراسلات البريطانية بين شبه القارة الهندية وأوربا، التناتخذت مسارها عبر الخليج العربي فالعراق فالشام إلى البحر المتوسط، ومن هناك إلى الجزر البريطانية. وفى سبيل ذلك أبعدت الوجود البرتغالي، ثم الوجود الهولندي، ثم النفوذ الفرنسي، وبعد ذلك حجمت الوجود العثماني بمنطقة الخليج العربي. كما عملت على القضاء على عمليات التعرض للسفن التجارية، من قبل القوى المحلية، وسمتها قرصنة. فى حين كانت تسميها قبائل القواسم وغيرها من مشيخات الخليج "جهاد بحرى إسلامى". كما عملت على القضاء على تجارة السلاح والرقيق في مشيخات الخليج. وقد صار الوجودالبريطاني يأخذ طريقه نحو الخليج، بما عرف باسم المعاهدات المانعة، على مشيخات الخليج ومنها البحرين عام ١٨٢٠. وضمنت من خلالها الحفاظ على أمن المنطقة واستقرارها. ومن هذا المنطلق حرصت بريطانيا على منع آل سعود وسلطنة مسقط وعمان والفرس من التعرض للبحرين. وكانت بريطانيا فى هذه الآونة هي القوة الوحيدة القادرة على

تحقيق الأمن، دون المساس بسيادة المشايخ والأمراء على مناطقهم، أوالتدخل في شئونهم الداخلية. وكان لمعاهدة عام ١٨٢٠ بين بريطانيا والبحرين، نتائج هامة بالنسبة للبحرين، لعل أهمها اعتراف بريطانيا بآل خليفة حكاماً على البحرين، ومعاملتهم كدولة مستقلة تحت حكم شيوخها. وقد نجحت بريطانيا بالفعل في منع حرب أهلية. إذ تسببتصراعات آل خليفة على السلطة،فيانقساماًآلخليفةإلىفرعينهما: آلعبداللهوآلسلمان.وخرجأبناءعبداللههاربينإلىالدمام،ومنهناكبدأتمحاولتهمالسيطرةعلىالحكمفيالبحرين،فجاءوامهاجمين لأكثر من مرة، بدعم من آل سعود.ولكنهمهُزمواعلىيدأمير البحرين محمدبنخليفة،وعادواخائبين.ثمحاصرهمعليبنخليفةفيالدماماًحدعشرشهراًوكسرشوكتهم. وعندما تدخل البريطانيون داعمين الأمير،جنح آل عبد الله للصلح. وعادأبناءعبداللهإلىالبحرينعام ١٨٤٢.وهكذا نجحت بريطانيافى انقاذ البحرين من الوقوع بأيدي السعوديين، وفي المقابل سمحت لآل سعود عام ١٨٤٤بالاستيلاء على الدمام، عوضاً عن ضم البحرين. وظل الأسطول البريطاني يقوم بنشاط بحري، لضمان الاستقرار وعدم الاعتداء على البحرين.

وتمشياً مع سياسة بريطانيا فى إحكام سيطرتها على مشيخات الخليج، لجأت إلى عقد معاهدات حماية على تلك المشيخات. ورأت عام ١٨٦١ أنه أصبح من الضروري توقيع اتفاقية، تدخل البحرين ضمن المشيخات العربية، التي تتطلع إلى الحماية البريطانية ضد الهجوم الخارجى، ومن

أجل تسوية الخلافات البحرية فيما بينهما. كما كانت تلزمها أيضاً بألا تكدر صفو السلم في البحار. ولم تكتف بريطانيا بعقد المعاهدة، بل حصلت من الشيخ محمد بن خليفة على تعهد خطي، بتعويض الرعايا البريطانيين، عن الخسائر التي لحقت بهم خلال الأشهر الستة السابقة على توقيع الاتفاقية. ولم تعر السلطات البريطانية أي اهتمام لاحتجاجات الحكومة الفارسية، أو السلطات العثمانية على هذه الاتفاقية. وظلت الأمور مضطربة في الخليج، بين شيخ البحرين ومنافسيه، وحاكم أبو ظبي، وقطر. وحرصت بريطانيا على استقرار الأمور، ومنع الاعتداءات على البحرين أو من البحرين. فتدخلت أواخر عام ١٨٦٨، وعزلت شيخ البحرين محمد بن خليفة، وولت أخاه علي بن خليفة مكانه عام ١٨٦٩، فلم يرضخ وقتل أخاه وتولى مكانه. فقامت القوات البريطانية بتدمير سفنه الحربية، وهدم حصنه. وقبض على الشيخ محمدورفاقه في التمرد، وتم نفيهم إلى الهند. وأحلت في حكم البحرين، عيسى ابن الشيخ علي بن خليفة، الذي قتل في المعركة. ونجح البريطانيون فى تسوية الخلافات بين آل خليفة في البحرين وآل ثاني في قطر. فحصلت من الأخيرعلى تعهد في ١٢ سبتمبر ١٨٦٨، بعدم خرق المعاهدة البحرية للسلم، وأن تكون علاقة قطر بالبحرين ودية، وأن يدفع الشيخ محمد بن ثاني قدراً من المال وقدره ١٥ ألف قران لحاكم البحرين كل سنة، وذلك عن طريق المقيم العام السياسي

في الخليج، مقابل تنازل آل خليفة عن إدعاءاتهم بالسيادة على شبه جزيرة قطر، وتمتعها بالاستقلال تحت حكم آل ثاني. وبعد تولى الشيخ عيسى بن علي آل خليفة حكم البحرين في ٤ ديسمبر عام ١٨٦٩،اعترفت بريطانيا رسمياً بالحاكم الجديد للبحرين، وأعلنت تأييدها له. وبذلك بدأت البحرين عهداً جديداً من الاستقرار والأمن،انعكس على التقدم والتطور الداخلي في جميع المجالات، وعلى علاقات البحرين بالقوى الخارجية. ووقفت بريطانيا بقوة لمنع محاولات فارس والدولة العثمانية التدخل في البحرين.

وإزاء هذه الأجواء المضطربة،وقعت اتفاقية جديدة عام ١٨٨٠،بين بريطانيا وشيخ البحرين عيسى بن علي آل خليفة، لمواجهة المحاولات العثمانية المستمرة للسيطرة على البحرين. وقد تم التوقيع على هذه المعاهدة في ٢٢ ديسمبر عام ١٨٨٠، ونصت على التزام الشيخ عيسى بن علي، وخلفائه من بعده،بالامتناع عن الدخول في أية مفاوضات أو عقد أية معاهدات من أي نوع كانت مع أي حكومة أو دولة، ما عدا بريطانيا. وعدم السماح لأية حكومة، ما عدا بريطانيا، بإقامة علاقات دبلوماسية أو قنصلية، وعدم إعطاء تصريح بإنشاء مستودعات لتخزين الفحم في أراضي البحرين، إلا بعد موافقة الحكومة البريطانية. وبهذه الاتفاقية ارتبط الشيخ عيسى بن علي آل خليفة ببريطانيا.وبدأ يدفع عن البحرين الأخطار الخارجية،باستمرار توثيق العلاقات بين البلدين،في مواجهة محاولاتكل من

الدولة العثمانية وفارسفرض سيادتهم على البحرين. في ١٣ مارس عام ١٨٩٢ تم توقيع معاهدة أخرى بين بريطانيا والبحرين،نصت على عدم دخول البحرين في اتفاقيات، أو اتصالات مع أي دولة أجنبية غير بريطانيا، وعدم السماح بإقامة أي وكيل أو معتمد في أراضي البحرين إلا بموافقة بريطانيا، وعدم بيع أو رهن أو تأجير أي جزء من أراضي البحرين، لأي دولة أخرى إلا بريطانيا. تخلصت بريطانيا من المحاولات العثمانية للسيطرة على البحرين نهائياً، بعقد اتفاقية بين الطرفين البريطاني والعثماني، لتقسيم مناطق النفوذ في منطقة الخليج فى ٢٩ مايو ١٩١٣. من أهم بنودها المتعلقة بالبحرين: بقاء جزيرتي لبينات السفلية ولبينات العالية في حوزة حاكم البحرين،وحصول حاكم البحرينعلى تعويض يقدر بمبلغ ١٠٠٠ جنيه إسترليني،في مقابل تنازله عن مطالبته بجزيرة الزخنونية البحرينية.

أدى الاستقرار الذى ترتب عن تنفيذ الاتفاقية إلى تغييرات اجتماعية جذرية. حيث تأسست أول مدرسة تعليمية عام ١٩١٩، وتم افتتاح أول مدرسة للبنات في منطقة الخليج عام ١٩٢٨، وهي مدرسة خديجة الكبرى. و اكتشف النفط في البحرين عام ١٩٣٢- وكانت أول منطقة في الخليج اكتشف فيها النفط – الذى تطلب إنتاجه وجود آلاف العمال المتعلمين،

فظهرت طبقة عاملة جديدة، ساهمت فى تطوير المجتمع البحريني خلال السنوات الخمسين التالية.

وعندما أعلنت الحكومة البريطانية قرارها عام ١٩٦٨ بإنهاء الاتفاقيات المنظمةلعلاقات المعاهدة، التي كانت قد عقدتها مع شيوخ دول الخليج، جددت الحكومة الإيرانية مطالبها في البحرين. وأجري على إثر ذلك استفتاء في البحرين، تحت إشراف الأممالمتحدة سنة ١٩٧٠، صوت فيه البحرينيون بأغلبية بسيطة، لبقاء البحرين مستقلة عن إيران. وشاركت البحرين إلى جانب قطر والإمارات السبع (التي تشكل حاليا دولة الإمارات العربية المتحدة)،فى بحث توحيد الإمارات التسع في منتصف ١٩٧١. ولم يتم الاتفاق على ذلك، وقررت البحرين الاستقلال، وأعلنته في ١٥ أغسطس ١٩٧١. وبويع الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة أميراً لها، وبدأ بإنشاء البرلمان عام ١٩٧٣. ولكن سرعان ما تم حل هذا البرلمان، بقرار من الأمير في عام ١٩٧٥، لتسببه فى حالة من الاحتقان الطائفي.

أفاد ازدهار النفط البحرين في الثمانينات بشكل كبير. وعندما أصبح الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة أميرًا على البحرين في مارس ١٩٩٩، خلفًا لأبيه الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة، شهدت البحرين تغييرات كبيرة، منها عودة الحياة البرلمانية، التي توقفت منذ سنة ١٩٧٥، وأعطيت المرأة الحق في التصويت، وأطلق سراح السجناء السياسيين. ووصفت منظمة العفو الدولية هذه التحولات، بفترة تاريخية لحقوق الإنسان في البحرين. كما تحولت البحرين من إمارة إلى مملكة في فبراير سنة ٢٠٠٢، بعد التصويت

على ميثاق العمل الوطني، الذي إنقلب عليه ملك البحرين فيما بعد، ونقضه وأصدر دستوراً منفرداً بإرادة منفردة. وبدأ فى تنفيذ خطط طموحه لتطوير المملكة وتحديثها. ووفقاً لتقرير صادر عن لجنة الأمم المتحدة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا في يناير ٢٠٠٦، فالبحرين لديها أسرع الاقتصادات نمواً في العالم العربي. وترتيبها الأول فى مؤشر حرية الاقتصاد في الشرق الأوسط، والثاني عشر فى حرية الاقتصاد الشاملة في العالم،استناداً إلى مؤشر الحرية الاقتصادية ٢٠١١.

في عام ٢٠٠٨، كانت البحرين المركز المالي الأسرع نمواً في العالم، من حيث مؤشر المراكز المالية العالمية. كما أن قطاع الخدمات المصرفية والمالية في البحرين، وخصوصا المصرفية الإسلامية، يشهد ازدهاراً متنامياً، مستفيداً من الطفرة الإقليمية، التى يقودها الطلب على النفط. وتشكل الإيرادات المتحصلة عن تعاملاته، المركز الثالث من إيرادات الدولة. ورغم أن النفط ومنتجاته هو المنتج البحرينى الأكثر تصديراً، فهو يمثل ٦٠% من عائدات التصدير، و٧٠% من الإيرادات الحكومية، وهى نسب تقل عن متوسط مؤشرات دول الخليج ب ٢٠% تقريباً، ولايمثل قطاع النفط سوى١١% من الناتج المحلي الإجمالي. كما تمثل منتجات الألومنيوموامواد البناء وقطاع خدمات التمويل ٤٠% من حجم الصادرات. وبسبب الاضطرابات الأخيرة، انخفض معدل النمو إلى ٢.٢% فى السنتين الأخيرتين، وهو أدنى معدل نمو منذ عام ١٩٩٤. ويشكل استنزاف كل من النفط وموارد المياه الجوفية مشكلة اقتصادية كبيرة على المدى الطويل.

ويلاحظ من هذه البيانات أن نسبة الصادرات النفطية، ومساهمة إيراداته فى دخل البلاد،ونسبته من الناتج المحلى الإجمالي، هى الأقل فى دول الخليج. وفى عام ٢٠٠٨ كان رقم البطالة عند ٤%. وفي عام ٢٠٠٧ أصبحت البحرين أول دولة عربية تنشئ إعانات بطالة، كجزء من سلسلة من الإصلاحات الاقتصادية والاجتماعية. وتعد نسبة العمالة الوافدة أقل نسبة فى دول الخليج، حيث لا تتجاوز نصف عدد السكان. وهى الدولة الوحيدة فى الخليج التى ألغت نظام الكفيل. ورغم مظاهر الاحتقان الظاهرة، والنكوص عن بعض الإجرآت الديموقراطية، واعتداء السلطات على حقوق الإنسان، إلا أنها مازالت أكثر دول الخليج ديموقراطية، طبقا للمعايير العالمية.

ومع ذلك، شهدت البحرين حركة احتجاجات شعبية واسعة، متأثرة بموجة الاحتجاجات والثورات العربية.بدأت هذه الاحتجاجات يوم الإثنين ٢٠١١/٢/١٤، كيوم يتزامن مع الذكرى العاشرة لميثاق العمل الوطني، الذي انقلب عليه ملك البحرين. قادت هذه الاحتجاجات المعارضة السياسية، التي تطالب بإصلاحات سياسية واقتصادية. ولكنها اكتسبت فى جانب كبير منها بعداً طائفياً شيعياً، ودرجة كبيرة من العنف. وفي ١٧ فبراير قامت قوات الأمن البحرينية بالهجوم على معقل الاحتجاجات في دوار اللؤلؤة، في محاولة عنيفة لإخلاء الدوار. وسقط العديد من الضحايا والجرحى إثر ذلك الهجوم. وفي ٢٥ فبراير عزل ملك البحرين حمد بن عيسى ٤ وزراء في الحكومة، بوصفهم "وزراء تأزيم". ولكن هذه الخطوة لم

ترض المعارضة، واستمرت الاحتجاجات والتظاهرات. وفي ١٥ مارس أعلنت الحكومة البحرينية حالة الطوارئ في البلاد على نحو فوري ولمدة ثلاثة أشهر، إلا أنها رفعت في ١ يونيو ٢٠١١.وقد تم استدعاء قوات مسلحة سعودية، مما زاد الأمور تعقيداً، وأدى إلى تصاعد حدة الاحتجاجات، واتخاذها هذا المنحى،الذى خلق أزمة مستعصية فى المجتمع البحرينى. وصدر تقرير لرئيس اللجنة المستقلة لتقصى الحقائق، المشكلة بقرار ملكي،استجابة لضغوط دولية، جاء فيه:"المسألة لا تقتصر فقط على التحقيق في الانتهاكات والأمور المتعلقة بهذا الشأن، وإنما يجب الأخذ في الاعتبار القضايا الاجتماعية والاقتصادية الأساسية جدّاً، والمتعلقة بالمواطنين الشيعة، والتي تحتاج إلى معالجة، ولم تتم معالجتها"، مضيفاً: "لا أحد يعرف على وجه اليقين، ما هي النسبة المئوية التي يمثلها الشيعة في البحرين، لكنها على الأغلب أكثر من ٦٠%. وبالتالي، فإن السؤال هو: هل هناك تمثيل نسبي كافٍ لهذه الفئة في العملية التشريعية؟ وما هو نصيب هذه المجموعة نسبيّاً من الثروة الاقتصادية؟".وتابع: "بالنظر الى التركيبة السكانية الاجتماعية للبلد، فإن المناطق التي يسكنها الشيعةمحدودة جغرافيّاً إلى حد كبير، بما لا يتيح لهم مجالاً للتوسع؛ لأنهم لا يستطيعون الوصول إلى الأراضي المحيطة بمناطقهم، إما لكونها مملوكة من قبل الأثرياء أو الحكومة، ونتيجة لذلك، فإن الكثافة السكانية في هذه المناطق مرتفعة جدّاً، وأعلى بكثير عن المتوسط العام

بالمملكة.ومستوى التعليم وغيره من الخدمات العامة داخل هذه المجتمعات، غير متوافرة بما فيه الكفاية".

والمشكلة أن النافذين ومتخذى القرار،يختزلون الأزمة فى أنها مؤامرة،تقودها مجموعات شيعية تدعمها إيران، ضد العائلة الحاكمة السنية، المدعومة من السعودية. ويضيق أفق التعامل معها وينحصر، فى محاولة الاتحاد مع السعودية، أو تحويل مجلس التعاون الخليجى إلى اتحاد. وتتعقد الأزمة فى انتظار أن يصل أطرافها والمؤثرون فيها إلى آفاق ورؤى أكثر رحابة للتعامل معها.

المراجع

- http://www.attarikh-alarabi.ma/Html/ADAD53partie7.htm التنافس على النفوذ فى البحرين

- http://www.alalam.ir/bahrain/stations ابرز محطات الثورة بالبحرين

الجمهورية العربية اليمنية

تشكل الجمهورية العربية اليمنية الجزء الأكبر من الإقليم الكائن فى جنوب غربشبه الجزيرة العربية، والذى اصطلح على تسميته باليمن. وتبلغ مساحته نصف مليون كيلومتر مربع تقريباً. وقدر عدد سكان الجمهورية فى فبراير ٢٠١٣ بـ ٥ ،٢٥ مليون نسمة، منهم حوالي ٦٠% من المسلمين السُنَّة، و٤٠ % من الشيعة الزيدية. ويشكل أبناء القبائل حوالي ٨٥ % من السكان، يتوزعون على ٢٠٠ قبيلة تقريباً، أكبرها قبائل همدان ومذحج وكندة وحمير وبنو تميم والأزد والهاشمية وخولان والمعافر. تحدها المملكة العربية السعودية من الشمال، وسلطنة عمان من الشرق، والبحر الأحمر من الغرب ويحدها من الجنوب بحر العرب وخليج عدن .

و يتكون إقليم اليمن من ثلاثة أقاليم سياسية رئيسية: المنطقة الأولى وهى المنطقة الشمالية، التى تشمل كلاً من إمارة عسير، التى حكمها الغساسنة لعدة قرون، ومنطقتى جيزان ونجران، وكان حكمهما يتنقل بين عدة قبائل، وينتمى غالبية سكانهما لمذهب الشيعة الزيدية. وقد استولى عبد العزيز بن سعود على هذه المنطقة بالكامل، وضمها إلى مملكته الوليدة، واكتسب هذا الوضع الشرعية باتفاقية الطائف عام ١٩٣٤. المنطقة الثانية هى المنطقة الوسطى، وتعد أكبر مناطق اليمن من حيث المساحة وعدد السكان. وتتكون من المرتفعات الوسطى والجنوبية، وسهل تهامة والهضبة الصحراوية، وتشتمل على أكبر المحافظات (صنعاء، تعز، حجة، صعدة،

عمران، الضالع، سهل تهامة ....)، ويسكنها حوالى ٨٥% من سكان الجمهورية اليمنية حالياً ويتركز فيها مذهب الشيعيية الزيدية رغم أغلبيتها السنية. وهى المنطقة التي قامت فيها الجمهورية على أنقاض المملكة المتوكلية اليمنية بعد قيام الثورة اليمنية في ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢. وفى ٢٢ مايو ١٩٩٠توحدت الجمهورية العربية اليمنية، مع جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية، التى تتكون من منطقة السواحل الجنوبية والشرقية،وتشمل محافظات عدن ولحج وأبين وشبوة وحضرموت، وبعض المحافظات الصغرى. وتتكون الجمهورية اليمنيية حالياً من هاتين المنطقتين اللتين يشتملان كامل مساحة اليمن التاريخية، باستثناء المناطق التى استحوذت عليها المملكة السعودية بقوة السلاح. ورغم أن عموم القبائل تعود إلى أقسام مشتركة، إلا أن النزعة الاستقلالية للقبائل عبر تاريخها، جعلتها عرضه للاستقطاب المتغير، بدرجة تلعب دوراً سلبياً بارزاً فى الحياة السياسية والاجتماعية يعرقل بناء دولة مستقرة. وفي فترات مختلفة، تشكلت تحالفات قوية متغيرة، لبناء دول أو إسقاطها، لأن نسب القبيلة ليس بأهمية التحالفات. وهذه الطبيعة تظهر بوضوح، سواء في تاريخ اليمن القديم أوالمعاصر. فالقبائل أبعد من أن تكون هياكل مجتمعية متجانسة، فقد تشترك عدة عشائر في تاريخ و"نسب" مشترك، ولكنها تغير انتمائتها وولاءاتها، حسب ماتمليه الاحتياجات والظروف، وتجد لها والقبيلة المتحالفة معها حديثاً، نسباًمشتركاً. وفي دراسة أجرتها الباحثة الأمريكية سارة فيليبس، بالتعاون مع جامعة صنعاء، كانت نسبة من صرح من

سكان المناطق الجنوبية، بأن الولاء يجب أن يكون للدولة لا للقبيلة، أعلى بنسبة ٧٠% من سكان محافظة عمران (الحوثيين) بالمنطقة الوسطى. كما يعد اليمن ثانى دولة فى العالم بعد الولايات المتحدة الأمريكية فى نسبة امتلاك أفراده للأسلحة الخفيفة والمتوسطة.

اعتنقت القبائل اليمنية الإسلام في القرن السابع الميلادي، بعد أن أرسل النبي محمد(ص) علي بن أبي طالب إلى صنعاء، فأسلمت قبيلتا همدان وحمير، ثم توالى إسلام القبائل. وقسم الخلفاء الراشدون بلاد اليمن إلى أربعة مخاليف. هي مخلاف صنعاءفى الشمال، ويشمل نجران، ومخلاف الجند بوسط اليمن، ومخلاف تهامة فى الشرق، ومخلاف حضرموت فى الجنوب والغرب. ولا يعرف الكثير عن التاريخ السياسي، لليمنمنذ الفتح وحتى أواخر القرن التاسع الميلادي. ولكن المصادرالتاريخية حافلة بأخبارالقبائل اليمنية،التى اشتركت في الفتوحات الإسلامية. واستقلت البلاد عن دولة الخلافة عام ٨١٥، وقامت عدة دويلات في أرجاء البلاد، لأسباب مذهبية وقبلية.

ولم يذكر التاريخ أنه قد قامت دولة واحدة شملت كل بلاد اليمن، بل كانت القبائل والطوائف تقاتل بعضها بعضاً. وكانت المنطقة الوسطى (اليمن الشمالي حالياً) تسود فيها الإضطرابات، وتعمها الفوضى فى معظم الأحيان. وفى العصورالحديثة،اعتباراً من بدايات القرن السادس عشر، كانت الإمامة الزيدية تحكمها فى معظم الأحيان، إلا أن الأئمة كانوا يقاتلون بعضهم البعض، وقد كان شائعاً وجود أكثر من إمام فى نفس

الوقت، لكل منهم مناطق نفوذه. وقد حكم المذهب الشيعى الإسماعيلي مناطق شاسعة من اليمن لمدد متفاوتة. ولكنهم لم يسيطروا على اليمن كاملاً، وهو حال كل الدويلات التي قامت في اليمن. فكل قبيلة أو حلف مكون من عدة قبائل، كان يقيم الكيان السياسى الذى يناسبه.

دخل الأيوبيون اليمن عام ١١٨٨،وبسطوا سيطرتهم على سائر تهامة والحجاز، واقتحموا زبيد، وقضوا على دولة بنو مهدي الأباضية فى الجنوب الشرقى. كما سيطروا على عدن وحضرموت. وتركوا صنعاء لمناعتها، واتجهوا نحو تعز، وجعلوها عاصمة لهم. ومع نشوب الخلافات بين نواب الأيوبيين باليمن، وتمرد مناطق الزيدية، انشق الكثير من جند الأيوبيين، وأغلبهم من الغز الأكراد، وحالفوا الزيدية. وتواصل التمرد،وانتشر وتضعضع حكم الأيوبيين كثيراً، فكلماانتهوا من إخضاع منطقة، تتمرد أخرى. حتى أجلوا عن البلاد عام ١٢٢٦، ويمكن تلخيص حكم الأيوبيين في اليمن بين عامى ١١٨٨ –١٢٢٦، بأنه كان مستقراً معظم الوقت، في المناطق الوسطى والجنوبية، لأن سكانها كانوا يدينون بالمذهب السني، عكس المناطق الشيعية الزيدية، التي كانت سبباً في إرهاقهم وإجلائهم. تلى الأيوبيين تأسيس الدولة الرسولية عام ١٢٢٩، وبقيت تعز عاصمتها، وامتدت حدود دولتهم من ظفارجنوباً،إلى مكة شمالاً. ويعتبر العصر الرسولي (نسبة إلى عمر بن رسول) واحداً من أزهى الفترات في بلاد اليمن. فقد أقروا الحرية المذهبية والدينية، وازدهرالنشاط التجاري والعمراني، وكثرت القلاع والحصون بالبلاد، فكان

عهد دولة الرسوليين من أفضل العصور التي مرت على اليمن بعد الإسلام، وقداستمرت لأكثر من مائتي عام.سيطر الطاهريون على معظم البلاد،اعتباراً من عام ١٤٥٤، وبقيت مناطق الزيدية عصية عليهم، وكان وسط وجنوب البلاد مستقراً حتى قدوم البرتغاليين.

فشلتحملتان للبرتغاليون فى السيطرة على عدن سنة ١٥١٣،وسنة١٥١٧. وقد شهدت المرحلة التي أعقبتهما أحداثاً كثيرة، أضعفت من قدرة اليمنالدفاعية، ولاسيما في عدن.

عندمامرت الحملة المملوكية الكبيرة، بقيادة حسين باشا الكردي وسليمان العثماني،وهى فى طريقها لمقاتلة البرتغاليين في الهند، غاصت في صراعات اليمن. وبدأت مرحلة من الصراع اليمني البرتغالي المملوكي العثماني،انتهت عام ١٥٣٩ بسيطرة جيوش سليمان باشا على الموقف.وبسط العثمانيون سلطتهم على مواني‌ء عدن والمخا والحديدة وسيطروا على السهول.إلا أنهم جابهوا ثورات عديدة من الأئمة الزيدية في المرتفعات، منذ بداية وصولهم. وسيطرالعثمانيون فى البداية، ووسعوا ممتلكاتهموهدأت الأمور. حتى ظهور الإمام المنصور القاسم، الذي قاد ثورات متواصلة ضد الأتراك. وتمكن من استعادة صعدة،وطرد الأتراك تماماً عام ١٦٣٠.وقد ساعده فى هزيمة الأتراك، استخدام القبائل اليمنية الأسلحة النارية، التى اشتروها من البرتغاليين.

في القرنين السابع عشر والثامن عشر، تعرض الأئمة لعدة ثورات من القبائل المختلفة. ونشبت الخلافات بين الأئمة، بسبب ميل قبيلتي حاشد

وبكيل لإمام دون آخر، فقد كان شائعاً وجود إمامين أو أكثر للزيدية. لذلك كانت مناطق نفوذهم مضطربة طيلة تاريخها، وكذلك استقلال حكام المناطق،مما أدى إلى عودة العثمانيين من جديد عام ١٨٧٢، بمعاونة عدد من القبائل السنية،في وسط وجنوب البلاد، أملاًفي وضع حد للحروب القبلية بين الأئمة الزيدية وأتباعهم. واضطر الأتراك إلى شق طريقهم، قرية بعد قرية وقبيلة بعد قبيلة. فلا يسيطرون على منطقة، إلا وتعاود السابقة التمرد من جديد. سيطر العثمانيون على بعض المناطق،وحاولوا ضم صنعاء إلا أنهم لم يستطيعوا. فتقسمت بلاد اليمن وكسرت شوكة الأئمة، وتقهقر الإمام المنصور والد الإمام يحيى حميد الدين إلى صعدة. وفي عام ١٩٠٤ حاصر الإمام يحيى حميد الدين الأتراك لمدة ستة أشهر، فاستسلمت الحامية العثمانية، وتمكن الثوار في وسط البلاد من دحر العثمانيين في نفس السنة كذلك،وغنموا منهم مدافع وذخائر كثيرة. وفى عام ١٩١١ وقع الأتراك معاهدة سلام مع الإمام يحيى، واعترافوا به إماماً على شمال اليمن.وفي ١٩١٤ تم التوصل إلى اتفاقية بين البريطانيين والعثمانيين، لتخطيط مناطق النفوذ في اليمن لكل منهما، أسموها اتفاقية الحدود، تقاسموا فيها مناطق اليمن وقد نصت على :

١- ترسيم الحدود بين الولاية العثمانية "شمال اليمن، باستثناء عسير وجيزان ونجران، حيث كانتا أمارتين مستقلتين"،والمحميات البريطانية " اليمن الجنوبي".

٢- تخلي الدولة العثمانية عن إي مطالب لها في الجنوب بما فيها حضرموت.

نشوء واستقلال دولة اليمن الحالية

فى هذه الأثناء كانت المملكة المتوكلية، وملوكها من آل حميد الدين المتوكل، تحكم جزءاً صغيراً من بلاد اليمن. فقبيل اندلاع الحرب العالمية الأولى، وقع الإمام يحياتفاقية دعان مع الدولة العثمانية في ٩ اكتوبر ١٩١١. وقد اعترف العثمانيون في المعاهدة بحكمه على المناطق التي يسيطر عليها الزيديونمن اليمن. وبعد سقوط الدولة العثمانية، أخذ الإمام يحيى يتطلع إلى السيطرة على المناطق التي أخلاها الأتراك، بل ويتطلع إلى بسط سيطرته على المحميات في جنوب اليمن. وعلى إثر انعقاد هدنة مدروس في ٣١ اكتوبر ١٩١٨، التي أنهت الحرب العالمية الأولى في الشرق الأوسط، واختفاء الدولة العثمانية، وبمجرد وصول أنباء ذلك إلى اليمن، دخل الإمام يحيى صنعاء، بعد ثلاثة أيام من إخلائها من العثمانيين، في يوم الأحد ١٧ نوفمبر ١٩١٨. وقد دخل المدينة في صحبة العديد من شيوخ القبائل، من حاشد وأرحب ونهم وخولان. وقد وصل إلى مقر إقامة القاضي العلامة حسين بن علي العمري، حيث استقبل الوفود والعلماء والأمراء الأتراك والقضاة، وطوفاناً من الرعايا، الذين جاءوا ليبايعوه زعيماً لليمن. وبذلك أصبحت اليمن أول دولة عربية مستقلة. لكن الإنجليز قاموا عام ١٩٢١م، بتسليم ما احتلوه من المناطق

التهامية،إلى حليفهم الإدريسي،الذي وقف إلى جانبهم في الحرب بموجب معاهدة صداقة عقدت بينه وبين الإنجليز عام ١٩١٥ م. وهكذا وجد الإمام، الذي أعلن قيام المملكة المتوكلية اليمنية، نفسه محاطاً بالخصوم في الشمال"ابن سعودوإمارتى عسير ونجران"،والجنوب "المحميات البريطانية"، والغرب محروماً من الموانئ،التى يحتلها البريطانيون والأدارسة،والمدرة للمال جراء نشاطها التجاري، بالإضافة إلى تمردات القبائل الرافضة للإمامة، وما تمثله من الفردية المطلقة فى إدارة شئون الحكم، وسياسة أخذ الرهائن من أبناء القبائل لضمان ولائها، والتعسف في جباية الأموال. وقد واجه سيف الإسلام أحمد بن الإمام يحيى، كقائد عسكري لقوات أبيه، تمردات القبائل في حاشد وتهامة والبيضاء ببأس واقتدار. كما تمكنت قوات أخرى للإمام،من دخول الحديدة بعدئذٍ دون قتال. وذلك بعد موت الأمير محمد الإدريسي، حاكم عسير مؤسس الإمارة الإدريسية،وقبل أن تحل مشاكل الخلافة بالإمارة. مما مكن قوات الإمام من التقدم شمالاً، لتحاصر مدينتي صبيا وجيزان، أهم مدينتين ضمن الإمارة الإدريسية. وقد دفع هذا الموقف الأدارسة إلى الالتجاء لآل سعود، الذين قامت دولتهم في نجد والحجاز، على أنقاض دولة الشريف حسين وأبنائه. فعقدت معاهدة حماية، بين آل سعود والأدارسة عام ١٩٢٦، بسط السعوديون على إثرها سلطتهم على بلاد عسير. وهي المعاهدة التي لم يعترف بها الإمام، مما أدى إلى مواجهات واشتعال حرب بين الطرفين عام ١٩٣٤م،انتهت بتوغل القوات السعودية داخل الأراضي اليمنية، وعجز

قوات الإمام عن استعادة عسير.و كانت نتيجة ذلك الوضع العسكري توقيع اتفاقية فى نفس العام بين الطرفين، تنازل بموجبها الإمام يحى لابن سعود عن حقوقه فى عسير وجيزان ونجران، وعرفت بمعاهدة الطائف.

وفي مواجهة الإنجليز في جنوب اليمن، كان الإمام يحاول، ضمن بسط سيطرته على البلاد اليمنية، أن يبسط سيطرته على المحميات الجنوبية. فدخلت قواته الضالع، للضغط على بريطانياكي تسلمه الحديدة، وليعلن عدم اعترافه بخط الحدودالذي رسمتهاإتفاقية بين قوتين غازيتين على أرض ليست لهما. وقد رأى الإمام أن يستعين بإيطاليا، التي تحتفظ بمستعمرات في الساحل الأفريقي المقابل. فعقد اتفاقية صداقة معها عام ١٩٢٦. ولم يفت الإنجليز مغزى هذه الاتفاقية التي شجعت الإمام على دخول العواذل العليا والسفلى، إلى جانب تدعيم قواته في الضالع والبيضاء. كما عقد معاهدة صداقة وتعاون مع الاتحاد السوفييتي في العام ١٩٢٨.فكان رد فعل الإنجليز على تحركات الإمام هذه، هو الحرب التياإشتعلت بين الطرفين عام ١٩٢٨.استخدم فيها الإنجليز الطائرات الحربية التي ألقت على الناس منشورات تهديد وقنابل دمار، ألحقت الضرر في جيش الإمام وفي المدن الآمنة التي ألقيت عليها. وقد انتهت هذه الحرب بهزيمة الإماموإجباره على في مفاوضات انتهت هي الأخرى بمعاهدة الصداقة والتعاون المتبادل، بين اليمن وبريطانيا ١١ فبراير ١٩٣٤.وقدإنسحب الإمام فيما بعد من مناطق المحميات التي دخلها. ومع أن الإمام رفض الاعتراف بخط الحدود، الذي رسمته اتفاقية بريطانيا وتركيا، إلا أنه إضطر

للتسليم بالوجود البريطاني في عدن لمدة أربعين عاماً قادمة، وهي مدة الاتفاقية، على أن يتم بحث موضوع الحدود قبل انتهاء مدة هذه الاتفاقية.

ودخلت القوات البريطلنية عدن عام١٩٣٧، وأصبحت مستعمرة تابعة للتاج البريطاني، ومدت نفوذها إلى كامل المنطقة الجنوبية. وتمكنت الإدارة البريطانية فى عدن، من عقد معاهدة صداقة، تم بقتضاها تجميع قبائل المنطقة الجنوبية،"لحج حضرموت وأبين وشبوة"، فى اتحاد كونفدرالي، يتكون من خمس عشرة سلطنة، أطلق علية اتحاد الجنوب العربى. ونعمت المنطقة بحالة من الاستقرار، مكنتها من إنشاء بنية تحتية أكثر تقدماً وإعماراً، ونسبة عالية من التعليم، بخلاف حالة الفوضى التى كانت سائدة فى المناطق الشمالية، حيث عاش اليمن الشمالي منذ ذلك الحين، تحت حكم أسرة حميد الدين، فى مرحلة كثرت فيها المحاولات الانقلابية، سواء من القبائل أو الجيش أو أحد أفرد الأسرة. ففى عام ١٩٤٨، أقدم علي بن ناصر القردعي المرادي، والذي كانت علاقته سيئة بالإمام، والضابط عبد الله الوزير، ونجل الإمام يحيى إبراهيم حميد الدين، بمحاولة انقلاب وإنشاء دستور مدني للبلاد، قُتل خلالها الإمام برصاصة من بندقية الشيخ ناصر أصابت رأسه في منطقة حزيز جنوبي صنعاء، حيث أزيح آل حميد الدين من الحكم وتولى عبد الله الوزير السلطة كإمام دستوري، لكن الانقلاب فشل بعد أن قام الإمام أحمد حميد الدين بثورة مضادة، مؤيدة بأنصاره من القبائل،استطاع خلالها إجهاض الثورة الدستورية، وإعدام الثوار، وقدمت السعودية الدعم للإمام أحمد، بسبب طبيعة الانقلاب الدستورية.

في ٢٦سبتمبر عام ١٩٥٥، قام قائد جيش الإمام، المقدم أحمد بن يحيى الثلايا، بمحاصرة قصر الإمام في تعز. فشنت القبائل هجوماً على تعز، وأفشلت مخطط الضباط، واعتقل أحمد الثلايا، و"حوكم" في ملعب لكرة القدم في المدينة، وحكم عليه بالإعدام. قال حينها جملته المشهورة :"قبحت من شعب أردت لك الحياة فأردت لي الموت". وسجن الإمام كلا من :علي محمد السنيدار وأحمد المروني ومحمد الفسيل وصالح السنيدار وحسن العمري وعبدالسلام صبرة، وكل هولاء كان لهم أداور قيادية في ثورة ٢٦ سبتمبر١٩٦٢. ففي السنوات التالية زاد هذا الاتجاه تجذراً في أوساط جماهير أوسع من الشعب اليمني، بفضل انتشار الأحزاب الوطنية السرية، بمشاربها الفكرية المختلفة. وقد ساهم بعض الضباط في التمهيد للثورة حين أرادوا عام ١٩٦١ التخلص من الإمام في الحديدة. إلا أنه نجى من القتل مثخناً بالجروح التي لازمته حتى وفاته في ١٩ سبتمبر ١٩٦٢م. فخلفه ابنه البدر محمد، الذي أعلن تمسكه بخط أبيه في السياسة والحكم. وكانت قناعة القوى الوطنية في البلاد لإحداث التغيير الجذري في طبيعة الحكم قد دفعت بترتيبات الثورة قدماً. وبعد أسبوع فقط من تولي الإمام البدر مقاليد الحكم، أي في ٢٦سبتمبر ١٩٦٢،انفجرت الثورة اليمنية التي أطاحتبالإمامة.وقد أرسل عبد الناصر جيشاً مصرياً لدعم الثوار. وقامت السعودية والأردن وبريطانيا بدعم القبائل الموالية للإمام البدر،والعمل على عودة أسرة حميد الدين إلى الحكم. وعاشت اليمن فى حرب أهلية انتهت عام ١٩٧٥ بتسوية تم بمقتضاها إنهاء الحرب، وإنشاء نظام حكم جمهوري

تشترك فيه وتساندة غالبية القبائل. وعاش شمال اليمن فترة اضطرابات، مابين تمردات قبلية، إلى انقلابات عسكرية دموية لعدة سنوات،انتهت بتولى على عبد الله صالح رئاسة الجمهورية بانقلاب عسكرى دموى عام ١٩٧٨. واتسم نظام حكمة بالاستبداد الذى أضفى على المجتمع اليمنياستقراراً وصل إلى درجة الجمود.

تزامنت الثورة ضد الإمامة في شمال البلاد مع مساعي الجنوبيين للتخلص من الوجود البريطانى فى عدن. وظهرت حركات مقاومة، مثل جبهة التحرير القومية المدعومة من المصريين، وجبهة تحرير جنوب اليمن المحتل ذات التوجهات اليسارية. واستمرت هجمات الجبهتين، حتى انسحاب القوات البريطانية من عدن فى ٣٠ نوفمبر ١٩٦٧، قبل موعد انسحابهم بسبعه أعوام،والذى كان محدداً بأربعين عاماً، طبقاً لمعاهدة الصداقة والتعاون المتبادل بين اليمن وبريطانيا ١١ فبراير ١٩٣٤، وإعلان قيام جمهورية اليمن الديموقراطية الشعبية،شاملة كامل المنطقة الجنوبية. وقد تراوحت العلاقات بين الجمهوريتين، مابين المناوشات والمفاوضات من أجل الوحدة. إلى أن وقع على عبد الله صالح،رئيس الجمهورية العربية اليمنية مع على سالم البيض، رئيس جمهورية اليمن الشعبية اتفاقية فى نوفبر عام ١٩٨٩ بين البلدين، تم بمقتضاها إعلان الوحدة رسميا فى ١٩٩٠/٥/٢٢. إلا أن اليمن الجنوبى قام بمحاولة انفصالية، ونشبت الحرب بين الجنوب والشمال، مابين شهرى مايو ويوليو عام ١٩٩٤،

وانضمت بعض قوى وقبائل الجنوب لليمن الشمالى. وانتهت الحرب بانتصار الشمال وهروب قادة الجنوب إلى خارج البلاد.

وقد أحكم على عبدالله صالح قبضته على الجيش والدولة، مستعيناً بشيوخ القبائل، وميلشياتهم المسلحة فى الجنوب والشمال، فى مواجهة الانقلابات العسكرية، والمحاولات الانفصالية، وتمردات الحوثيين الستة، مابين أعوام٢٠٠٤/٢٠٠٩ بمحافظتى صعدة وعمران، ومحاولات تنظيم القاعدة للسيطرة على محافظتي أبين وشبوة فى الجنوب منذ٢٠١٠. وفى مقابل دعم النظام فى حروبة، مُنح شيوخ القبائل امتيازات ضخمة، من أموال وعقارات ورتب ودرجات عسكرية. كما حصل رجال القبائل على كميات كبيرة من الأسلحة الصغيرة والمتوسطة، تقدر بخمسة ملايين قطعة. فى حين أن الأسلحة التي فى حوزة الدولة لاتتعدى ١,٥ مليون قطعة. وفى نهاية ٣٣ سنة من حكمه، عُدَّت اليمن من أفقر دول العالم. واعتبر مواطنوها من أكثر البشر بؤساً، طبقا لتقارير التنمية البشرية الصادرة عن الأمم المتحدة.

اندلعت احتجاجات واسعة النطاق بشوارع وميادين العديد من مدن اليمن، حتى بلغت ذروتها فى شهر فبراير ٢٠١١، وانضمت اليها القوى السياسية والحزبية، وبعض شيوخ القبائل ووحدات الجيش. وسلم صالح السلطة لنائبه، تنفيذاً للمبادرة الخليجية التى وضعت خريطة للمستقبل أقرتها معظم مكونات المجتمع ومجلس التعاون الخليجى والأمم المتحدة. وكان التحول إلى دولة اتحادية جزءا من انتقال اليمن إلى الديمقراطية، بموجب اتفاق

انتقال السلطة وإنهاء مركزية الدولة في صنعاء، وتخفيف السلطات التي االستحوذ عليها صالح طوال عقود حكمه، بعدما استشرى في عهده الفساد والصراع. ونص الاتفاق على أن يكون لكل إقليم في اليمن سلطة أكبر فيما يتعلق بشؤونه،مثل الخدمات المدنية والاجتماعية والصحية والأمنية، كما سيكون لكل إقليم قوة شرطة خاصة به، ولا يعارض الجنوبيون والحوثيون إقامة دولة اتحادية، لكن الجميع غير راضين بحدود التقسيم، باستثناء عدد صغير من القبائل.

كثيرون كانوا يأملون في أن تعيش اليمن وضعاً طبيعياً، تتعلم أثناءه القوى المتصارعة فضيلة التعايش، وتقبل مبدأ التداول السلمى للسلطة. ولكن تأتى الرياح بما لا تشتهى السفن. فالرئيس السابق على عبد الله صالح، الذى أنذر خصومه قبل أن يجف حبرالمبادرة الخليجية بأنه سيعلمهم ماهى المعارضة، قد وفى بوعده وخرّب المرحلة الانتقالية التى بدأت فى فبراير ٢٠١٢، مستغلاًاستمرار التدهور الأمني وسوء الأوضاع الاقتصادية وفشل حكومة الوفاق فى تحقيق مهمامها وسيولة الأوضاع السياسية. وتحالف مع الحوثيين الزاحفين فى أي اتجاه تكون رياحه مواتية لهم. لقد سهلت التطورات الأخيرة من حدوث تقارب مفزع بين خصمى الأمس، بعد ماحققه الحوثيون من انتصارت أذهلت خصومهم، وأرجفت قلوب الحلفاء، وأفزعت دول الجوار والمجتمع الدولى،لأنهم قوة عسكرية جامحة بدون برنامج وعمل سياسى. ومن يتابع خطابهم السياسي، يجد أنهم كحزب الإصلاح (الإخوان المسلمون اليمنيون)، بعيدين عن قضايا الناس الملحة

والآجلة،ولا يملكون أى رؤية للتغيير السياسى والاقتصادى. ويتبنون خطاباً يداعبون به عواطف البسطاء والأميين – جمهور كل تيارات الإسلام السياسى – التي تعيد اليمنيين إلى مربع الصراعات العبثية، التى انتهت منذ ١٤٠٠ سنة، حول من كان الأحق بالخلافة.

و يبقى:

– قدرة الحوثيين على التوسع واستخدام السلاح، فى ظل تهافت الدولة وفراغ السلطة.

– المشكلة الجنوبية قضية القضايا، بحسب ماتعارف عليه كل اليمنيين، بدون حل فى الأفق.

– القاعدة التى تسابق الحوثيين في السيطرة على هذه المنطقة أو تلك.

– القوى التى حنت رؤوسها للعاصفة مؤقتاً، تتربص وتتحضر لتنطلق.

– دول الجوار المفزوعة والمتخوفة على وجودها.

أوضاع متشابكة تولد سيولة وعنفاً. مما ينذربفتح جبهات صراع، لن تتوقف، ولايستطيع أحد أن يتنبأ بمسارها أونتائجها.

المراجع

http://www.yemen-nic.info/yemen/history-

موجز التاريخ السياسى لليمن

http://www.yemen-

nic.info/yemen/history/sulaih.php- الدولة الصليحية

http://www.youtube.com/watch?v=Z9johH2G

TQg- الملكة أروى الصليحية

http://www.startimes.com/?t=16159009 الصراع

اليمنى البرتغالى المملوكى العثمانى

http://www.soutalgnoub.com/dwal.htm اتحاد

الجنوب العربى

- زيد مطاع دماج،الرهينة (رواية)، دار رياض الريس للطباعة والنشر- بيروت.

المملكة الأردنية الهاشمية

المملكة الأردنية الهاشمية دولة عربية، تقع جنوب غرب آسيا. تحدها سوريا من الشمال، وفلسطين التاريخية (الضفة الغربية وإسرائيل) من الغرب عبر نهر الأردن، والعراق من الشرق، وتحدها شرقاً وجنوباً المملكة العربية السعودية. كما تطل على خليج العقبة في الجنوب الغربي، حيث ميناء العقبة، المنفذ البحري الوحيد للأردن. ويبلغ عدد سكان الأردن ٦.٧ مليون نسمة، يسكن ٤٠% منهم فى العاصمة عمان(بيانات دائرة الإحصاء العامة – يوليو ٢٠١٣). ويقدر عدد الفلسطينيين الذين وفدوا اليها بعد عام ١٩٤٨ بـ ٥٠ % من عدد السكان. وتبلغ مساحتها ٩٢,٠٠٠ كم مربع. وكانت هذه المنطقة ومنذ أقدم العصور مأهولة بالسكان بشكل متواصل، وتعاقبت عليها حضارات مزدهرة متعددة. إلى أن جاءت قبائل الأنباط العربية، مهاجرة من شبه جزيرة العرب، وحطّت رحالها في أراض شرق نهر الأردن حوالى ٢٠٠٠ ق.م. واستوطنت كل واحدة منها ديارا، يفصلها عن الأخرى معالم طبيعية. وقد قامت العديد من الحضارت المزدهرة، وتعاقب على احتلالها فيما بعد كل من الآشوريين والبابليين. وصارت مملكة مؤاب ولاية بابلية، زمن الملك نبوخذ نصر. ومنذ أن احتل الرومان منطقة الشام بالكامل عام ٦٣ ميلادية، بقيت المنطقة تحت السيطرة الرومانية طيلة أربعمائة عام. وتكونت مملكة الأنباط فى الجنوب، فى

نطاق الإمبراطورية الرومانية، وسكنت شمال الأردن في تلك الفترة قبائل عربية تدعى الغساسنة، كونوا دولة ضمن نطاق الإمبراطورية الرومانية ومن ثم البيزنطية. شهدت الأردن أثناء الحكم البيزنطي ازدهاراً ونموا كبيرين فى أعداد السكان، كذلك أصبحت المسيحية ديناً سائداً في المنطقة. وبقيت المنطقة تخضع للحكم البيزنطي حتى مجيء الإسلام عام ٦٣٠.وعندما شهد القرن العاشر ازدياد نفوذ الفاطميين، الذين حكموا مصر واشام والحجاز،استولوا عليهاعام ٩٦٩م.في القرن الثاني عشر دخلت فى العهد الأيوبي والمملوكي، وشكلت مع مصر وسوريا إقليماً واحداً يحكم من القاهرة لمدة ثلاثة قرون. واحتل فيها الأردن موقعاً بارزاً بين جاراته، وازدهرت أحوالة. وأعيد بناء حصونه وخاناته، كي ينزل فيها الحجاج وهم في طريقهم إلى مكة والمدينة، ومن أجل تعزيز منعة طرق التجارة والاتصالات بعيدة المدى التى تجتاز المنطقة. وما لبث الأتراك العثمانيون أن هزموا المماليك فى موقعة الريدانية عام ١٥١٦. وأسقطوا الدولة المملوكية واحتلوا القاهرة عام ١٥١٧. وبهذا أصبحت المنطقة جزءاً من الدولة العثمانية، وبقيت هكذا طيلة أربعة قرون من١٥١٧ حتى ١٩١٨. وبشكل عام عانت من الإهمال الذي أصاب تطور بنيتها التحتية في العهد العثماني. فمعظم الأسواق والمنشآت الصناعية والحرفية والمدارس والمستشفيات بقيت مهملة فى معظم الأحوال.

فى أثناء الحرب العالمية الأولى، نشبت الثورة العربية الكبرى، كحركة مسلحة بدأت في الحجاز في يونيو ١٩١٦. وامتدت لغزو سوريا (الكبرى)

العثمانية وإسقاط الحكم العثماني فيها وفي العراق. وذلك نتيجة السياسة العثمانية وتراكمات العلاقة المعقدة بين العرب والأتراك.

وهدفت الثورة، كما نصّ عليها ميثاق دمشق، الذي وقع بين الأمير فيصل ممثلا لوالدة الشريف حسين مع قادة الحركة القومية العربية فى سوريا عام ١٩١٥، وفي مراسلات الحسين مكماهون يوليو ١٩١٥ – مارس١٩١٦، التي استندت إلى الميثاق، على خلع طاعة الدولة العثمانية، وإقامة دولة عربية، أو اتحاد دول عربية، يشمل الجزيرة العربية(نجد والحجاز على وجه الخصوص) وسوريا الكبرى بما فيها فلسطين وشرق نهر الأردن – عدا ولاية أضنة التي اعتبرت ضمن سوريا العثمانية، مع احترام "مصالح بريطانيا في جنوب العراق" – وهي المنطقة الجغرافية التي تبدأ في بغداد وتنتهي في ساحل الخليج. وفي الوقت الذي كانت فيه المراسلات تبلور أسس التحالف بين بريطانيا والعرب، كان الوضع صعباً ومتدهوراً. حيث صب جمال باشا السفاح (ضابط بالجيش العثماني) جام غضبه على الضباط العرب فى سوريا، وأعدم كثيرًا منهم بعد فشل حملته على قناة السويس، مما دفع قادة الحركة العربية للضغط على الشريف للتعجيل في إعلان الثورة. وتم ذلك في العاشر من يونيو ١٩١٦.

استمر الهاشميون حتى بعد وعد بلفورعام ١٩١٧ واكتشاف اتفاقية سايكس بيكو السرية، التى كانت تعطى لفرنسا حقوقاً فى سوريا الكبرى، في التعاون مع بريطانيا والحلفاء، الذين كانوا يمولون جيشهم من الخزينة المصرية، ويزودونه بالسلاح والخبراء، مثل لورانس العرب وغيره من

الخبراء. وتمكن جيش الثورة العربية الكبرى بقيادة فيصل بن الحسين، بالتعاون مع مسلحي القبائل، من تحقيق انتصارات عسكرية، وكسر الجيش العثماني على طول خط القتال الممتد من المدينة المنورة وحتى دمشق. وفي آخر سبتمبر ١٩١٨،انسحب العثمانيون من دمشق، وقبلوا في هدنة مودروس، ثم في معاهدة سيفر، بالتنازل عن أملاكهم في نجد والحجاز وسوريا والعراق وكيليكيا ومصر.

في مرحلة ما بعد الانتصار العسكري للثورة، اتجه الرأي لإقامة اتحاد أو تحالف دول عربية، بدلاً من دولة عربية واحدة، على أن يرأسها هاشميون. فيكون الحسين ملكًا لنجد والحجاز، وفيصل ملكًا لسوريا، وعبد الله ملكًا للعراق. وبين عامي ١٩١٦-١٩١٧ انضم للجيش الشريفي عدد من الضباط الوطنيين من سوريا وفلسطين، ممن كانوا في الجيش العثماني، وتطوع كثير من عرب المشرق، فوصل عدد الجيش إلى ٧٠,٠٠٠ مقاتل، وبعد ذلك تم تحرير بيروت وحلب وحماة وطلس وصيدا وصور وحمص. وفي أكتوبر تم تأليف الحكومة العربية الأولى في بيروت، ورفع العلم على سرايا بيروت، أمَّا فرنسا فقد احتلت الساحل السوري ولبنان، وفَصلت لبنان عن سوريا، وشكَّلت فيه دولة تحت انتدابها. وفي عام ١٩٢٠ في الثامن من مارس، أعلن المؤتمر العربي في دمشق استقلال سوريا. ونودي بالملك فيصل ملكاً دستورياً على كامل سوريا الكبرى -على عكس ما كان قد اتفق عليه بين الشريف حسين وبريطانيا وفرنسا- ودخلها فى يوليو. ونشبت معركة ميسلون، بين الجيش السوري بقيادة الجنرال يوسف العظمة، وقوات

الاحتلال الفرنسي بقيادة الجنرال غورو في ٢٤ يوليو عام ١٩٢٠، ودخل الجنرال غورو سوريا، واحتلَّتها الجيوش الفرنسية، وحكمتها أيضاً باسم الانتداب الفرنسي، منهية الحكم العربي بقيادة فيصل، بعد حكم دام ٢٢ شهراً من ١٩١٨ إلى ١٩٢٠.

وبعد فشل مشروع الدولة العربية الكبرى، ووقوع منطقة شرق نهر الأردن تحت الانتداب الإنجليزي، أرسلت الحكومة البريطانية فى يوليو ١٩٢٠ مندوبها السامي في فلسطين هربرت صموئيل إلى شرق الأردن، لامتلاك زمام المبادرة. حيث قامت بتشكيل حكومتين محليتين، الأولى في الكرك والأخرى في عمان. وتم تشكيل حكومة ثالثة فيما بعد في الطيبة، تضم كافة مناطق شمال الأردن. وأصبح شرق الأردن بالكامل يخضع للنفوذ البريطاني. واجتمع المندوب السامى البريطاني فى السلط فى١٩٢٠/٨/٢١، مع زعماء شرقي الأردن (زعماء مناطق الكرك وعمان وعجلون والسلط والطفيلة وولاية الطيبة)، حيث خلص المجتمعون إلى تأسيس حكومات في هذه المدن، بالإضافة إلى مدينتي عمان وأربد. كما تم الاتفاق على تعيين عدد خمسة ضباط للاتصال سياسي، يقومون بالتنسيق بين الحكومات والمندوب السامي. بعد ثلاثة أشهر انشقت ولاية الطيبة عن الكيان الإنجليزي، وألفت حكومة من كافة عشائر الشمال. كما قامت عدة حكومات محلية خاصة، فى منطقتي دير يوسف وجرش. ولم تستغرق هذه المرحلة أكثر من سبعة أشهر، حيث وصل الأمير عبد الله بن الحسين (الذي كان يشغل آنذاك منصب وزير خارجية المملكة العربية

الهاشمية في الحجاز) إلى المنطقة، بناءً على الدعوات التي وجهت إلى الشريف الحسين بن علي من قبل أعيان ووجهاء مناطق شرقي الأردن، وكذلك من أعضاء حزب الاستقلال المطالب بالدولة العربية الكبرى، الذين جاؤا وتمركزوا فى عمان بعد معركة ميسلون. وبعد وصول الأمير عبد الله إلى منطقة العقبة، واستيطانه مدينة معان في ١١/٢١/ ١٩٢٠، وبدئه فى دعوة أهالي شرق الأردن وحكوماتها المحلية للالتفاف حوله، أحدث وجود الأمير فى هذه الأجواء المضطربة ودعوته إلى إحياء الثورة العربية، انزعاجاً للبريطانيين. خاصة وأن الهاشميين يعتبرونهم السبب فى فشل الثورة، بعدم التزامهم بتعهداتهم وخروج الهاشميين صفر اليدين رغم وفائهم بكافة التزاماتهم. ولما كانت الإدارة البريطانية لم تستقر بعد على كيفية التصرف مع الولايات العربية، التى كانت خاضعة للإمبراطورية العثمانية السابقة، فقد عقدت مؤتمراً بالقاهرة في ١٢ مارس ١٩٢١، برئاسة ونستون تشرشل وزير المستعمرات البريطاني آنذاك،استمر لمدة ١٠أيام. وقد عُقد المؤتمرلتأسيس سياسة بريطانية موحدة في الشرق الأوسط، وخاصة لحل السياسات المتداخلة المحددة في مراسلات الحسين مكماهون (١٩١٥)، واتفاقية سايكس- بيكو (١٩١٦)، ووعد بلفور (١٩١٧). ونستون تشرشل، الذي عُين حديثاً وزيراً للمستعمرات، دعا جميع القادة العسكريين البريطانيين والمديرين المدنيين في الشرق الأوسط، لحضور المؤتمر في فندق سميراميس بالقاهرة لمناقشة هذه القضايا.

في المؤتمر، تم الاتفاق على أن لبنان وسوريا يجب أن تظلا تحت الإدارة الفرنسية. وأن تحافظ بريطانيا على الانتداب على فلسطين، وتستمر في دعم تأسيس وطن يهودي هناك. القرارات الخاصة ببقية الأراضي الواقعة شرق نهر الأردن تم تأجيلها حتى يذهب تشرشل إلى القدس لعقد مزيد من المناقشات. تقرر إنهاء الحماية غير المرحب بها على بلاد الرافدين، وأن يصبح فيصل الأول ملكاً على مملكة العراق الجديدة،والحسين شريف مكة كان ملكاً على الحجاز، وتولى عبد العزيز بن سعود حكم نجد في قلب شبه الجزيرة العربية. واستمر كل منهم في تلقي دعم مالي من بريطانيا العظمى. وبقى وزير المستعمرات بالمنطقة. وفى آخر شهر مارس، سافر إلى القدس برفقة لورانس العرب. ولم يمضِ وقت طويل، حتى تلقى الأمير عبدالله دعوة من السير صموئيل، لزيارة القدس ومقابلة وزير المستعمرات البريطاني ونستون تشرشل. واستغرقت مباحثات القدس ثلاث جولات في ٢٨ و٢٩ و٣٠ مارس ١٩٢١. وتم فيها بحث العديد من القضايا، في ضوء ما أفرزه مؤتمر الشرق الاوسط في الثاني عشر من نفس الشهر. وكذلك توصيات لورنس، وتوصيات واقتراحات صموئيل.وفى نهاية المؤتمر وافق الإنجليز على استثناء الأردن من نصوص وعد بلفور، ومنحها الاستقلال التام، ودعمها بكل الخبرات الإدارية واللوجستية. وتم الاتفاق على أن يكون الأمير عبد الله بن الحسين أميراً علي شرق الأردن،على أن يتم التفاهم مع الفرنسيين حول مستقبل إدارة الحكم في سورية. وتم التوقيع على وثيقة الاستقلال لتحفظ بملفات وزارة الخارجية البريطانية. ثم قام

السير هيربرت صاموئيل بزيارة لعمّان، وتم وضع الأسس لتشكيل إدارة وكوادر الدولة الأردنية الفتيّة. وظهرت وحدة إدارية سميّت إمارة الشرق العربي، ووضعت تحت الانتداب البريطاني.وأسفر نجاح المفاوضات عن بدء إجراءات التأسيس بإنشاء حكومة دستورية أعلن عنها في ١٩٢١/٤/١١. وبذلك اختفت الحكومات المحلية العشر، واندمجت فى حكومة واحدة هي حكومة إمارة شرق الأردن.

وصدر قرار من عصبة الأمم، التي كانت تمثل الشرعية الدولية حينها، بالاعتراف بشرق الأردن كوحدة جغرافية وسياسية مستقلة.وصدر القرار في الثالث والعشرين من سبتمبر ١٩٢٢، حيث اعترفت بها بريطانيا. ووقعت الحكومة البريطانية اتفاقاً رسمياً مع الأمير عبد الله بن الحسين فى ٢٥ مارس عام ١٩٢٣، سمى بصك الانتداب، يقضي بإنشاء إمارة بشرق الأردن، يتولى الأمير رئاستها تحت الانتداب البريطاني، على أن يتخلى عن مخططاته المعلنة بشأن معاودة الهجوم على سوريا. وأعطى الإمارة حق الاستقلال، بعد مضي خمس سنوات، شريطة توفر المقومات اللازمة لذلك، بتثبيت الوضع الدستوري للإمارة، وبناء مؤسساتها السياسية والإدارية، وتحقيق التآلف بين مكوناتها.

وقد واجه تأسيس الإمارة بعض المصاعب والمستجدات، كان على الأمير وحكومته مواجهتها. تدور تلك المصاعب حول التمرد والعصيان،والاعتداءات والمخاطر الخارجية.ومنها ثورة الكورة ١٩٢١-١٩٢٢، ومهاجمة المجاهدين السوريين المقيمين بالإمارة الجنرال جورو

قائد القوات الفرنسية فى سوريا١٩٢١، وتمرد عشائر القرعان في ولاية الطيبة ١٩٢٣،ومناوشات الوهابيين جنوب شرق الإمارة. وأقيم حفل رسمياحتفالاً بإعلان الاستقلال في ١٥ مارس ١٩٢٣. ولقد أخذت الإمارة الأردنية شكلها الجغرافي وحدودها الحالية بعد أن تم التوافق بين الشريف حسينوعبد الرحمن العلي قائد التمرد فى ولاية الطيبة على إنهاء التمرد وضم الولاية للإمارة، وقد تم الإلحاق فى يونيو ١٩٢٥. وقدر عدد سكانها آنذاك فى حدود ٢٥٠,٠٠٠ نسمة. ولم يتبق للهاشميين فى ذلك الوقت، سوى هذه الإمارة،بعد أن كانوا قد أسسواالمملكة الحجازية الهاشمية أو مملكة الحجاز بعد نجاح الثورة العربية الكبرى في عام ١٩١٦ ضد العثمانيين.

إلا أن الأمير وحكومته لم يشرعا فى توفير الشروط التي نصت عليها اتفاقية صك الانتداب، وهى وضع دستور للإمارة، ووجود مجلس نواب منتخب وحكومة برلمانية، كشرط لإعطائها حق الاستقلال التام. إلى أن تم تشكيل المجلس التشريعي وحكومة وطنية في عام ١٩٢٨، وحصلت الإمارة على حق الاستقلال فى نفس العام (على إثر مطالبات شعبية واسعة النطاق)، بموجب اتفاقية وقعت في ١٩٢٨/٤/١٦، نصت على أن إمارة شرق الأردن دولة ذات كيان معترف به ومستقل، ويتولى السلطة فيها أمير للبلاد. وقد طغى على أفكار الناس، وأثار مخاوفهم واضطراب أحوالهم فى هذه المرحلة، ما يحدث في فلسطين، والخطر الصهيوني الماثل للعيان، على الأخص الإجراءات التى تسهل إطلاق يد الصهيونية

في الإمارة وفلسطين. لذا طالبت القوى الوطنية الفلاحين بعدم بيع أو تأجير أراضيهم من دون علم الحكومة والحصول على موافقتها، ورغم الموافقة البريطانية على ستثناء شرقي الأردن من وعد بلفور،إلا أن الحركة الصهونية بقيت على قناعتها بأن شرقي الأردن جزء من أرض إسرائيل المبتغاة، فأخذت الوكالة اليهودية تخطط لاختراق شرقي الأردن على أصعدة كثيرة منها شراء الأراضي بواسطة عدد من العملاء والسماسرة. وقد شهدت هذه الفترة وحتى عام ١٩٤٨ توترات داخلية، وصداماً مع الحكومة للمطالبة بالمزيد من الحريات العامة، ومعارضة الشعب وقواه الوطنية للنفوذ البريطاني والصهيوني، وكذلك تقديم دعم شعبي حقيقي للثوار فى فلسطين، ومنه التطوع للقتال هناك. بانتهاء الحرب العالمية الثانية دخلت الإمارة في مفاوضات مع بريطانيا،انتهت بعقد معاهدة تحالف جديدة بتاريخ ٢٢ مارس ١٩٤٦، تلغي معاهدة ١٩٢٨، وتعترف فيها بريطانيا بالإمارة دولة مستقلة كاملة الاستقلال، ورفع مستوى التمثيل بين البلدين إلى مستوى سفارة. وعلى أثر ذلك تم دعوة مجلس النواب إلى الانعقاد، حيث ألغى العمل بالقانون الأساسي لعام ١٩٢٨، وأعلن الأردن مملكة مستقلة ذات سيادة في عام ١٩٤٦. وتم تعديل الدستور، الذي أصبح يعرف فيما بعد بـ دستور ١٩٤٧. وفى ٢٥ مايو ١٩٤٦، وافقت الأمم المتحدة على إنهاء الانتداب البريطاني، والاعتراف بالأردن كمملكة مستقلة ذات سيادة. وأعلن البرلمان الأردني الملك عبد الله الأول ملكاً عليها، الذي استمر في الحكم

حتى تم اغتياله في عام ١٩٥١، بينما كان يغادر المسجد الأقصى في القدس.

ولقد أصابت آثار الأحداث الكبرى التى اجتاحت المنطقة ابتداء من الهزيمة العربية في حرب فلسطين، وإنشاء دولة إسرائيل ١٩٤٨، والهزيمة العربية فى حرب ١٩٦٧، وحروب الخليج الصدامية، والثورات والاضطرابات الحادثة مؤخراً فى دول الجوار، أثرت هذه الأحداث على كيان المملكة تأثيراً جذرياً إستراتيجياً، يشمل المجالات الديموجرافية، والسياسة الداخلية، ومفهوم الأمن القومي، وتوجهات سياساتها الإقليمية والعالمية. حيث أدت موجتا الهجرة الفلسطينية فى سنتى ١٩٤٨ و١٩٦٧، إلى تغيير التركيبة الديموجرافية، بحيث أصبح الفلسطينيون يشكلون حالياً أكثر من نصف عدد السكان، ناقلين إلى الأردن صراعاتهم السياسية السلمية والمسلحة، بين بعضهم البعض، وفى مواجهة السلطة واسرائيل. كما أكسبت هذه الهجرات المجتمع الأردني قدراً كبير من الحيوية، بتأثير قدرات ومهارات الطبقة الوسطى الفلسطينية. وشهدت الفترة التالية لحرب عام ١٩٦٧ تصاعداً في عدد عناصر ونشاطات الفصائل الفلسطينية (الفدائيين)داخل الدولة الأردنية. حتى أضحت دولة داخل دولة، تهدد سيادة القانون في الأردن.وحدث التصادم بين الجيش الأردني والفصائل الفلسطينية في أيلول من عام ١٩٧٠، وانتهى بطرد الفصائل الفلسطينية المسلحة من الأردن إلى لبنان، وسميت هذه الأحداث بأحداث أيلول الأسود.

في ٢٦ أكتوبر ١٩٩٤، وقعت معاهدة سلام بين إسرائيل والأردن على الحدود الفاصلة بين الدولتين المارة بوادي عربة. طبَّعت هذه المعاهدة العلاقات بين البلدين، وتناولت النزاعات الحدودية بينهما.

وارتبطت هذه المعاهدة بالجهود المبذولة في عملية السلام بالشرق الوسط. وبتوقيع هذه المعاهدة، أصبحت الأردن ثاني دولة عربية بعد مصر، وثالث طرف عربي بعد مصر ومنظمة التحرير الفلسطينية، يطبع علاقاته مع إسرائيل.

ونظراً للظروف الصعبة التي كانت تمر بها الأردن، من النواحي الاقتصادية والسياسية والعسكرية، كان عقد معاهدة السلام مع إسرائيل خياراً إستراتيجياً ضرورياً لضمان عدم خسارة مزيد من أراضي المملكة وضمان أمنها. ويعيش المجتمع الأردني في حالة دائمة من الاحتقان السياسي، مما جعلة مطبخاً منتجاً لإرهابيّ القاعدة والجماعات المتطرفة والإرهابية. وصارت السلطة في حالة توجس وترقب دائمين. وأتاحت هذه الأحوال مناخاً مواتياً لتكوين منظمات للإسلام السياساسي، خاصة في أوساط الفلسطنيين والأردنيين من أصل فلسطيني، وعلى رأسها تنظيم للإخوان المسلمين، الذي أنشئ عام ١٩٤٥، وبدأ بالتنامي والازدهار، على حساب التيارات القومية واليسارية والليبرالية بعد حرب ١٩٦٧، لدرجة جعلتهم أكبر أكثرية في البرلمان ومشاركين في تشكيل الحكومة عدة مرات.

وفي ظل هذه الأجواء المضطربة، اتسمت السياسة الخارجية للأردن بالحيطة والحذر. كما أن العلاقات المتشابكة المضطربة، والتوازن الديموجرافي والسياسي الدقيق الذي يسود المجتمع، جعل الدولة الأردنية

وكأنها تسيرعلى نصل سكين حاد، ممسكة بحبال مشدودة (معرضة للجراح **والانزلاق)**، تقبض على أطرافها دولة إسرائيل المتغطرسة المدججة بالسلاح، الضامنة لعدم تغيير هذا التوازن،انتظاراً لما سيسفر عنه مستقبل الصراع الفلسطينى الإسرائيلى. لأن أى تغيير-ولو طفيف- فى التوازن الأردني، لابد وأن يترك آثاره على مسار ومستقبل الصراع.

المراجع

-http://alnoha.com/read/saykspeko.htm -

نصاتفاقية سايكس بيكو

-

http://www.hakouz.com/Books/Book_13.htm

مباحثات الأمير عبد الله مع ونستون تشرشل بالقدس عام ١٩٢١

-

http://www.nawiseh.com/jordan/nabthah.htm

نبذة عن تاريخ المملكة

http://www.kingabdullah.jo/index.php/ar_JO/-.html-pages/view/id/17- موقع الملك عبد الله الثانى

- لورانس العرب (فيلم سينمائي).

جمهورية العراق

تقع جمهورية العراق في القسم الجنوبي الغربي من قارة آسيا، فيما بين هضبة الأناضول شمالاً، والخليج العربي جنوباً. ويجري فيها نهرا دجلة والفرات، اللذان ينبعان من هضبة أرمينيا، ويتجهان إلى الجنوب، حيث يلتقيان على بعد ١٠٠ كم إلى الشمال من البصرة، ليكونا مجرى واحداً، يسمى شط العرب، يصب في الخليج العربى. يحدها من الجنوب الكويت والسعودية، ومن الشمال تركيا، ومن الغرب سوريا والأردن، ومن الشرق إيران. يقدر عدد سكان العراق حاليا مابين٢٩ – ٣٢ مليون نسمة، بالإضافة إلى خمسة ملايين يقيمون بالخارج. ويشكل الشيعة حوالى٥١% من السكان، ويتركزون فى محافظات الجنوب. والسُنَّة حوالي ٢٠%، ويتركزون فى شمال وشمال غرب العراق. أما الأكراد فيشكلون حوالي ١٨%، ويتركزون في المناطق الشمالية الشرقية، في محافظات السليمانية وأربيل ودهوك. في حين أن بغداد هي المدينة التي تختلط بها إثنيات وطوائف العراق جميعاً.(هذه النسب مأخوذة عن إحصاء ١٩٤٧، لأن إحصاء ١٩٧٩ لم يعلن نسب الطوائف.ً وقد شهد الإقليم حضارات من أقدم وأعظم الحضارات التى عرفتها البشرية منذ ٣٧٠٠ سنة ق.م، مروراً بالحضارات الأكدية والسومرية والأشورية والكلدانية. ودخلت معظم بلاد

الإقليم تحت حكم السلوقيين (خلفاء الإسكندر) ٢٢٤ ق.م. ثم توالى على حكمها الفرثيون والساسانيون والمناذرة، إلى أن دخلت ضمن الخلافة الإسلامية عام ٦٣٢ ميلادية. وشهد العراق إبان الحكم الأموي العديد من الحروب، عرفت تاريخياً باسم الفتنة الكبرى، بين مؤيدي أبناء علي بن أبي طالب، وبين الدولة الأموية. وقد شهد العراق تحولاً كبيراً بقيام الدولة العباسية عام ٧٥٠م. إذ انتقل مقرالدولة الإسلامية للعراق، بعد أن كانت في دمشق. وتألقت بغداد التي بناها العباسيون، لتصبح عاصمة العلم والترجمة عن مختلف الحضارات السابقة،ما كانيتم في بيت الحكمة، الذي أسسه الخليفة المأمون سنة ٨٣٠م. وتعرضت العراق في عهد العباسيين للعديد من الثورات والحروب الداخلية، إلى أن سقطت على يد القائد المغولي هولاكو خان فى فبراير ١٢٥٨. وتعرضت بغداد للهدم والسلب، وتعرض أهلها للقتل والأسر والتشريد. وأنشأ المغول فى بلاد الرافدين ولايتين، جنوبية عاصمتها بغداد، وشمالية عاصمتها الموصل، يحكمهما حاكمين من المغول. وفي ١٣٩٣م هجم التتر بقيادة تيمورلنك على العراق، ونهبوا بغداد، وولي أمرها إلى المجموعات التركمانية التي عاشت متصارعة، إلى أن سيطرت الأسرة الصفوية على مقاليد الأمور سنة ١٥٠٨، حتى أخرجهم العثمانيون الأتراك سنة ١٥٣٤.وكان العراق في عهد الدولة العثمانية، يتكون من ثلاث ولايات مستقلة بعضها عن بعض،

وترتبط جميعها بالعاصمة اسطنبول. وقد ترك التنافس الشيعي الصفوي مع الدولة العثمانية أثراً كبيراً على العراق، المكون من السُنَّة والشيعة والعرب والكرد والتركمان وإثنيات وأديان وشعوب عدة. ولكن السلطان سليمان القانوني استولى على بغداد ١٥٣٤م. ولم تتوغل القوات العثمانية صوب البصرة، إذ اكتفى السلطان بإعلان راشد بن مغامس – شيخ المنتفق وصاحب البصرة – ولاءه له. ولكن لم تلبث العشائر العربية أن تمردت على الحكم الجديد، وانضم اليها راشد. فزحفت القوات العثمانية إلى البصرة، واحتلتهاعام ١٥٤٦. وقد عين السلطان سليمان باشا المجري والياً على بغداد، وأسند اليه الإيالات بمناطق العراق والجزيرة العربية الأخرى،مثل شهرزور، والموصل، والبصرة، والإحساء، ومعه القوات اللازمة لحفظ الأمن والنظام من الانكشاريين.

مناطق الأكراد الشمالية

كانت الإمارات والعشائر الكردية تنتشر في إيالتي شهرزور والموصل. أما العشائر العربية فكانت تنتشرفي ولايات بغداد والبصرة والإحساء، وإلى حد ما في ولاية الموصل. وقد اعترف العثمانيون بالعصبيات الحاكمة وبشيوخ العشائر، سواء في مناطق الأكراد أو في المناطق الشيعية الجنوبية. كانت ولاية الموصل تغطي الجزء الشمالي الغربي من العراق، وتشمل مدينة

الموصل، وأسكي موصل، وعشائر طيء، وتمتد إلى الجنوب حتى تكريت. وتحدها من الغرب والشمال إيالة الرقة وديار بكر والصحراء الشامية . وإلى الشرق منها كانت توجد إيالة شهر زور. وامتازت إيالة الموصل عن بقية الإيالات العراقية بوجود الإقطاعات العسكرية فيها، بكثرة لم تعهدها الإيالات الأخرى. كما أن هذه الولاية امتازت بموقعها المهم، كهمزة وصل بين ولايات العراق وولايات الأناضول والشام. ولم تعمرإيالة شهرزور طويلاً تحت الحكم العثمانى. ويرجع ذلك إلى أن السلاطين العثمانيين،اتبعوا سياسة الاعتراف بحكم العصبيات المحلية. وكان إقليم كردستان مليئاً بالإمارات والعشائر الكردية السُنِّية التي وقفت في وجه الغزو الفارسي، وشدت أزرالعثمانيين خلال حروبهم ضد الفرس. وعلى رأس هذه الإمارات: الإمارة الصورانية والبهدينانية والبابانية، فأبقوا هؤلاء الأمراء على إماراتهم، وكانت لاتزال إمارات صغيرة . ولكن هذا النظام تطور إلى استبداد هؤلاء بالسلطة، حتى لم يعد للولاة أية قدرة على إدارة الأمور هناك، فترك العثمانيون أمر كردستان لأمرائه، تحت إشراف شكلي من ولاة بغداد. وكانت كركوك مقر هذه الإيالة، ولكنها لم تلبث أن فقدت مكانتها، بسبب نمو الأسرة البابانية في نهاية القرن الثامن عشر، وسيطرتها على كردستان كله تقريباً، وعلى كركوك أيضاً. ولم ينجح الولاة في بسط الحكم المباشر على الإمارات والعشائر الكردية. وتميزت الحالة السياسية في الموصل

حتى١٧٢٦م، تاريخ تولي إسماعيل باشا الجليلي الحكم، بعدم الاستقرار في أحوال حكومتها بسبب سرعة تبدل الولاة الذين كانوا من جنسيات مختلفة، عربية أو كردية أو عثمانية. كما شهدت هذه الفترة تأسيس سلالة كردية، حيث ظهر رجل يسمى بـ أحمد الفقيه عام ١٦٦٤، ويلقب بـ بابان، وقد استغل أبناؤه ضعف الدولة العثمانية، وبسطوا نفوذهم على شهربازار وكركوك ومناطق أخرى. وبهذا تلاشى النفوذ العثماني، وامتد نفوذ آل بابان بين ديالى والزاب الكبير حتى أوائل القرن العشرين،حين وضعت عصبة الأمم، التيأنشئت عقب إنتهاء الحرب العالمية الأولى، الموصل وبعض المناطق الكردية الأخرى تحت الانتداب الفرنسي قبل ضمها إلى الدولة العراقية.

ظلت قضية الكرد شاغلاًرئيسياً للدولة العراقية الحديثة.وقد كان الكرد يأملون بالاستقلال في دولة خاصة بهم، ولكن بريطانيا رفضت تلك المطالب. ورغم أن الملكية الهاشمية بذلت جهداً كبيراً في استقطاب تأييد النخب والجماعات الكردية، ظل التيار الاستقلالي قوياً ومؤثراً، وكان قادراً دائماً على تحريك المظاهرات والثورات وقيادة المجتمعات الكردية والتأثير فيها. وعندما وصل حزب البعث إلى السلطة عام ١٩٦٨، عين أحمد حسن البكر ثلاثة وزراء كرد، اثنان منهما يمثلان البارزاني، والثالث ينتمي إلى حزب الطالباني. ولكن بعد فترة وقعت ثورة كردية عنيفة، محاولة

الاستفادة من الظروف السياسية التي نشأت بفعل التدهور الحاد في العلاقات الإيرانية العراقية. وشنت القوات الكردية هجوماً على المنشآت النفطية في كركوك، وأوقفت إنتاج النفط في العراق لعدة أيام. فتصدتلها الحكومة بحملة عسكرية، ولكنها في الوقت نفسه فتحت قناة للمفاوضات السرية مع البارزاني،الذي كان يمثل السلطة الحقيقية في المنطقة الكردية.وأدت المفاوضات السرية مع الأكراد، والتي كان يديرها من الجانب البعثي صدام حسين نائب رئيس الجمهورية، إلى بيان صدر عام ١٩٧٠، تعهدت فيه الحكومة بالاعتراف بالحقوق الكرديةعلى نحو فاق التنازلات التي أعطيت للكرد من قبل، مثل الاعتراف بالقومية والثقافة والهوية واللغة الكردية، والمشاركة في الحكومة والوظائف، وتشكيل منطقة كردية إدارية موحدة ومميزة.ولكن الحكومة العراقية أصرت على بقاء كركوك والمنتجات النفطية مستقلة عن الإدارة الكردية، وعلى إبقاء وزارات المال والدفاع والنفط مركزية.ورفض البارزاني الاقتراح، وأبقى قوات البشمركة مستعدة للعمل والعودة إلى المقاومة. ووجدت الحكومة العراقية نفسها في مواجهة ثورة مسلحة عام ١٩٧٤،مدعومة من الخارج ومن قوى سياسية واجتماعية شعبية واسعة في الداخل.

فى مواجهة هذه الثورة، قام العراق بتقديم تنازلات فى سبيل إنهاء النزاع مع ايران، وهو ما أدى إلى اتفاقية الجزائر عام ١٩٧٥، التى نتج عنها تحقيق

تفاهم على المسائل الحدودية،بموافقة العراق على المطالب الإيرانية بالخط الممتد في أعمق نقطة عراقية من شط العرب، ليشكل الحدود المشتركة بين الدولتين في الممر المائي. ووافقت إيران في المقابل على وقف دعمها للبارزاني والحزب الديمقراطي الكردستاني، وسحبت في غضون أيام مساعداتها العسكرية، وأغلقت الحدود في وجه الأكراد. مماعرض قوات البارزاني بسرعة إلى هزيمة كبيرة، وقبل آلاف البشمركة بالعفو العام العراقي الذي عرض عليهم، فيما لجأ البارزاني وقادة الحزب الديمقراطي الكردستاني إلى إيران، لينضموا إلى ١٥٠ ألف لاجئ كردي مدني. وانقسم الحزب الديمقراطي الكردستاني انقساماً كبيرا بين البارزانيين (الملا مصطفى وولديه مسعود وإدريس)، وجلال الطالباني، الذي استقطب عدداً كبيراً من الشباب الكرد ممن وجدوا صعوبة في التوفيق بين القيادة القبلية للبارزاني، ومبادئهم الاشتراكية والقومية. وعينت السلطة في بغداد جمعية تشريعية كردية برئاسة الكردي طه محيي الدين معروف، الذي عين أيضاً نائباً لرئيس الجمهورية.وقد ارتكب نظام حزب البعث الحاكم بحق أكراد العراقجرائم لايمكن حصرها.فبالإضافة إلى أشد أنواع الاضطهاد العنصري والسجن والتعذيب، مورس بحقهم ما يعرف بحملات التعريب، حيث قامت السلطة الحاكمة بتهجير الأكراد من مدنهم وقراهم إلى مدن وقرى في جنوب ووسط العراق، وإسكان العرب مكانهم، بعد تقديم إغراءات كبيرة

لهم.وقدر عدد الكرد المهجرين بحوالي نصف مليون نسمة.وقد سويت قراهم وبيوتهم بالأرض، ومنعوا من العودة إليها. كما كان الحزب الحاكم يعمل بكافة الأساليبعلى تغيير قوميتهموإغرائهم بالانتساب إلى القومية العربية،كأن قدم لهم إغراءات وظيفية وتجارية للإقامة والعمل والاستثمار في بغداد، مقابلالانتساب لحزب البعث.وكانالجيشيقوم بحرق قرى كردية بأكملها، وإبادتها عن بكرة أبيها، رداًعلى أي معارضة للنظام أو الاحتجاج على أساليبه.

المنطقة الجنوبية

في جنوب العراق أنشأ العثمانيون ولايتي البصرة والإحساء، وأغلب سكانهما من العرب الشيعة، ولم تقسما إلى إقطاعات عسكرية. ولم تلبث الإحساء أن أصبحت تحت حكم العشائر هناك. أما البصرة فقد تبادلها الولاة العثمانيون وقيادات الشيعة من شيوخ اتحاد القبائلالمسمى بالمنتفق، وشيوخ الحويزة الشيعية غير مرة. وكان من العسير على ولاة بغداد أن يسيطروا عليهم، كما أن القطع العثمانية البحرية التي وضعت أمامها والقوات الإنكشارية التي عسكرت فيها لم تكن قادرة على حفظ المدينة تحت سيطرة الوالى العثماني. وانتهى الأمر بأن باعها واليها عام ١٥٩٦، لكاتب الجند أفر السياب، الذي دفع مبلغاً من المال للوالي، وتولى حكمها في

إطار التبعية للدولة العثمانية، واستطاع أن يكون أسرة بعيداً عن الدولة العثمانية، حكمتها كإمارة مستقلة، حتى قضى العثمانيون على آخر أمرائها عام١٦٦٨. غير أن الأوضاع ظلت غير مستقرةبعد استعادة العثمانيين حكمهم المباشر عليها،بسبب تمرد العشائر، فترك حكمها لهم عام ١٧٠٦، وتحولت إلى مجرد متسلمية تابعة لولاية بغداد، دون أى روابط سياسية أو ادارية.

وقد لاحظ الباحثون والمؤرخون، حدوث تحولات اقتصادية اجتماعية وديموجرافية ودينيةهائلة فى جنوب العراق خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر أدت إلى قفزة هائلة فى أعداد سكان هذه المناطق وتوطنهم وإعادة بناء هويتهم وإعادة تحديد موقعهم على الخارطة الدينيه– الاجتماعية، بتحولهم إلى المذهب الشيعي الإمامي الاثني عشرى، سواء كانوا من أبناء العشائرالوافدة حديثاً، التي وصلت إلى المنطقة في القرن الثامن عشر، أو من العشائر القديمة، مثل المنتفق والزبيد والدليم والبومحمد وخزعل وبني لام وربيعه وكعب، التي تشيعت ابتداء من أواخر القرن الثامن عشر. وقد رصد البحاثة والعلماء عدة عوامل وقفت وراء هذه التطورات من أهمها:

- إنشاء قناة الهندية التي مولت من حسن رضا خان من الهند، وزير "أوذة " الأول، في ثمانينيات القرن الثامن عشر لنقل المياه

إلى النجف العطشى. وتحسن تدفق الماء في القناة تحسناً كبيراً في منتصف القرن التاسع عشر بعد إجراء ترميمات واسعة.كما مولت القناة أيضا من موارد شيعة الهند. ولم تضمن القناة ازدهارالنجف وكربلاءفحسب، بل أحدثت تغييرات مائية وبيئية كبيرة في جنوب العراق ووسطه. ونمت القناة لتصبح نهراً، يمتد حوالي ٧٣ ميلاً، قبل أن يصب في بحيرةبحر النجف. وازدادت المساحات المروية حول النجف زيادة أكبر، مع شق ثلاث قنوات أصغر، في أواخر القرن التاسع عشر.واضطرت العشائر العديدة في دائرة نفوذ آل خزعل، حكام الحلة والأحواز لعدة قرون، على هجر منطقة شط الحلة، التى جفت مياهها، والاستقرار على امتداد قناة الهندية، مثل عشائر بني مالك بفروعها، والشليحات وآل فتلة والقريّط. وكان اجتذاب العشائر الكثيرة على طول الهندية، بين كربلاء والنجف، قد جعل المستوطنين الجدد عرضة لتأثير المدينتيناللتين صارتافي موقع يمكنهما من القيام بدور العصب المركزي وبث إشعاع من القوة الفعالة الى أفراد العشائرأكثر من أي وقت مضى.

- استقرارعدد كبيرمن العشائر واشتغالهم بالزراعة وظهور مدينتي النجف وكربلاء بوصفهما مدينتي سوق رئيسيتين فى بلاد الرافدين

وشمال وشرق الجزيرة العربية جعل منهما مركزياتصال مهمين بين العشائر. وبحلول القرن العشرين كانت النجف قد صارت أهممدينة سوق صحراوية لبيع الحبوب والأرز والتمور والأقمشه، حيث كانت حقول الأرز الرئيسية في العراق قد نشأت علىامتداد قناة الهنديه. كما صارت مركزاً لتجميع صوف وجلود الأغنام والابل، حيث كانت تجتذب القبائل من الجزيرة العربية والصحراء السورية. وكانت القبائل تضرب خيامها في منطقه قريبة من المدينة، تسمى " المناخة"، حيث كان يجري الكثير من التبادل التجاري. أما كربلاء فكانت تتولى بالدرجة الرئيسية تلبية حاجات العشائرالرحل التي تمارس الرعي وتربية الحيوانات، إذ كانت الرحلة السنوية لعشائر الشمال الرحل إلى الصحراء السورية والجزيرة العربية تدور حول موسمين. ففي موسم الأمطار، كانت العشائر تتوجه نحو الرعي في المناطق الصحراوية، ولكنها بين أوائل مايو وأواخر أكتوبر، كانت توجد قرب المناطق الريفيةالزراعية، بحثاً عن الماء والغذاء. وكان هذا يتزامن مع موسم حصاد القمح والشعير في جنوب العراق، حيث يبدأ في مايو. وتلاحظ أنه ابتداء من القرن التاسع عشر، تضاعفت فاعلية النشاط الدعوي الشيعي،متزامنا مع الزيادة الكبيرة للأراضي

الزراعية حول النجف وكربلاء. وأدى ازدياد تفاعل النجف وكربلاء مع العشائرإلى تمكين الدعاة الذين انطلقوا من هاتين المدينتين من إشاعة الإسلام الشيعي بين أبناء العشائر بصورة أشد فعالية بكثير من الفترات السابقة.

- تعطيل النظام العشائري فى إدارة شؤن الحكم خلق أزمة كبيرة بين رجال العشائر والبيئة الجديدة المحيطة بهم لم تخف وطأتها إلا بتغلغل التنظيمات الاجتماعية الشيعية فى أوساط أبناء القبائل وسد الفراغ الناتج عن تفكك النظام العشائرى والمحاكم العرفية.
- هجرة أعداد متزايدة من علماء الشيعة إلى النجف وكربلاء، وانتشار السادةالذين ينسبون للرسول (ص)،إثر إنهيار الدولة الصفوية في إيران سنة ١٧٢٢، وما صحبه هناك من حروب بين الأمراء وفقدان للأمن. وافتقد العلماء حين جاءوا العراق، القاعدة الاقتصادية–الاجتماعية المتينة التى كانت متوفرة لهم فى إيران،فقد كانت ضغوط عشائر العراق السنية على المدن الشيعية كابحاًكبيراً على تطور هذه المدن كمزارات ومدارس دينية شيعية. ولما كانتالطقوس والمناسك الدينية الشيعيةتعد المورد الرئيسي لمدن العتبات المقدسة والقوة الأساسيه التي تحرك نشاطها الاقتصادي والاجتماعي الذي كان يعتمد اعتماداً كبيراً على

الهبات الخيرية والزيارات وحركة الجنائز من إيران، ولم تكن عشائر العراق الرحل السنية تعلق عليها أي أهميه دينيه،فقد كان لابد من تشيعهذه القبائل،وتحويل أبنائها إلى مؤمنين ومتبرعين وزوار محليين، ينخرطون في ممارسة الشعائر الدينية المرتبطة بزيارة العتبات المقدسة، ويسعون إلى دفن موتاهم في مقابر المدن المقدسة.وكان تشيع القبائل من وجهة نظرهم ضرورياً لتدعيم موقفهم في جنوب العراق والحفاظ على ستقلالهم إزاء الحكومة السنية في بغداد.

- هجمات الوهابيين على النجف وكربلاءوالمنتفق والخزعلجعلت العلماء الشيعة يكثفون من عمليات تشييّع قبائل العراق. وقدعززت هذه الهجماتالهوية الطائفية للعلماء الشيعة، وزادت دافعهم للضغط على العشائر لتتشيّع. وبخلاف المساجلات الأكاديمية السنية الشيعية التي لم تشكل خطراً مادياً حقيقياً على المذهب الشيعي، فقد أدت الهجمات الوهابية على النجف ومحاصارتها مرتين، ونهب كربلاء في عام ١٨٠١،إلى إماطة اللثام عن ستر وتقية العلماء الشيعة في العراق، ونبهتهم لضرورة العمل على تشكيل جيش عشائري يدافع عن المدينتين.

وكانت سرعة انتشارالتشيع تتفاوت من منطقه إلى أخرى، لأن العوامل آنفة الذكر كانت على درجات متباينة من التأثير في الأهوار والفرات الأوسط وجنوبه وفي منطقة دجله. ربما تكون الدولة قد نجحت في تسكين التوترات معالشيعة في الدولة العراقية الحديثة. ولكن قيام الثورة الإيرانية عام ١٩٧٩، ثم الحرب العراقية الإيرانية، جعل من المسألة الشيعية أكثر خطورة وتحدياً. وبعد ضعف النظام السياسي عام ١٩٩١، نشبت ثورة شيعية مسلحة بدعم من إيران، وعادت إلى العراق قوات بدر من الشيعة المعارضين الذين تلقواً تدريباً عسكرياً واستخبارياً في إيران على مدى عقد الثمانينيات.وانضم إلى الثورة أيضاً عدد كبير من جنود الجيش العراقي وضباطه الشيعة، ولكن قوات الحرس الجمهوري استطاعت هزيمة الثورة، واستعادت السيطرة على المناطق الشيعية، ما خلف مرارة دائمة بين النظام السياسي والمعارضة الشيعية ألقت بظلالها على المرحلة التالية لسقوط النظام عام ٢٠٠٣.

مناطق الوسط والغرب

فى المنطقة الوسطى حيث العشائرالعربية السنية، ترك الأتراك أمرها لشيوخها. وبذلك كانت السيادة العثمانية ضعيفة في مناطق هذه العصبيات. أما في المدن، فكان الولاء للسلطان العثماني وللحكم العثماني قوياً. كان التجار وأهل الحرف يرون في الحامية العثمانية القوة القادرة على نشر الأمن اللازم لنجاح أعمالهم. وكان العلماء يرون في السلطان حامي حمى الإسلام ورافع راية الجهاد. ولذلك كان الثوار على الوالي لايقولون إنهم ثائرون ضد السلطان، وإنما ضد والٍ ظالم.وكان اضطراب الوضع الأمني خارج حدود المدن فى الوسط ناتجا عن كثرة النزاعات بين العشائر مع كثرة التحالفات وتغيير أماكنها. فما تمر سنة من دون أن يتغير خلالها انتشار تلك القبائل في أماكن أكثر أمناً أو بعيداً عن سلطة الدولة. وكان ضعف الوالي وظهور شخصية قوية فى أى من العشائر يؤدى إلى استقلالها والتوسع وتشكيل اتحادات قبائلية تتولى الحكم.

وكان الولاة الذين حكموا العراق فى بعض الأحيان من المماليك، وكانوا يشبهون نظراءهم من مماليك مصر، من حيث أصلهم ومنشئهم. وقد تميز عهد المماليك في العراق بشدة التنافس والتنازع على الحكم. فقد كان الولاة فى غير عهود المماليك يعينون بفرمان يصدر من السلطان العثماني في

اسطنبول، أما في عهد المماليك، فقد أصبح الفرمان السلطاني قليل الأثر في تعيين الولاة، وفي بعض الأحيان لم يكن له أي أثر على الأطلاق. وتدهورت الحالة الاقتصادية فى معظم الأوقات، ودب الفساد في كافة مفاصل الإدارة الأساسية، وخرجت الأقاليم عن طاعة الحكومة وسلطاتها المركزية.

ستقرت الأوضاع في العراق بعض الشيء في منتصف القرن التاسع عشر، إذ كان قادة الكرد في الشمال وبعض قبائل العرب في الوسط السني والجنوب الشيعيتمردون على الدولة بسبب مظالم الولاة، ويحكمون أقاليمهم. غير أن العراق صار فى هذه الأوقات مسرحاً للصراع الحاد والتنافس المحموم، ما بين فرنسا وبريطانيا وروسيا. وكانت الغلبة بنهاية الأمر لبريطانيا التي قامت في هذه الآونة بتسيير بعض البواخر والسفن في نهري دجلة والفرات لنقل البضائع والمسافرين. من جهة أخرى قامت الحكومة البريطانيةبمد خط برقي على طول نهر الفرات، وأقامتمقيمية (قنصلية) فى بغداد إلى جانب مقيمية فى الموصل وثالثة في البصرة.

واستمر الحال على نفس المنوال حتى سقط العراق تحت الاحتلال البريطانيالذى بدأ في أواخر سنة ١٩١٤ وحتى عام ١٩١٨.كانت بريطانيا قد احتلت كامل العراق العثماني،وعينت الحكومة البريطانية العقيد لجمان حاكماً سياسياً على المنطقة. وامتدت سلطاته نحو أربيل والسليمانية

ودهوك وراوندز. وبذلك أحكمت بريطانيا سيطرتها على كافة أرجاء العراق.ولكنها لاقت مصاعب جمة في سيطرتها على مدينة السليمانية التي تعتبر مركزاً لحركة التحرر الوطني الكردي. مما اضطرها لتعيين الشيخ محمود الحفيد حاكماً على المنطقة في أواخر عام ١٩١٨، وعينت الميجور جنرال نوئيل مستشاراً له. وسمحوا له بتعيين عدد من الموظفين الأكراد لإدارة المنطقة.استمرت بريطانيا بعد نهاية الحرب العالمية الأولى في حكم العراق حكماً عسكرياً. وكان على رأس السلطة القائد العام للقوات البريطانية، يعاونه الحاكم الملكي العام، السير بيرسي كوكس. وكان من ضمن كوادره، السيدة البريطانية المشهورة مسزبيل،حيث شغلت منصب السكرتيرة الشرقية، وكان لها دور رئيسي فى هندسة مستقبل العراق.

ويعتبر اندماج الأقاليم الثلاثة، الموصل وبغداد والبصرة، ضمن كيان سياسي واحد وإنشاء وطن من خلال عناصر دينية وعرقية متناوئة تعيش على هذه الأراضي أول حكم مركزى للعراق بحدوده السياسية الحالية. وفى ٢٥ابريل عام ١٩٢٠، عقدت فى مدينة سان ريمو الإيطالية معاهدة بين الحلفاء لتقسيم مناطق النفوذ، عرفت بمعاهدة سان ريمون، وملخصها كما يلي :

١- وضع سوريا و لبنان تحت الانتداب الفرنسي.

٢- وضع العراق تحت الانتداب البريطاني.

٣- وضع فلسطين وشرقي الأردن تحت الانتداب الإنجليزي، مع الالتزام بتنفيذ وعد بلفور.

وفى يوليو إندلعت ثورة العشرين فى الفرات الأوسط وشمال العراق، واستمرت المعارك بين الثوار والقوات البريطانية لأكثر من ستة أشهر انتهت بالمفاوضات،حيث توصل الطرفان الى توقيع الاتفاق التالي في ٢٠ نوفمبر ١٩٢٠ :

١ . أن تكون للعراق حكومة عربية مستقلة.

٢ . أن لا يطالب عرب قبائل بني احجيم التى حملت السلاح فى مواجهة البريطانيين بالاحتفاظ بكل مااستولوا عليه اثناء الثورة، عدا ما يراه رجال الحكومة.

٣ . ألا يؤدي عرب القبائل المذكورة شيئاً من الضرائب الأميرية لسنة ١٩٢٠، بسبب ما لحقهم من الاضرار الفادحة من جراء القيام بالثورة .

٤ . أن تأخذالقبائل المذكورة على عهدتها المحافظة علىالسكك الحديدية التي تمر على طول منطقتهم .

٥ . أن يتعهدوا بتوطيد الأمن وحماية السلم في جميع أراضيهم.

٦ . أن يسلموا إلى الحكومة ٢٤٠٠ بندقي كتعويض عما أتلفوه.

وقد دفع هذا بريطانيا إلى عقد مؤتمر بالقاهرة فى مارس عام ١٩٢١برئاسة ونستون تشرشل، وزير المستعمرات البريطانى، لبحث مستقبل الولايات

العربية التى كانت تحت الحكم العثماني. وشارك فى المؤتمر سير برس كوكس، المندوب السامى البريطاني، الذى عين حديثاً بالعراق، ومستشارته مسزجيرترود بيل، عالمة الآثار وسيدة المخابرات، التى كانت لها دراية عميقة بشؤن العراقوعلاقات واسعة مع أهله مكنتها من لعب دور كبير فى ترتيب أوضاع العراق وهندسة مستقبلة. وقد كان مستقبل العراق يمثل إشكالية كبرى لمخططي السياسة البريطانية بإقليم الشرق الأوسط (الذى كانت ملامحه قد بدأت تتشكل ويظهركأقليم جغرافي سياسي فى بدايات القرن العشرين، مع إنهيار وتفكك الإمبراطورية العثمانية وتشكل الاتحاد السوفييتي،بما يمثله من مخاطر على النفوذ الغربي عموماً، والبريطاني بصفة خاصة، بأقليمى آسيا الوسطى والصغرى). ولم يكن هناك توافق حول مستقبل العراق بين مراكز صنع القرار البريطاني التى تتمثل فى: وزارة الخارجية؛ أجهزة المخابرات المختصة؛ مكتبي الهند والقاهرة التابعين لوزارة المستعمرات. فقد تداخلت اختصاصاتهما بشأن العراق، حيث كان يختص الأول بمنطقة الخليج، والثانى بمنطقتي البحر الأحمر وشرق المتوسط والإدارة البريطانية فى بغداد. وقد تركزت نقاط الخلاف حول موضوعين، أولهما : حدود الدولة المرتقبة، هل ستشمل جزءا من المنطقة الكردية التى ستقسم على دول الجوار فى حالة التخلي عن مشروع قيام دولة كردية موحدة؟ وما حدود هذا الجزء وسيناريو إلحاقه بالدولة العراقية؟

ما حدود المنطقة الجنوبية بشط العرب ذى الغالبية الشيعية التى ستلحق بالدولة العراقية؟ وكيف ستقسم هذه المنطقة بين العراق وإيران والإمارات المستقلة؟ وثانى نقاط الخلاف، كانت حول طبيعة النظام السياسي: هل يكون مستقلاً أو متحالفاً أو تحت الانتداب، أم بوجود حاكم عام بريطاني؟، جمهورياً أم ملكياً؟، أوتوقراطياً أم ديموقراطياً؟.وماهى حدود وسيناريوهات ماسيتم التوصل اليه؟. وقد عقد مؤتمر القاهرة،بين ١٢-٢٣ مارس ١٩٢١، لتأسيس سياسة بريطانية موحدة في الشرق الأوسط، وخاصة لحل السياسات المتضاربة المحددة في مراسلات مكماهون (١٩١٥)، واتفاقية سايكس-بيكو (١٩١٦)، ووعد بلفور (١٩١٧).ودعا إلى عقده ونستون تشرشل، الذي عُين حديثاً وزيرا للمستعمرات، وقد دعا جميع القادة العسكريين البريطانيين والمديرين المدنيين في الشرق الأوسط لحضور المؤتمر في فندق سميراميس بالقاهرة لمناقشة هذه القضايا.

وقد تقرر إنهاء الحماية غير المرحب بها على بلاد الرافدين، وأن يصبح فيصل الأول ملكاً على مملكة العراق الجديدة. كما تم الاتفاق على تشكيل العراق الجديد من الولايات العثمانية الثلاث السابقة، الموصل وبغداد والبصرة، على أن يعلق انضمام الموصل لحين تسوية المسألة الكردية.كما ام إعداد خرائط ترسم الحدود الجنوبية مع الكويت وإيران، على أن تعطي العراق حولى ٦٠ كيلومتراً على شاطئ الخليج، وأن تشكل حكومة ملكية

مؤقتة من وزراء عراقيين، ويشرف عليها الحاكم الأعلى البريطاني. وينتخب فيصل الأول ابن الشريف حسين الهاشمي ملكاً على العراق في استفتاء عام. على أن تنتهى هذه الترتيبات، بوضع دستوردائم يضمن قيام نظام ملكي دستوري وحكومة عراقية خالصة، وتشكيل برلمان من مجلسين، أحدهما منتخب والآخر معين، يعمل على ضمان لامركزية النظام، ويتكون من ممثلين عن مكونات العراق الأثنية والمذهبية والاجتماعية من الملالي ورجال العشائر، على أن يقوم البرلمان بمجلسيه بتشكيل الحكومة والسلطات المحلية.

ويرجع الفضل فى التوافق على هذا البرنامج إلى مسزجيرترود بيل التى أشرفت أيضا عل سيناريوهات تنفيذه التى إستغرقت أربع سنوات تقريبا، بداية من تشكيل مجلس تأسيسى عام ١٩٢١يتكون من بعض زعماء العراق وشخصياته السياسية، وتنظيم استفتاء على تولي الملك فيصل فى نفس العام. وأشرفت على تنظيمه مسز بيل، وكانت نتيجته ٩٦ %، وتوج فيصل ملكاً فى٢٣ أغسطس. وتأسس العراق من ولايات بين الرافدين العثمانية السابقة، بغداد والبصرة، وعلق انضمام الموصل. وتم إلغاء الانتداب عبر العديد من الانتفاضات والاضطرابات، واستبدل بمعاهدة تحالف تم التوقيع عليها سنة ١٩٢٢. وأقر الدستور فى يوليو ١٩٢٤، ونص فيه على الملكية الدستورية كنظام حكم وحكومة برلمانية ومجلسين تشريعيين.وأقيمت انتخابات أول برلمان عراقي سنة ١٩٢٥.

وفي عام ١٩٢٦ نظم استفتاء في مناطق ولاية الموصل، وكانت نتيجته الإنضمام للعراق بعد أن تمت تسوية المسألة الكردية فى معاهدة لوزان الثانية فى١٩٢٣/٧/٢٤ التي اعترفت فيها تركيا رسميا بأن ولاية الموصل جزء من العراق. وهكذا اكتمل تشكيل الدولة بحدودها الحالية. وقد أجريت عشر انتخابات عامة قبل سقوط الملكية في عام ١٩٥٨، بمعدل انتخاب كل ثلاث سنوات تقريباً. وتشكلت أكثر من ٥٠ حكومة، بمعدل حكومة كل سنة ونصف تقريباً. مما يعكس حالة من عدم استقرار النظام، خاصة بعد عام ١٩٣٣، عندما توفى الملك فيصل الأول فى ظروف غامضة. وعندما تولى ابنه الملك غازي، عطل الدستور وحل البرلمان، وألغى الأحزاب، وحكم البلاد بقوة السلاح،هادماً بذلك النظام السياسي الذى استكمل بناؤه عام ١٩٢٥وتمكن من استيعاب حركة المجتمع محدثاً قدراً كبيراً من التوازن السياسي بين كافة الفئات بما حققة من لامركزية وقدر كبير من التعبير الديموقراطى. واستمر الملك غازي في الحكم حتى توفي في حادث سيارة غامض سنة ١٩٣٩. ومنذتوليه الحكم وهدم النظام الدستوري، دخلت العراق فى سلسلة من الثورات الكردية المطالبة بالاسقلال عن حكومة بغداد. وتتالت موجة تلوأخرى من الثورات والانتفاضات الشعبية والاضطرابات السياسية والانقلابات العسكرية التيأختتمها حزب البعث بحكم العراق منذ ١٧ يوليو ١٩٦٨ بانقلاب بزعامة أحمد حسن البكر فى يوليو١٩٦٨. وفى عام١٩٧٩ تولى صدام حسين السلطة، وأصبح الرئيس العراقي، بعد الإطاحة بخاله وصديقه المقرب وزعيم حزبه أحمد حسن

البكر، تحت غطاء إعلان استقالته، وتبجيلهباعتباره "الأب القائد" الذي "سلم الراية للرفيق المناضل". وقام صدام بقتل وإلقاء القبض على منافسيه، تحت دعوى قيامهم بتدبير مؤامرة بالاتفاق مع متآمرين بحزب البعث السوري. وبعد وقت قصير من توليه السلطة، قامت الثورة الإيرانية، وانقسم الشارع الشيعي العراقي ما بين مؤيد ومعارض، وتمزقت ولاءاته. في عام ١٩٨٠ ادعى صدام أن القوات الإيرانية كانت تحاول الاطاحة بحكومته، وأنه قد حان الوقت لاسترداد الأرض العراقية التي كانت قد استولت عليها إيران بموجب اتفاقية الجزائر عام ١٩٧٥. وأعلن على إيران حرباً استمرت لثماني سنوات، استخدم فيها الطرفان أشرس أنواع الأسلحة، بما فيها الأسلحة الكيماوية. وأعلن انتهاء الحرب مع انتصار مزعوم للعراق عام ١٩٨٨، بعد أن كان قد قتل فيها مليون ونصف مليون شخص من الطرفين. وفى سنة ١٩٨٦ شن حرباً أخرى على الأكراد، فى شكل حملات إبادة جماعية استهدفت السكان الأكراد في العراق، واستمرت حتى عام ١٩٨٩. وفي عام ١٩٩٠ اتهم الكويت بسرقة النفط، عبر الحفر بطريقة مائلة، وبزعم أن الكويت هي أصلاً جزء من العراق. واجتاحت القوات المسلحة العراقية الكويت، وطالب مجلس الأمن القوات العراقية بالانسحاب من الأراضي الكويتية دون قيد أو شرط. ولما لم يستجب صدام، قامت الولايات المتحدة بتشكيل تحالف من ٣٤ دولة، من بينها مصر وسوريا، بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية،وبغطاء من الأمم المتحدة، لتحرير الكويت من الاحتلال العراقي. وبدأت عملية تحرير الكويت في ١٧ يناير

سنة ١٩٩١، حيث حققت العمليات نصراً حاسماً وسريعاً، وانتهت الحرب فى ٢٨ فبراير. وواصل مجلس الأمن فرض عقوبات اقتصادية ضد العراق، مما كان له آثار اقتصادية واجتماعية وبيئية قاسيةعلى العراقيين. وقامت العديد من الانتفاضات الشعبية، شيعية وكردية، ومن ضمن هذه الإضطرابات قيام مواطنين عزل بمحاصرة المعسكرات والدعوة إلى إسقاط النظام. وبعد قيام القوات العراقية بعمليات قمع للمواطنين، تحول الأمر إلى انتفاضة شارك فيها مسلحون وعناصر من الجيش العراقي بأسلحتهم. بعد تفجير برج التجارة العالمى فى نيويورك ٢٠٠١/٩/١١، غزت الولايات المتحدة العراق في مارس عام ٢٠٠٣. وسقط صدام حسين ونظام حزب البعث العراقي بتاريخ ٩ أبريل ٢٠٠٣. وأصبحت العراق تعيش حتى بعد جلاء القوات الأمريكية وحلفائها، فى ظل صراعات مذهبية و إثنية، مسلحة فى معظم الأحيان، تقطع الطريق أمام أى أفق سياسى. فهذه المنطقة عانت من الصراعات الإثنية والطائفية فى مراحل تاريخية عديدة، منذ الفتنة الكبرى فى صدر الإسلام وحتى الآن، تشتعل أحيانا وتخبوأخرى، ولكنها لم تنطفئ أبداً. والعراقيون يعيشون الآن فى صراع سياسى محتدم،وأكثر ما يحتاجون إليه هو نظام سياسي يصل بهم إلى توازن يحقق حرية تقرير المصير، مراعياً تنوع الانتماءات الطائفية والمذهبية والعرقية، ويمكن المواطنين من ترقية نوعية حياتهم والعيش فى سلام.

المراجع

http://www.alshirazi.com/compilations/patg/ta

hjeer/3.htm– أكراد العراق

http://www.anwar5.net/albatoul/?id=552 –

الاحتلال البريطانى للعراق

http://www.aljazeera.net/coverage/pages/17

9337e5-0823-4107-917f صدام حسين

http://www.aawsat.com/home/article/118261

– مستقبل العراق

- كمال غبريال، ينابيع وادي حوران (رواية)، دار الحضارة للنشر والتوزيع، القاهرة.

الجمهورية العربية السورية

تقع فى غرب آسيا، يحدها شمالاً تركيا، وشرقًا العراق، وجنوبًا الأردن، وغربًا إسرائيل ولبنان والبحر الأبيض المتوسط، بمساحة ١,٨٥٠,٠٠٠ كم. وتتسم بغطاء نباتي وحيواني وتضاريس متنوّعة، ومناخ متوسطي. ومنطقة سوريا التاريخية مختلفة عن الدولة السورية الحالية، من ناحية الامتداد والمساحة.حيث تشير الأولى إلى بلاد الشام (التى تتكون من سوريا ولبنان وفلسطين والأردن بحدودها الحالية). والشعب السوري متنوع عرقيًا ولغويًا ودينيًا، ويشكل العرب السنّة(مستعربو سوريا) الغالبية بنحو ٦٣% من مجموع السكان، الذي يبلغ عدده حاليًا ٢٢.٥ مليون نسمة. وتنشط الهجرة للخارج منذ القرن التاسع عشر، حيث توجد جاليات ضخمة من السوريين في الخارج. وازدهرت البلاد في العصور القديمة، لكونها طريقًا للتجارة بعيدة المدى والجيوش العابرة. وقامت فيها إمبراطوريات متعاقبة قوية،شملت أغلبها الهلال الخصيب برمته.حيث برزت، منذ القرن الحادي عشر قبل الميلاد، الحضارة الآرامية التي استمدت هوية البلاد الحضارية الأساسية منها. وابتداء من القرن الثالث قبل الميلاد كانت البلاد جزءاً من الإمبراطورية السلوقية، التياإتخذت من أنطاكية عاصمة لها، ولقّب الملوك السلوقيون أنفسهم بملوك سوريا. وفى عام ٦٤ق.م دخلت تحت الإمبراطورية الرومانية فالبيزنطية. وبعد دخول الإسلام للشام فى عام٦٣٦، صارت البلاد حاضرة الدولة الأموية (أكبر دولة إسلامية في التاريخ من

حيث المساحة).و خلال النصف الثانى من القرن الثامن،كانت الشام ميدان حروب طاحنة بين الدولة الأموية والعباسسيين الذين انقضوا عليها، وأنهوا حكمها، ونقلوا عاصمة الخلافة الإسلامية إلى بغداد. وما لبث الفاطميون،أصحاب أحدى الفرق الشيعية الذين أقاموا دولتهم بمصروأنشأوا القاهرة لتكون عاصمة لهم، أن انتزعوا الشام من الدولة العباسية، وضموها إلى أملاكهم فى أواخر القرن العاشر الميلادي.

فىأواخرالقرنالحاديعشرحتىالثلثالأخيرمنالقرنالثالثعشر مابين عامى ١٠٩٦ – ١٢٩١، قامالأوروبيون بشن مجموعةمنالحملاتوالحروب، سميت بالحملاتالصليبية.كان

هدفهاالاستيلاءعلىالقدسوالأراضيالمقدسةالتيكانتتحتسيطرةالمسلمين.وكانت حروبا دموية دمرت غالبية مدن الشام. خاضها المسلمون تحت قيادة صلاح الدين والأسرة الأيوبيةحتى إنقرضت سلالتهم. وتولى تلاميذهم من المماليك حكم مصر والشامعام ١٢٥٠.

عانت بلاد الشام فى عهود المماليك من انتشار المجاعات والأوبئة، وانهيارالاقتصاد، وكثرة الانقلابات العسكرية، وثورات نواب المماليك في المدن السورية،وما يصاحبها من اقتتال ودمار. حتى انخفض عدد السكان إلى الثلث خلال حكمهم الذي دام نحوً ثلاثة قرون.وحتى دخلت الشام تحت حكم الإمبراطورية العثمانية فى ٢٦ سبتمبر عام ١٥١٦، لمدة أربعة قرون .

وعند فتح السلطان سليم الأول لبلاد الشام عام ١٥١٦، أبقيت التقسيمات الإدارية والسياسية على حالها أيام المماليك، مع بعض التغيرات. وأصبح التقسيم يشتمل على خمس ولايات تابعة مباشرة للصدر الأعظم بالأستانة على الوجه التالى :

- ولاية حلب، وتشمل خمسة سناجق، هي حلب وأضنة ومرعش وعنتاب والبيرة.

- ولاية طرابلس الشام، وتحوي أربعة سناجق، هي طرابلس الشام واللاذقية وحماة وحمص.

- ولاية دمشق، وتشمل عشرة سناجق، هي دمشق وبيروت وعكار وصفد ونابلس والقدس وغزة وحوران ومعان.

- ولاية الرقة، وتشمل مناطق الجزيرة الفراتية وبادية الشام.

- ولاية صيدا، وتشمل جبل لبنان وجبل عامل وصفد والجليل وعكا.

بالإضافة لعدة تقسيمات إقطاعية أصغر حجماً.ظلت بلاد الشام،وسورية من جملتها، خاضعة للدولة العثمانيةطوال أربعة قرون. ويمكن التمييز في تلك الفترة بين حقبتين، لكل منهما خصائصها التي تتميز بها عن الأخرى. أما الحقبة الأولى فتبدأ مع بداية القرن السادس عشر، وتنتهي مع نهاية القرن الثامن عشر. لتبدأ الثانية من بداية القرن التاسع عشر، وتنتهي بجلاء العثمانيين عن الأقطار العربية مع نهاية الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٨م.

تتميز بداية العصر الأول بقوة الدولة وبالاستقرار،حيث سادت فترة من الهدوء في بلاد الشام بشكل عام، لأكثر من نصف قرن. غير أن بوادر الضعف وأحداث الشغب، وما تخللها من عسف وجور الولاة والموظفين، بدأت تظهر من بعد وفاة السلطان سليمان القانوني. فتعاظم فساد المؤسسات وانحطاط مستوى الجيش، مما نتج عنه أعمال عنف وتمرد بين صفوف العساكر والأمراء المحليين، بلغت ذروتها في بلاد الشام عند نهاية النصف الأول من القرن السابع عشر، كثورة علي باشا جنبلاط في جهات كلّس شمال حلب، وثورة فخر الدين المعني في جنوبي سورية.

وبدأ يظهر جيل جديد من الولاة والموظفين من أبناء عائلات الشام في القرن الثامن عشر، كآل العظم وأصلهم من معرة النعمان. وفي الوقت الذي كان فيه هؤلاء ولاة على دمشق، كان هناك عدد آخر من أبنائهم يديرون دفة الحكم في مناطق أخرى، مثل طرابلس واللاذقية وحماة والمعرة. وكانوا يتمتعون بشكل من الاستقلال أقرب إلى الحكم الذاتي، ويتبعون سياسة توازن بين مختلف القوى المحلية في الولاية الواحدة. فكانت كلها عوامل استقرار جعلت سلاطين الدولة العثمانية يفضلون هذه الطريقة على غيرها لإدارة أمر البلاد. إلا أن المماليك اغتصبوا حكم بعض الولايات والمدن منها دمشق.وظل المماليك يحكمون أغلبية بلاد الشام، حتى مجيء نابليون إلى مصر، ومحاولتهالسيطرة على الشام سنة ١٧٩٩. ولم يطرأ في هذه المرحلة تغيير جوهري في نظم البلاد أو الطريقة التي كانت تُدار بها. ولعل مردّ ذلك إلى أن ثمة هامشاً من الحرية في الإدارة، جعلت الوالي

يتمتع بكثير من الصلاحيات لإدارة الولاية، فكان الحكم أقرب إلى اللامركزية.

تعرّض الشام في مستهل الفترة الثانية من الحكم العثماني، أوائل القرن التاسع عشر، لمجموعه من الأحداث، كان أهمها بداية الزحف الاستعماري نحو الشام، والذي استهله نابليون بونابرت بحملته على مصر وبلاد الشام، ومحاولة محمد علي باشا، والي مصر، تأسيس دولة قوية مستقلة عن الإمبراطوريه العثمانيه. هذه الأحداث كان لها دور مؤثر في تغيير عقلية الإنسان في المشرق العربي، وجعلته يصحو من رقاده ليتحمل مسؤوليته. وجه محمد على قواته إلى عكا، ودخلها سنة ١٨٣٢. وتابع تقدمه بسرعة إلى دمشق، التي استقبلته منقذاً ومحرراً. وبموجب صلح كوتاهية، أصبحت ولاية الشام خاضعة لإدارة محمد علي طوال حياته. وعلى الفور بدأ بسلسلة من الإصلاحات، كإلغاء الضرائب على السلع التجارية، وتحسين ظروف المزارعين. وأصبح في وسع التجار والصناع الاطمئنان إلى سلامة أموالهم. ونتيجة لهذه السياسة، تطور الاقتصاد تطوراً ملحوظاً، وانتعشت بسببه المدن السورية، وتعززت الثقة في نفوس الأهالي. وشملت الإصلاحات قطاع التعليم، وأنشئت المدارس الابتدائية في المناطق والنواحي، والمدارس الثانوية في مراكز المدن كدمشق وأنطاكية وحلب، على ذات النظام الذي كان سائداً في مصر. وأُقرت القوانين التي كانت تلزم الطلاب بارتداء أزياء خاصة بهم. وشيدت أبنية سكنية ملحقة بالمدارسلإيواء الوافدين إليها من الطلاب. واشتملت المناهج على تدريس

المواد الهادفة إلى غرس الوعي القومي في نفوس الدارسين، الأمر الذي جسد فكرة الانتماء القومي إلى الأمة العربية عند غالبية المثقفين العرب مع بداية النصف الثاني من القرن التاسع عشر. ولعل أهم ما تميز به عهد محمد علي، مظاهر التسامح الديني ما بين مختلف الطوائف، وإلغاء القيوم التي كان باشاوات العهود السابقة قد فرضوها على غير المسلمين، من باب تأكيد فكرة المواطنة بين الجميع. أما من الناحية الإدارية، فقد اعتبرت بلاد الشام ولاية واحدة، قسمت إلى ألوية عاصمتها دمشق. قام الأهالى فى بعض الجهات بالتمرد والعصيان على محمد علي، لأسباب منها مسألة التجنيد الإجباري الذي كان قد فرضه إبراهيم باشا على السوريين وقضية جمع الأسلحة من الأهالي. فى نفس الوقت كانت الدول الغربية تراقب ما يجري في بلاد الشام عن كثب. وتوجهت إلى محمد علي بإنذار تطلب فيه الانسحاب من سورية في غضون عشرة أيام. وتحت وطأة التمرد والعصيان من جانب الأهالي، والضربات التي وجهتها القوات الحليفة بعد نفاد مدة الإنذار، انهارت المقاومة المصرية في الشام، وارتدت نحو مصر سنة ١٨٤٠.

تتمثل أهم الأحدث فى المرحلة السابقة على الحرب العالمية الأولى فى استيلاء جمعية الاتحاد والترقي على زمام السلطة في الإمبراطورية العثمانية وميلها المتطرف نحو القومية التركيّة. وأخذت تحاول فرض الهويّة التركية على بلاد الشام لغة وثقافة. وعُرفت هذه السياسة باسم سياسة التتريك. كما ضيّق الاتحاديون على مثقفي العرب وأحرارهم، فهاجر

أغلبهم إلى خارج البلاد، سيّما نحو مصر وفرنسا. وأدى قمع الاتحاديين إلى نقمة شعبيّة توّجت بعدة انتفاضات وثورات، فشهدت حلب انتفاضة عام ١٨٩٥، والسويداء عام ١٨٩٦ و١٩٠٦، وبيروت عام ١٩٠٣. وفي عام ١٩٠٩ انطلقت ثورة من بصرى الشام، وعمّت حوران، ووصلت إلى وادي البقاع وبيروت. وحاصر الثوّار القطارات والقوافل والحاميات العسكرية العثمانية الصغيرة، ولم تقمعها السلطة إلا بالشدّة، وبعد أن أزهقت أرواح ستة آلاف مواطن. كانت مطالب السوريين حينها، الاعتراف باللغة العربية، ومنح اللامركزية الإدارية، كالولايات المتحدة وسويسرا، وخدمة الفرق العسكريّة داخل ولاياتها، وبإشراف ضبّاط من أهالي الولاية. غير أنّ جميع هذه المطالب قد رفضت، أو قبلت صوريًا فقط.

بينت المطالب التى رفعتها هذه الاحتجاجات والثورات أن سوريا، إبتداء من منتصف القرن التاسع عشر، لم تعد كما كانت فى القرون المنصرمة. لقد انتابت بنيانها الاقتصادي والاجتماعي والثقافي تغيرات جوهرية، بسبب تزامن وتشابك وتفاعل مجموعة من العوامل سبق تناول بعضها، من أهمها: تجربة حكم محمد علي التى لم تستمر لأكثر من ثمانى سنوات، إلا أنها تركت آثاراً عميقة على مجتمعات الشام، لما صاحبها من مشروع عمرانياقتصادياجتماعي ثقافي،وتنامي وانتشار حركات الاحتجاج والتمرد والثورات والفتن الطائفية على نطاق واسع فى العديد من المدن ومناطق الأرياف وعشائر البدو،وتنامي العداء واستفحاله ضد الدولة العثمانية، خاصة بعد مجاعة ١٩١٥وسياسة جمال باشا السفاح الدموية فى مواجهة

أهل الشام، والتجنيد الإجباري خلال الحرب العالمية الأولى،وازدهار النشاط الاقتصادى،وحراك اجتماعي وثقافي وسياسي ارتكز على التوسع فى انشاء المدارس الوطنية والأجنبية والجامعات، وانتشار المطابع ودور النشر وإصدار الصحف والمجلات،وانتشار الجمعيات الاجتماعية والسياسية،والاتصال والتواصل مع حضارات العالم عن طريق التعليم والسفر والهجرة على نطاق واسع. وقد تجلت هذه التغيرات فى بروز العديد من التيارت والتفاعلات على الوجه التالى:

* تيار محافظ واسع يعبر عن التجار والأرياف والعشائر والأقليات، من أهم مطالبه: الاعتراف باللغة العربية، ومنح اللامركزية الإدارية كالولايات المتحدة وسويسرا، وخدمة الفرق العسكريّة داخل ولاياتها وبإشراف ضبّاط من أهالي الولاية. وتشكلت قيادات هذا التيار من القيادات المحلية التي قادت حالات الاحتجاج والعصيان منذ أوائل القرن التاسع عشر حتى نهاية الانتداب. وقد كان يحصل على الأغلبية البرلمانية منذ أول انتخابات برلمانية أجريت فى سوريا عام ١٩١٨، حتى آخر انتخابات أجريت أثناء الانتداب الفرنسى عام ١٩٢٥.إلا أن النخبة السياسية قد تمكنت دائماً من قمع هذا التياروفرض خياراتها باستخدام كافة الأساليب.

* تيارليبرالى علمانى متأثر بالثقافة الغربية، ينادي بالانفصال عن الدولة العثمانية، و يعبر عن قطاع من المثقفين والأقليات. إلا أن عدم تبنيه لمشروع سياسي أفقده القدرة على النفاذ إلى الفئات الواسعة من أهالي الولايات السورية ودولتى سوريا ولبنان فيما بعد.

* تياراإصلاحى يطالب بإجراء إصلاحات فى نظام الحكم العثماني، والقضاء على المفاسد والاستبداد، وتطبيق مبدأ المساواة بين مختلف أعراق السلطنة، حفاظاً على تماسكها واستمرارها.وعقد قادة هذا التيار مؤتمراً بإسم المؤتمر العربي الأول بباريس من ١٣- ١٨ يونيو١٩١٣، بمبادرة من جمعية العربية الفتاة، وإشراف وإدارة حزب اللامركزية الادارية. كان عدد المندوبين خمسة وعشرين، حضر منهم ٢٤ بين مسلمين ومسيحيين،كانت أكثريتهم من أهل الشام. وحضر ثلاثة أعضاء يمثلون الجاليات العربية في الولايات المتحدة. استمر المؤتمر ستة أيام، عقد خلالها أربع جلسات، وانتهى إلى مجموعة من القرارات بالإجماع. وحضر الاجتماع نحو مائتين من العرب كمستمعين.وكان من قرارات المؤتمر:

١- الإصلاحات التي يجب إجراؤها في الامبراطورية ضرورية للمجتمع.

٢- يجب أن يشترك العرب في الحكومة المركزية للإمبراطورية اشتراكاً أكثر فعالية.

٣- يجب اعتبار اللغة العربية لغة رسمية في الولايات العربية، والاعتراف بها لغة ثانية في البرلمان العثمانى.

٤- يجب أن تقتصر الخدمة العسكرية على حاجات الولايات العربية، باستثناء الحالات غير العادية.

٥- يجب إقامة نظام إداري لا مركزي في كل بلد عربي.

على الرغم من أن النتائج العملية التي ترتبت على المؤتمر كانت متواضعة للغاية، فإن انعقاده يعد حدثاً مهماً في تاريخ حركة التحرر القومي العربي.

وقد وافق على مقررات المؤتمر مندوب الحكومة التركية، مدحت شكري بيل، سكرتير "الاتحاد والترقي"، الذي كان قد دعي إلى باريس من قبل الحكومة الفرنسية. إلا أنالحكومة التركية تنكرت لهذه المطالب، بإصدار مرسوم سلطاني اختزلت فيه مواد الاتفاقية اختزالاً شديداً. وحرض أعضاء الاتحاد والترقى أنصارهم من ذوي النزعة العثمانية على المؤتمر، فأخذوا يهاجمونه، ويصورون المشاركين فيه على أنهم خونة، هدفهم تسليم البلاد إلى الأجانب، والقضاء على الدولة والإسلام. وعند اجتماع لوزارة الحربية العثمانية في ٢٤ كانون الثاني (يناير) ١٩١٤، بحضور الصدر الأعظم سعيد حلمي باشا، اتخذت جملة من القرارات المناهضة للأماني العربية، منها إقصاء الضباط العرب المقيمين في اسطنبول، وتولية القيادة في الولايات العربية لضباط أتراك.

* تيارقومى عربى يعبر عن النخبة، أيد المشاركة بالثورة العربية الكبرى حينذاك. إذ أن تعسف القادة العثمانيين في استخدام صلاحياتهم، ووصول أعضاء جمعية الاتحاد والترقي إلى الحكم، حالت دون تحقيق ما كان يدعو إليه الإصلاحيون المتمسكون بوحدة الإمبراطورية والرابطة العثمانية. ومما زاد الطين بلة، انحياز تركيا إلى المعسكر الألماني فى الحرب العالمية الأولى، وكذلك ما قام به جمال باشا من مذابح في سورية ولبنان. كل ذلك أدى بمن كانوا يطالبون بالبقاء داخل الخلافة العثمانية مع إصلاحها إلى أن يراجعوا مواقفهم، ويوازنوا بين مجموعة خيارات منها: الحكم التركي واستمرار طغيانه؛استبدال الخلافة العثمانية التى انهارت فى

عام ١٩٠٨ بدولة خلافة أخرى؛ الاتفاق مع حليف أجنبي يضمن لهم الحرية والاستقلال بعد الحرب إذا ما انحازوا إلى صفه خلالها. فرأت الغالبية منهم أن مصلحتهم في الخيار الثالث بالتحالف مع بريطانيا. واتجهت بعض الجمعيات العربية السرية، بقيادة جمعيتى العربية الفتاة والعهد وعدد من الشخصيات العربية والسورية البارزة، بالاتصال مع الشريف حسين بن علي أمير مكة. وأسفرت الاتصالات عن التوقيع على وثيقة عرفت بميثاق دمشق. وهى عبارة عن وثيقة وقعها قادة القوميين العرب فى سوريا وجمعيتى العهد والفتاة في ربيع عام ١٩١٥. وكان الأمير فيصل بن الحسين طرفاً في ذلك الميثاق. ووقع عليه نائباً عن والده الذي رشحه القوميون العرب زعيماً للثورة المنتظرة.وتضمنت الوثيقة البنود التالية:

١.اعتراف بريطانيا العظمى باستقلال البلاد العربية الواقعة ضمن الحدود التالية.

شمالاً : خط مرسين – أطنة الموازي لخط العرض ٣٧ شمالاً.

شرقاً : على امتداد حدود ايران الى الخليج جنوباً.

جنوباً: المحيط الهندي (باستثناء عدن التي يبقى وضعها الحالي كما هو).

غرباً : على امتداد البحر الأحمر ثم البحر الأبيض المتوسط الى مرسين شمال الإسكندرونة جنوب تركيا.

٢.إلغاء جميع الامتيازات الاستثنائية التي منحت للأجانب بمقتضى الامتيازات الأجنبية.

٣.عقد معاهدة دفاعية بين بريطانيا العظمى وهذه الدولة العربية المستقلة.

٤.تقديم بريطانيا العظمى وتفضيلها على غيرها من الدول في المشروعات الاقتصادية.

وتواصل الترتيب مع الشريف حسين لتنسيق جهود الاتصالات مع ممثلى بريطانيا للتفاوض حول التحالف معها فى الحرب في مقابل إنشاء دولة عربية مستقلة بعد إنتهاء الحرب. وقد ترتب على هذه الاتصالات إجراء مفاوضات مع ممثلي بريطانيا. وكان المندوبان القائمان بالجهود الرئيسية في المباحثات مع الزعماء العرب هما السكرتير الشرقي في دار الاعتماد البريطاني، ومدير المخابرات العسكرية بالمكتب العربى بالقاهرة. وكان مندوبو العرب فى المفاوضات عزيز المصري ورشيد رضا.ودارت المباحثات حول موضوع الرسائل التي بعث بها كتشنر الى الشريف حسين، وكانت ترمي إلى اقناع العرب بأن مستقبلهم رهن تحالفهم مع إنجلترا. وفي يناير١٩١٥، فوض مجلس وزراء بريطانيا هنري ماكماهون، المندوب السامى فى مصر، بإصدار بيان عام يكفل مستقبل البلاد العربية ومصير الخلافة. وقد صدر البيان في أوائل يونيو١٩١٥، وفيه أن بريطانيا تتعهد بأن ينص أحد بنود معاهدة الصلح على الاعتراف بشبه جزيرة العرب دولة مستقلة . أرسل الشريف حسين أولى مراسلاته إلى السير هنري ماكماهون في ١٤ يوليو١٩١٥، وفيها الشروط التي يشترطها العرب

لتحالفهم مع بريطانيا في الحرب، وهي الشروط التي تضمنها ميثاق دمشق.

وفي ٢٤ نوفمبر١٩١٥، بعث ماكماهون برسالة قال فيها إن الحكومة البريطانية قد فوضته بأن يقدم للعرب باسمها تعهدات معينة، وهي أن بريطانيا تقطع على نفسها عهداً بأن تعترف باستقلال العرب في المنطقة التي حددها ميثاق دمشق،باستثناء أجزاء معينة في آسيا الصغرى والشام، بشرط عدم التعرض للمعاهدات المعقودة بين بريطانيا وبعض رؤساء العرب.

فى هذه الأثناء أبرمت بريطانيا وروسيا وفرنساسلسلة من المعاهدات السرية،عرفت بمعاهدة سايكس بيكو، تضمنت المذكرات التي عينت الحصص البريطانية والفرنسية في الامبراطورية العثمانية. و في يومي ٩، ١٦ مارس١٩١٦،وقع الاتفاقية عن بريطانيا مارك سايكس، وعن فرنسا جورج بيكو، فسيمت باسميهما. وقد قسمت المناطق على النحو الآتي:

١.خصصت لروسيا القسطنطينية، مع بضعة أميال على جانبي البسفور، وحصة كبيرة من شرق الأناضول، تضم أربع ولايات كاملة تجاور الحدود بين روسيا وتركيا.

٢.واحتفظت فرنسا لنفسها بالقسم الأعظم من سوريةالكبرى، وبحصة صغيرة من جيوب الأناضول، ومنطقة الموصل.

٣.أما حصة بريطانيا، فكانت تتألف من شريط يمتد من أقصى جنوب سورية عبر العراق، ليشمل بغداد والبصرة، وجميع المنطقة الواقعة بين

الخليج العربي والمنطقة المخصصة لفرنسا، وهي تضم مينائى حيفا وعكا، مع قطعة صغيرة من المنطقة الداخلية.

٤.واستبقيت فلسطين لتكون تحت حكم دولي خاص.

وتذكر المصادر أن الشريف حسين، لم يسمع باتفاقيةسايكس بيكو إلاً في اكتوبر ١٩١٧، عندما قام زعماء روسيا بعد الثورة والإنسحاب من الحرب بنشر الوثائق المحفوظة في وزارة الخارجية الروسية، ومن بينها هذه الاتفاقية. وعندما سمع الشريف حسين بها، وجه رسالة استفهام قلقة إلى المعتمد البريطاني في جدة، فأجاب هذا برسالة أكد فيها أن بريطانيا وحلفاءها مازالوا واقفين موقف الالتزام بتعهداتهم والثبات عليها، ولم يحدث شيء يعوق تحرير البلاد العربية (فى إشارة إلى أن ماتضمنته اتفاقية سايكس بيكو لن يعيقها هي وحلفاؤها عن تنفيذ تعهداتهم)، وهي مصممة على أن تقف بجانب الأمة العربية في جهادها لنيل الاستقلال، حتى تبني عالماً يسود فيه القانون والشرع بدل الظلم العثماني.

وما أن أعلنت الثورة في الحجاز يوم ١٠ يونيو ١٩١٦، حتى انضم إليها العديد من الضباط العرب العاملين في الجيش العثماني. وتوالى تحقيق الانتصارات بالسيطرة على كامل خط جدة –العقبة– دمشق، ودخول الجيش العربى بقيادة الأمير فيصل بن الحسين إلى دمشق في أكتوبر١٩١٨. ودخلت قوات الحلفاء دمشق مع القوات العربية، وكانت دمشق تغص بالضباط والزعماء العرب وأعضاء جمعيتى الفتاة والعهد،وهم

الذين قادوا الثورة العربية. واحتفظت بريطانيا بالإدارة العسكرية في العراق وفلسطين. وبقيت بعض القوات الفرنسية في السواحل السورية في لبنان. فيما أقام العرب إدارات مختلفة في بقية المناطق. وشعر العرب أن الغرب يناقش حقوقهم الطبيعية بعد تعهده بالاعتراف باستقلالهم.

في مايو ١٩١٩، أجريت انتخابات لمجلس النواب السورى(على نطاق سوريا الحاليةوغالبية لبنان). وذهبت ٨٠ ٪ من المقاعد للمحافظين. ولم ينجح سوى عدد من رموز الأقلية القوميين العرب، مثل جميل مردم بك وشكري القوتلي وأحمد القادري وابراهيم هنانو ورياض الصلح.

واجتمع المؤتمر السوري العام فى ٨مارس ١٩٢٠(وهو تجمع سياسي من القوميين العرب، تكون في دمشق من ممثلين عن مناطق سورية الكبرى، واستمر من أواخر يونيو١٩١٩ إلى أواخر يوليو١٩٢٠). وقرر إنشاء حكومة ملكية دستورية في الشام، عاصمتها دمشق، ورأسها فيصل، تتولى أمر السوريين من رفح الى طوروس، باسم السوريين. واعتبرها القوميون العرب حكومة دستورية مسؤولة أمام ممثلي الشعب.وروجوا هذه العبارات فى جميع الأوساط الشعبية والرسمية لدرجة تضمينها فى مناهج التاريخ بالدول العربية، رغم أن الحكومة غير دستورية، ولا الملك دستوري، حيث لايوجد دستورأصلاً. كما أن أعضاء المؤتمر السورى العام، ليسوا ممثلين للشعب، ولم يعتمده أى برلمان. أما جبل لبنان، فيحتفظ باستقلال ذاتي،

على أن يسير بسياست في نطاق الوحدة العربية السورية. وقرر المؤتمر السوري إعلان فيصل ملكاً دستورياً لمملكة سوريا العربية، ملكية دستورية، وتنصيب الأمير عبد الله بن الحسين ملكا على العراق .

حاول فيصل الحصول على اعتراف الدول الكبرى به ملكاً على مملكة سوريا الكبرى. فذهبإلى مدينة سيفر بفرنسافي ١٠ أغسطس ١٩٢٠،حيث يجتمع ممثلوالدولةالعثمانيةودول الحلفاء المنتصرة فى الحرب لتقرير مستقبل تركياوولاياتها السابقة.وحاول أن يضع المجتمعين أمام الأمر الواقع. ولكنهووجه بعد أن سافر إلى فرنسا لحضور المؤتمر ممثلا للعرب برفض الحكومة الفرنسية حضوره المؤتمر أو استقباله رسمياً بصفته ممثلاً لمملكة الحجاز بدعوى أنها ليست دولة لها حق حضور المؤتمر، أو ممثلاً للحكومة العربية السورية لنفس السبب. وأصرت على استقباله بصفته الشخصية. وخلال سفره الى أوروبا مرتين، لم يحصل على شيء مما وعدته به بريطانيا. في ٢٥ من أبريل، وخلال معاهدة سيفر، قرر المجلس الأعلى المشترك للحلفاء المنتصرين فى الحرب إعطاء فرنسا الانتداب على سوريا بما فيها لبنان، ومنحت المملكة المتحدة الانتداب على فلسطين بما في ذلك شرق الأردن والعراق بما فيها الموصل.استقبل السوريون ذلك بمظاهرات عنيفة، مع تشكيل حكومة جديدة برئاسة هاشم الأتاسي فى ٧ مايو ١٩٢٠. وقررت الحكومة الجديدة تنظيم التعبئة العامة. وبدأ تمويل

جيش. في يونيو ١٩٢٠ قررت فرنسا وضع حد للحكومة العربية في دمشق. فقدم الجنرال غورو إنذاراًإلى فيصل، يطلب تسليم السكة الحديد في حلب، وتسريح الجيش السوري ونزع سلاحه، واستخدام العملة الفرنسية في كل سوريا، ووقف كل حركة تناهض الوجود الفرنسي. وفي ظرف أربعة أيام،إذا لم تجب هذه المطالب، فستتقدم القوات الفرنسية لتنفيذ هذه المطالب بنفسها.

بعد الإنذار الفرنسي انقسمت الحكومة العربية في سوريا إلى رأيين،الأكثرية ويقف على رأسها الملك فيصل ترى الاستجابة إلى الإنذارحتى يمنع الهجوم الفرنسي على المناطق الداخلية من سوريا. أما الاتجاه الثاني، فكان يتلخص برفض الإنذار الفرنسي، وإعلان الحرب على فرنسا، وإعلان التعبئة العامة، وتكتيل القوى الشعبية الوطنية، والقيام بحركة جهاد عامة، من أجل نفس المبادئ التي قامت من أجلها ثورة العرب عام ١٩١٦. وكان على رأس هذا الاتجاه يوسف العظمة، وزير الحربية فى الحكومة السورية. بعد أن دعي المؤتمر السوري الى الإجتماع في القصر الملكي، أبلغ الملك فيصل أعضاء المؤتمر بأن المجلس الحربي والوزارة قررتا قبول الإنذار. وأسرع رجال الادارة بإبلاغ ذلكإلى الأقاليم، وإلى منطقة حلب، حتى لا تقاوم الفرنسيين. وصدرت الأوامر بتسريح الجيش. فخرج الجنود من ثكناتهم يحملون أسلحتهم، ونزلوا الى الشوارع، وخرج الأهالي في مظاهرات

صاخبة. فكانت ثورة غير منظمة (تدعى بعض المصادر أنها من تدبيروقيادة يوسف العظمة وجماعته). وأطلقت الشرطة النار على المحتجين، وسقط ثلاثمائة قتيل من الطرفين.

أبلغ الملك فيصل الفرنسيين بأنه قبل الإنذار، وأن حكومته لا تزال قائمة، تسيطر على الموقف في دمشق، وترغب في التفاهم مع القيادة الفرنسية حول العلاقات المقبلة بين الطرفين. إلا أن القوات الفرنسية كانت قد تحركت بالفعل مع نهاية مهلة الإنذار. وكانت تتوجه فى طريقها للتصدى لحالة العصيان التى تعم الشوارع. وتقدمت القوات الفرنسية صوب دمشق، فخرج يوسف العظمة صوبها مسرعاً على رأس قوة لا يزيد عددها عن ألفي رجل. وتقدم على رأسهم، مقرراً مع رجاله ألا يمر الفرنسيون صوب دمشق إلا فوق أجسادهم. والتقى الجيشان فى ميسلون، وكان ما قرروا، لقد ثبتوا في مواقعهم الى آخر رجل ولم يعد منهم أحد.

استقرت القوات الفرنسية في دمشق، إلى أن تحدد الوضع النهائي، طبقاً لما قرره مؤتمر فرساي، أن يعهد الى فرنسا بإدارة الأقاليم السورية، والوصول بأبنائها الى مرحلة الدولة المستقلة.

بدأت مرحلة الانتداب الفرنسي على سوريا، الذى أقرته عصبة الأمم رسمياً عام ١٩٢٢. وصدرت المراسيم بتقسيم بلاد الشام الخاضعة للانتداب الفرنسي لستة كيانات مستقلة، قريبة الشبه بالتقسيمات

العثمانية،وهى : دولة دمشق – دولة حلب – دولة العلويين" اللاذقية" – دولة لبنان الكبير – دولة جبل الدروز – لواء الإسكندرونة. كانت هذه الكيانات في بادئ الأمر مستقلة تماماً، ولكل منها علم وعاصمة وحكومة وبرلمان وعيد وطني وطوابع مالية وبريدية خاصة. واستجابت فرنسا للرفض الشعبي للتقسيم بتأثير القوى القومية، فقامت في عام ١٩٢٢ بإنشاء اتحاد فيدرالي بين ثلاثة من هذه الكيانات (دمشق وحلب والعلويين)، تحت اسم "الاتحاد السوري". وفي الشهر الأخير من عام ١٩٢٤ قرر الفرنسيون إلغاء الاتحاد السوري، وتوحيد دولتي دمشق وحلب في دولة واحدة هي دولة سورية. وأما دولة العلويين، فقد فصلت مجدداً استجابة لطلبات أبنائها، وعادت دولة مستقلة بعاصمتها في اللاذقية. وكانت هذه الدولة تقع على الشريط الساحلي السوري. وكان غالبية سكانها البالغ عددهم٢٧٨,٠٠٠ نسمة (تشكل حوالى١٥% من مجموع سكان الدول الثلاث) من العلويون. وهم طائفة من المسلمين الشيعة. في البداية كانت دولة العلويين عبارة عن أراض ذات حكم ذاتي، تابعة للانتداب البريطاني، تعرف باسم أراضي العلوييننقبل الإنتداب الفرنسى. وفي النهاية تم ضمها إلى الجمهورية السورية في ٥ ديسمبر ١٩٣٦.

وشهد عام ١٩٢٥ اندلاع الثورة السورية الكبرى التي استمرت حتى ١٩٢٧،وقامت في جبل الدروز(هضبة الجولان الحالية) بقيادة سلطان باشا

الأطرش، وفي منطقة حوران بقيادة الشيخ إسماعيل باشا،وامتدت الثورة إلى دمشق ولبنان. وقررالبرلمان الحلبي (وكان جلّ أعضائه من الرافضين للاندماج فى دولة مركزية)، الانعقاد وإعلان الانفصال عن دمشق. ولكن القوميين العرب بحلب بقيادة إبراهيم هنانو، منعوا اجتماع البرلمان بعد أن قاموا بقطع الطرق المؤدية اليه يوم التصويت لمنع أعضائه من الوصول والتصويت على قرارهم المتوقع.

وفي عام ١٩٣٠، جرت انتخابات الجمعية الدستورية، وتم اتخاذ دستور جديد لسورية وإعلانها باسم "الجمهورية السورية". واتخذ علم جديد يرمز إلى المحافظات الثلاث (دمشق وحلب ودير الزور). وقد عرفت تاريخياً بالجمهورية الأولى. في عام ١٩٣٦، تم توقيع معاهدة الاستقلال مع فرنسا لتوحيد كافة الأقاليم السورية، بما في ذلك دولتي اللاذقية (العلويين) وجبل الدروز. ولكن فرنسا رفضت انضمام إقليم جبل لبنان لهذه الدولة الموحدة بسبب معارضة الموارنة، المؤيدين بشدة لإنشاء دولة مستقلة. وهكذا تشكلت الحدود السياسية لدولة سوريا الحالية. وفى السنوات اللاحقة بعد التوحيد، استمر النضال ضد الانتداب. وبعد الحرب العالمية الثانية، أفضت الانتفاضات المطالبة بالاستقلال، إلى إعلان الاستقلال التام عام ١٩٤٦، وتم انتخاب شكرى القوتلى رئيساً للجمهورية. فى هذه الأجواء الحماسية التيتزعمها تيار القومية العربية،نشأ حزب البعث في بداية الأربعينات على يد ميشيل عفلق وصلاح البيطار، اللذين ينحدران من

الطبقة المتعلمة المتوسطة في دمشق. فبعد عودتهما من دراستهما في السوربون في باريس إلى مدينتهما دمشق عام ١٩٣٣، بدأ الأستاذان بالتبشير بأفكارهما في أوساط الطلاب والشباب، وعملا على نشرها. أخذت هذه الأفكار تستقطب حولها عدداً من الشباب القوميين المتحمسين من طلبة المدارس والجامعات. إلا أن التجمع لم يتحول إلى حركة سياسية إلا في بداية الأربعينات، حين شكل عفلق والبيطار جماعة سياسية منظمة باسم حركة الإحياء العربيالتي أصدرت بيانها الأول في شباط (فبراير)عام ١٩٤١.

وما لبثت هذه الجماعة أن أكدت اختلافها عن التنظيمات القُطْرية في الساحة السورية آنذاك بوضعها المبادئ القومية التي كانت تدعو إليها موضع التطبيق، وذلك عندما أعلنت تأييدها للانقلاب في العراق ضد الاحتلال البريطاني في الثاني من أيار (مايو) عام ١٩٤١ بقيادة رشيد عالي الكيلاني. وأسست ما عرف باسم "حركة نصرة العراق"، التي انخرط فيها كل أعضاء الجماعة الفتية، بالإضافة إلى شباب من خارجها. وابتداء من حزيران (يونيو)، ١٩٤٣ أصبحت بيانات الحركة تحمل اسم "حركة البعث العربي". وتم تأسيس حزب البعث بصورة رسمية، عندما انعقد مؤتمره الأول في دمشق في ٧ نيسان (أبريل) ١٩٤٧. وانتخب ميشيل عفلق عميداً له. وعمل البعث على مواجهة التدخل الأجنبي في شؤون المنطقة العربية وتوطيد القومية العربية. وأصبح له تأثير فعال على الحكم في سوريا بعد الاستقلال سنة ١٩٤٦. وسرعان ما انتشر الحزب في بعض

البلدان العربية، كالعراق ولبنان وفلسطين والأردن واليمن. في سنة ١٩٥٢، اندمج حزب البعث العربي مع الحزب العربي الاشتراكي، الذي كان يرأسه أكرم الحوراني، في حزب واحد أصبح اسمه "حزب البعث العربي الاشتراكي"، كحزب قومي عربي، يسعى لخلق جيل عربي جديد مؤمن بوحدة أمته. ودخلت البلاد فى سلسلة من الانقلابات العسكريةاختتمت بالوحدة بين سوريا ومصر. أعلنت الوحدة في ٢٢ فبراير ١٩٥٨، بتوقيع ميثاق الجمهورية المتحدة من قبل الرئيسين السوري شكري القوتلي والمصري جمال عبد الناصر. اختير عبد الناصر رئيساً والقاهرة عاصمة للجمهورية الجديدة. وفي عام ١٩٦٠ تم توحيد برلماني البلدين في مجلس الأمة بالقاهرة، وألغيت الوزارات الإقليمية لصالح وزارة موحدة في القاهرة أيضاً. أنهيت الوحدة بانقلاب عسكري في دمشق، يوم ٢٨ سبتمبر ١٩٦١. وأعلنت سوريا انفصالها عن مصر، لتسمى "الجمهورية العربية السورية"، بينما احتفظت مصر باسم "الجمهورية العربية المتحدة" حتى عام ١٩٧٠. وقام بالانفصال ثلة من العسكريين السوريين مدفوعين من جهات غربية ومدعومين من السعودية والأردن. وكان من أسباب الانفصال، قيام جمال عبد الناصر بتأميم البنوك الخاصة والمعامل والشركات الصناعية الكبرى، والتي كانت مزدهرة، من غزل ونسيج وأسمنت الخ. أصحاب هذه المؤسسات استاءوا من هذه القرارات، ودعموا الانقلاب. تلت الانفصال خمسة انقلابات عسكرية في سوريا في خلال فترة ٢٠ شهرا،اختتمها حزب البعث بإنقلاب أطلق عليه الحزب ثورة الثامن من مارس عام ١٩٦٣،وظل

يحكم حتى الآن فى ظل انقلابات عسكرية تقوم بها أجنحته المتصارعة، حتى انقلاب عام ١٩٧٠ الذى أطلق عليه الحزب الحركة التصحيحية. وهو الذى أوصل وزير الدفاع حافظ الأسد إلى السلطة. وبهذا الانقلاب نكون قد وصلنا إلى الانقلاب الأخير فى سلسلة الانقلابات التى تجاوز عددها عشرة انقلابات تقريباً منذ الاستقلال، بمعدل انقلاب كل سنتين. وتخللت الانقلابين الآخرين خسارة الجولان خلال حرب ١٩٦٧. وقد أفضت حرب ١٩٧٣إلى استرجاع أجزاءٍ منها، أهمها القنيطرة. وفى عام ١٩٧٣ أقرّ دستور جديد للبلاد، كرّس نظام الحزب الواحد، باعتبار البعث "قائدًا للدولة والمجتمع". وفي عام ١٩٧٥ تدخلت سوريا عسكريًا في لبنان، خلال الحرب الأهلية اللبنانية، واستمرت بالوجود هناك حتى ٢٠٠٥.وفي عام ١٩٧٩ اندلعت انتفاضة بقيادة الإخوان المسلمين، تطورت إلى مواجهات عسكرية، انتهت عام ١٩٨٢ بما يعرف بمجزة حماة الكبرى. وشاركت سوريا في مؤتمر مدريد عام ١٩٩١، وقبلت فيه بالسلام مع إسرائيل مقابل إعادة الجولان.وورث بشار الأسد رئاسة الجمهورية عام ٢٠٠٠، خلفًا لوالده.

بكل الأحوال فإن الحريات السياسية والإعلامية، ونشاط الأحزاب والمجتمع المدني، وحقوق الإنسان، وتسلّط أجهزة الأمن، لم تطرأ عليها تغييرات تذكر.وتكرَّس نظام الحزب الواحد. مما أدى إلى اندلاع احتجاجات شعبية ضد الحكم القائم فى مارس ٢٠١١، متواكبة مع الربيع العربي. وسرعان ما توسعت أفقيًا ورأسيًا، لتشمل معظم محافظات البلاد. وقد ردت عليها

السلطة بانتهاكات واسعة لحقوق الإنسان، بما فيها التعذيب وإطلاق الرصاص الحي على المتظاهرين. وزج بالجيش السوري لقمعها، وهو ماأفضى فعليًا، منذ ٢٠١٢، لنشوء مقاومة مسلّحة غير مركزية التنظيم، دعيت الجيش السوري الحر، من منشقين عن الجيش النظامي، ومتطوعين مدنيين، ومسلحين ينتمون لجماعات إسلامية متطرفة. وبنتيجتها تعسكرت الاحتجاجات. وتحولت إلى حرب مدن، ومعارك تستخدم فيها الأسلحة الثقيلة، وبمشاركة مقاتلين ومنظمات أجنبية، مثل حزب الله وجماعات النصرة وداعش، وغيرها من الجماعات وثيقة الصلة بتنظيم القاعدة. وفي ظل فشل محاولات الحلول السلمية السياسية والدبلوماسية، وعدم تحقيق حسم عسكري، أفضت الأزمة منذ اندلاعها إلى دمار واسع في البنية التحتية لعدد وافر من المدن السورية، وإتلاف مواقع أثرية، وشبه انهيار في الاقتصاد، وأعداد مرتفعة من القتلى بشكل يومى، والجرحى، والمعاقين، والمعتقلين، والمخطوفين، والمحاصرين، والمشردين، بالإضافة لملايين اللاجئين والمهاجرين والنازحين فى الداخل والخارج.

إن المتفحص لتارخ سوريا المعاصرسيلاحظ أن السوريين،"ذوى التنوع العرقى والمذهبى والثقافى"، لم يكفوا أبداً منذ قرنين من الزمان عن البحث عن طريق يصل بهم إلى حالة استقرار ترضي سائر الفرقاء. إن مايحدث فى سوريا الآن يثبت إن حزب البعث لم يتمكن من السوريين، ولم ينجح فى إخماد روحهم الوثابة. وبصرف النظرعن توازن القوى السياسية الحالي، فالمنتظر منهذا الشعب أن يتمكن فى نهاية هذا النفق المظلممن بناء

النظام الذى يحقق له العدل والحرية والكرامةوالتخلص من تسلط وإجرام حزب البعث وجماعات الإسلام السياسى الإرهابية.

المراجع

http://www.discover-syria.com/bank/6399

سوريا فى عهد العثمانيي

http://www.shabakataljahad.com/vb/showthre

ad.php?t=26488 المؤتمر العربى الأول

نص http://alnoha.com/read/saykspeko.htm

اتفاقية سايكس بيكو

الجمهورية اللبنانية

الجمهورية اللبنانية تقع جنوب غرب آسيا. تحدها سوريا من الشمال والشرق، وإسرائيل من الجنوب، وتطل من جهة الغرب على البحر الأبيض المتوسط. تبلغ مساحتها ١٦٦,٠٠٠كم مربع. نظامها السياسي ديمقراطي جمهوري طائفي، وهي غنيه بتعدد ثقافاتها وتنوع حضاراتها. هاجر وانتشر الكثير من أبنائها حول العالم على مر العصور. وعدد اللبنانيين المهاجرين يقدر بضعف عدد اللبنانيين المقيمين، الذين قدر عددهم في عام ٢٠١١ من مواطنين وأجانب بنحو ٤,٢٥٩,٠٠٠ نسمة. وقد قامت الدولة اللبنانية على تعددية متشابكة ومتوازنة من الطوائف الدينية والعرقية. علماً بأنه لم تنشر نتائج رسمية لأى إحصاء سكانى منذ عام ١٩٣٢. وقد أظهرت نتائج هذا التعداد أن عدد السكان فى حينه بلغ ٧٨٥,٥٤٢ نسمة. وجاءت نسب التوزيع السكانى لطوائف الشعب اللبنانى طبقا لإحصاء ١٩٣٢ كالتالي:

- المسلمون السنة: نسبتهم ٣٦,٦% من إجمالى عدد السكان. وقد استوطن بعضهم لبنان، عندما جاءت قبائل عربية مع الفتح الإسلامى عام ٦٣٦.ولكن معظمها غادرت بعد ذلك. أما الهجرات القبليةالواسعة، فقد أحضرها العباسيون للاستيطان عام ٧٥٨ وما بعده، وأثناء الحملات الصليبية، خلال القرن الثانى عشر. وسكنوا فى مناطق الساحل والبقاع وبعض مناطق الشمال. وأثناء الحروب

الصليبية، استقدمت العديد من الدول والجماعات المتحاربة شعوباً لتستوطن المنطقة بهدف تحقيق تغيير فى موازين القوى بما يحقق مصلحتها.

- المسلمون الشيعة: نسبتهم٥,١ % من إجمالى عدد السكان. وفدوا أثناء الفتنة الكبرى، فراراً من اضطهاد الأمويين خلال القرن السابع. كما وفدت فى القرون التالية قبائل عربية شيعية أثناء الدولة العباسية فراراً من إضطهاد العباسيين للشيعة. وقد استوطنوا جبل عامل والبقاع فى الجنوب، والضاحية الجنوبية من بيروت.
- الدروز: نسبتهم ٦,٨% من إجمالي عدد السكان. وقد استوطنوا لبنان فى القرن الحادى عشر، عندما وفدوا اليها هروباً من بطش الفاطميين بأصحاب الديانة الجديدة من أتباع الخليفة الفاطمي السادس الحاكم بأمر الله، الذى يعتقد أن الطائفة نشأت على يديه في مصر، قرابة العام ١٠١٧، حين انشق عن المذهب الشيعي، مدفوعاً بطموحه لتوحيد الديانات الإبراهيمية.ولكنه اختفى فجأة بجبل المقطم بالقاهرة، ونكلت السلطات بأتباعه. وقد استوطنوا وادى التيم وجبل لبنان. واستقطبوا الأهالي إلى المذهب الدرزى الذي انتشر لاحقاً إلى بلاد الشام.
- الموارنة: نسبتهم ٢٨,٨% من إجمالى عدد السكان. وقد وفدوا إلى لبنان من شمال سوريا عام ٤٥١، هرباً من بطش أتباع كنسية أنطاكية. وتنتسب الطائفة المارونية إلى القديس مارون، المتوفي عام

٤١٠. وقع خلاف شديد بين أتباع مارون وبين كنيسة الروم الأرثوذكس بأنطاكية، مما اضطرهم إلى الرحيل عنها إلى قلعة المضيق على نهر العاصي، مشيدين هناك ديراً يحمل اسم القديس مارون. وقع كذلك خلاف آخر في المكان الجديد، بينهم وبين اليعاقبة الأرثوذكس. وحدثت حروب انتقامية بين الطرفين أسفرت عن تهجير الموارنة إلى شمالي لبنان، وهو المكان الذي أصبح موطناً لهم فيما بعد.

- روم أرثوزكس: هم مسيحيو المشرق. ويكثر حضورهم في منطقة الكورة (شمال لبنان)، ومنطقة الأشرفية في العاصمة اللبنانية بيروت. ومرجعيتهم الحالية بطريرك أنطاكية وسائر المشرق للروم الأرثوذكس، يوحنا العاشر يازجي الثامن والخمسون بعد المئة. وتولى مهامه رسمياً في ١٠ فبراير ٢٠١٣. يشكلون حوالي ٩,٧% من الشعب اللبناني المقيم.
- روم كاثوليك: نسبتهم ٧,٥% من إجمالي عدد السكان. وفدوا فى القرن الثانى عشر، مصاحبين للحملات الصليبية. ويتفرقون فى العديد من المناطق. ويُعرفون بالملكيين. مرجعيتهم الحالية غريغوريوس الثالث لحام، بطريرك أنطاكية وسائر المشرق للروم الملكيين الكاثوليك، و مقرها سوريا. انتخبفي ٢٩ نوفمبر عام ٢٠٠٠ ملمنصبالبطركفيدمشق.
- أرمن أرثوزكس: نسبتهم ٦% من إجمالي عدد السكان. وقد نزحوا إلى لبنان خلال الحرب العالمية الأولى، تنفيذا لفرمانات الإمبراطورية العثمانية بتهجير الأرمن من وطنهم "أرمينيا"، فيما عرف تاريخياً

بمذابح الأرمن. وقد استوطنوا بعض نواحى البقاع وشمال بيروت. سكنوا في لبنان، وبصورة خاصة في برج حمود (ساحل المتن) وزحلة وعنجر.

هذه هى الطوائف السبع الكبرى، بالإضافة لنحو إحدى عشرة طائفة صغيرة أخرى، شكلت جميعا الشعب اللبناني. وشملها التعداد الأول والأخير للتركيبه السكانيه عام ١٩٣٢، التى بنى على أساسها النظام السياسي للدولة القائم على الحصص بهدف تحقيق التوازن بين الطوائف وضمان الحقوق السياسية لكل طائفة. وقد وفدت إلى لبنان طوائف جديدة، بعد التعداد واستقلال الدولة واستقرار نظامها السياسى، مما حدا بالسلطات السياسية لعدم منحها الجنسية اللبنانية، وحرمانها من أى حقوق سياسية، أو اجتماعية. ويمكن حصر هذه الفئات فى الآتى :

أولاً الأكراد: ويقدر عددهم حاليا ب ١٢٠,٠٠٠ نسمة، وقد هاجروا من جنوب شرق تركيا.وهؤلاء أوائل المهاجرين. وقد جاءوا في زمن الانتداب الفرنسي. وحصلوا على الجنسية اللبنانية. وجاء الآخرون بعد ١٩٦١. وهؤلاء يحملون إذن إقامة وليس جنسية، ويتمركزون فى بيروت وصيدا وطرابلس ووادى البقاع.

ثانياً الفلسطينيون: ويقدر عددهم حالياً بـ ٤٤٠,٠٠٠نسمة. يعيش معظمهم في مخيمات للاجئين بدون جنسية. وهم يحملون فقط وثيقة سفر خاصة للاجئين الفلسطينيين في لبنان.

ثالثا السوريون: ويتجاوز عددهم المليون لاجئ. وقد بدأ في لجوئهم مع الثورة السورية (٢٠١١).ومازالوا يتوافدون حتى الآن. ويعيش معظمهم فى مخيمات للاجئين تديرها الأمم المتحدة.

وتستند المعطيات الحديثة إلى تقديرات غير دقيقة، تكون فى الغالب طبقاً لأهواء مصادرها. إلا أن بعض المصادر الرصينة قدرت النسب المئوية للتركيبة السكانية الطائفية كالتالي: مسلمون سنة ٢٦.٤٤% – مسلمون شيعة ٢٦.٠٦% – دروز ٥.٦٣% – علويون ٠.٧٩% – موارنة ٢٢.١٩% – الروم الأرثوذكس ٧.٨٦% – الروم الكاثوليك ٥.٢% – الأرمن الأرثوزكس ٣.٠١% – بعض الطوائف الصغيرة ٢%. (قدرت النسب بعد استبعاد غير اللبنانيين).

وبالنظر إلى التغيير الذى حدث خلال ٨٠ عاماً، منذ إحصاء ١٩٣٢ وحتى التقديرات الأخيرة، سنجد أنه يتركز فى الزيادة النسبية الهائلة لطائفة الشيعة وارتفاعها من ٥% إل ٣٠% تقريباً، والتى أتت خصما من نسبتي السنة والموارنة.ويرجعها عدد من المؤرخين وعلماء الاجتماع السياسي إلى الثراء الذى أصاب الطائفة من جراء التحويلات المالية الهائلة التى جاءت من الشيعة المهاجرين بكثرة إلى أفريقيا وأمريكا اللاتينية هرباً من الإضطهاد العثمانى، والذين حققوا هناك نجاحات كبيرة، مما مكن قيادات الشيعة من تنظيم الطائفة تنظيماًاجتماعياً محكماً وتنظيما سياسياً نشطاً وفعالاً فى ظل تنامي أجهزة الدولة وسيادة القانون وانتشار قيم حقوق

الإنسان.وقد نتج عن كل ذلك تخلي الشيعة عن التقية، والإعلان عن حقيقة انتمائهم المذهبى، ما أدى إل الإفصاح واقعيا عن كتلتهم الحقيقية.

وقد بدأت تتشكل هذه التركيبة السكانية التى كونت الشعب اللبنانى فيما بعد،اعتبارا من القرن الخامس الميلادي، مع بدايات الدولة البيزنطية في سنة ٣٩٥ حيث تبعتها منطقة لبنان، حتى الفتح الإسلامى سنة ٦٣٦. وخلال الحكم الأموي والعباسي والفاطمي، أصبحت لبنان ملجأ للمضطهدين من كافة أرجاء الإقليم. وفي عام ١٥١٦ سيطرت جيوش السلطان سليم الأول على لبنان وعلى المناطق الجبلية من سوريا وفلسطين. وتبعت هذه المناطق الإمبراطورية العثمانية، وعُهد بإدارتها إلى عائلات محلية ظلت تتصارع مع بعضها البعض ومع العثمانيين فى ظل الاضطرابت والانتفاضات والثورات الفلاحية والطائفية. ففي الشوف بجبل لبنان، كان الفلاحون خليطاً من الدروز والموارنة، أما الإقطاعيون فكانوا من الدروز. وبدأ الفلاحون الموارنة بانتفاضة على الإقطاعيين الدروز، بقيادة لجنة سرية في دير القمر في مايو ١٨٤٥. ولكن الانتفاضة استهدفت أيضا عامة الدروز، ولم تنحصر في الإقطاعيين. فبدأت موجة من المذابح والمذابح المعاكسة بين الطائفتين. ووقف الباب العالي العثماني إلى جانب شيوخ الدروز. وامتدت الانتفاضة إلى شمال لبنان، ضد الطبقة الحاكمة في الشمال. وعمت جميع لبنان. وأخليت العديد من القرى الدرزية والمارونية.ولكن الثورة قمعت قبيل خريف ١٨٤٥. ووضع نظام جديد للحكم بمشاركة القناصل الأجانب وتعيين وكلاء للقائمقام في القرى، بحيث

يمثلون كافة الطوائف بكل قرية. وتم تشكيل مجلس يشارك القائمقام الحكم، وتكون له وظائف قضائية، ويملك الحق في الإشراف على توزيع وجباية الضرائب، ويتكون من عشرة أشخاص، يمثلون الطوائف، بواقع اثنين من كل من المارونيين والدروز والسنة والروم الأرثوذكس والروم الكاثوليك. وكانت هذه بداية التمثيل الطائفى فى مجالس وهيئات الحكم. ورغم وجود هذه المجالس،اجتاحت كافة أرجاء لبنان وأجزاء من ولاية دمشق، خلال سنوات ١٨٥٨-١٨٦٠، موجة من الاضطرابات والانتفاضات الشعبية، ضد الإقطاعيين والحكام،انتهت بمذابح طائفية،اتخذت شكل حرب أهلية بين المسيحيين والمسلمين، بلغ ضحاياها أكثر من ١٢,٠٠٠قتيل. فقامت فرنسا، التى كانت تعتبر الموارنة من رعاياها، بشن حملة عسكرية لإعادة المسيحيين الذين هاجروا قسرا من القرى الدرزية إلى قراهم. وقامت باعتقال عدد من الدروز ونفيهم إلى أماكن خارج لبنان. وبالاتفاق مع السلطنة العثمانية، أقر بروتوكول ١٨٦١، الذي يقضي بتقسيم جبل لبنان إلى قائممقاميتين، واحدة درزية والأخرى مارونية، الأمر الذي سبب مشاكل لصعوبة الفرز، كون الكثير من القرى مختلطة. فأنشأ العثمانيون بالاتفاق مع الدول الأوروبية الكبرى الست، بريطانيا وفرنسا وبروسيا وروسيا والنمسا وإيطاليا، منطقة ذاتية الحكم سميت بمتصرفية جبل لبنان. وفيه اقتصرت حدود لبنان على سلسلة جبال لبنان الغربية وبعض المناطق المجاورة في البقاع. ويقضى نظام المتصرفية بتعيين متصرف مسيحي من رعايا الإمبراطورية العثمانية من خارج لبنان. ويعاونه مجلس المتصرفية، الذي

يتكون من دروز وموارنة. وانتشر الوعي والعلم والثقافة بين اللبنانيين، وذلك لأسباب عديدة منها: انتشار المدارس في جميع القرى والبلدات والمدن، وافتتاح جامعتين كبيرتين ما تزالان من أقدم جامعات الشرق الأوسط وأعرقها، ألا وهي الكليّة السورية الإنجيلية، التي أصبحت الجامعة الأمريكية فى بيروت، وجامعة القديس يوسف. كذلك تميز عهد المتصرفية ببداية الهجرة اللبنانية إلى مصر ودول أوروبا الغربية وأمريكا الشمالية والجنوبية، حيث أصاب عدد من المهاجرين نجاحًا كبيرًا. وقد ساهم كثير من هؤلاء المهاجرين فى إحياء اللغة العربية والأدب العربي بعد جمود استمر سنين طويلة. وساهموا في إذكاء الروح القومية العربية والوعي السياسي لدى العرب، سواء في لبنان أو في دول الجوار.

استمرنظام المتصرفية حتى عام١٩١٨، حيث أعلنت عصبة الأمم فرض الوصاية على البلاد التي انتزعت من الدولة العثمانية، فيما عرف بالانتداب. وكان هدف الانتداب مساعدة الدول على النهوض وتأسيس القوانين لإنشاء دول حديثة. وانتدبت فرنسا للإشراف على منطقة سورية، والتي شملت لبنان. وفى سبتمبر من عام ١٩٢٠ أعلنت فرنسا قيام دولة لبنان الكبير، معلنة بيروت عاصمة لها. وتمثل علم الدولة في دمج علمي فرنسا ولبنان معاً. وسميت باسم لبنان الكبير، بعد أن ضمّت إليها ولايتابيروت مع أقضيتها وتوابعها (صيدا وصور ومرجعيون وطرابلس وعكار)، والبقاع مع أقضيته الأربعة (بعلبك والبقاع وراشيا وحاصبيا).

وهكذا اتسعت مساحته من ٣,٥٠٠ كلم مربع إلى ١٠,٤٥٢ كم مربع. وازداد سكانه من ٤١٤ ألف نسمة إلى ٦٢٨ ألفاً، وبلغ عدد طوائفه ١٨ طائفة رسمية معترفاً بها. وفي ٢٣ مايوعام ١٩٢٦، أقر مجلس الممثلين الدستور الذى كرس المحاصة الطائفية فى سلطات الدولة. وأعلن قيام الجمهورية اللبنانية، التي تعتبر أول جمهورية عربية، كما تعتبر بداية التاريخ الحديث للبنان. وخلال الحرب العالمية الثانية، تمكن الحلفاء في شهريوليوعام ١٩٤١، في حملة عسكرية كبيرة، من طرد قوات المحور من الشام. وفى عام ١٩٤٣ انتزع اللبنانيون حقهم بالاستقلال عن فرنسا، وتم جلاء كل الجيوش الأجنبية في عام ١٩٤٦.وشهد لبنان نزاعًا في ١٩٥٨ كاد أن يتطور إلى حرب أهلية بين المسيحيين والمسلمين ويتحول إلى حرب إقليمية. وقد ترافقت هذه الأحداث مع تغيرات ديموجرافية مؤثرة، اذ أشارت التقديرات الموثوق فيها المتعلقة بالتوزيع الطائفى للسكان إلى تزايد نسبة عدد المسلمين السنة، مقارنة بنسبة عدد الطائفة المارونية. وصارت نسبة المسلمين الكلية أعلى من نسبة المسيحيين الكلية لأول مرة فى لبنان. مما أدى لاختلال التوازن الطائفي الذى فرض هذا الحراك السياسيالمدفوعبتصاعد التيارالقومى العربى بقيادة جمال عبد الناصر.

وتعود مقدمات التوتر إلى عام ١٩٥٦، عندما رفض الرئيس اللبناني كميل شمعون، المسيحي المارونى الموالي للغرب، قطع علاقات لبنان

الدبلوماسية مع الدول الغربية التي هاجمت مصر أيام أزمة السويس والعدوان الثلاثي. وزادت التوترات أكثر عندما انحاز كميل شمعون لحلف بغداد، الخصم اللدود للقومية العربية. فى حين أيد رئيس الوزراء اللبناني السني رشيد كرامي الوحدة بين مصر وسوريا فى الجمهورية العربية المتحدة عند قيامها فى فبراير عام ١٩٥٨، كما كان قد أيد جمال عبد الناصر في حرب ١٩٥٦. وطالب اللبنانيون المسلمون من الحكومة الانضمام للوحدة العربية، بينما أراد المسيحيون التحالف مع الدول الغربية. ووقع تمرد إسلامي مسلح، قال المارونيون أنه حصل على السلاح من الجمهورية العربية المتحدة عن طريق الحدود السورية. مما دفع كميل شمعون لتقديم شكوى لمجلس الأمن بالأمم المتحدة. ولكن محققي الأمم المتحدة أعلنوا فى تقريرهم عن عدم وجود أي دليل على تدخل الجمهورية العربية المتحدة. وفي ١٤ يوليو سقطت الحكومة الموالية للغرب في العراق، مما ألهب مشاعر قوى المعارضة، وأدى إلى رفضها الموافقة على التجديد للرئيس شمعون لمدة رئاسة ثانية. وبدأت المعركة الأساسية التي خاضتها جبهة المعارضة من خلال قدراتها الشعبية والسياسية التي دفعتها للمواجهة المباشرة مع الدولة. فحدثت حالة من عدم الاستقرار. وبدأت الأحداث بدعوة المعارضة للإضراب السلمي، استنكارا لحادثة اغتيال الصحفي اليسارى المعارض نسيب المتني. وأدى تصدي قوات الأمن

للمتظاهرين في طرابلس إلى اشعال فتيل الأزمة. ومع اشتداد العنف ضد المتظاهرين وإشراك الجيش في عملية القمع، وفرض حالة منع التجوال، اشتد الغضب الشعبي في طرابلس، ليمتد إلى كافة مناطق لبنان. وبالتالي أدت إلى فرض حالة من الانقسام الرأسي والأفقي الطائفي في المجتمع اللبناني، بين الموالاة المسيحية والمعارضة المسلمة. وعندها طلب الرئيس كميل شمعون المساعدة من أمريكا. واستجاب الرئيس الأمريكيأيزنهاور لطلب شمعون، فيما سمي بعملية الخفاش الأزرق، في ١٥ يوليو ١٩٥٨. وكان هذا أول تطبيق لمبدأ أيزنهاورالذي يقتضى من أمريكا التدخل في الدول المهددة بالشيوعية. الهدف من العملية كان دعم حكومة كميل شمعون، الموالية للغرب، المهددة من سوريا ومصروالعراق. الخطة كانت احتلال وتأمين مطار بيروت الدولي وميناء بيروت ومداخل المدينة. وقد شارك فيها ١٤,٠٠٠ جندي من الجيش والمارينز. نجح وجود القوات الأميركية في قمع المعارضة، وكذلك نجح هذا الوجود، فى إشعال غضب الجماهير العربية، فى كافة أنحاء العالم العربى، خاصة فى الجمهورية العربية المتحدة والعراق. وطالبت الجماهير الغاضبة عبد الناصر بالتدخل العسكرى. مما أدى لتدويل الأزمة، وتم طرح حلول متعددة، تم التوافق على واحد منها، يقضي بانسحاب القوات الأمريكية، وأن ينهي الرئيس شمعون مدته الدستورية، على ألا يترشح للرئاسة دورة

ثانية. وكذلك أن تتم إقالة الحكومة، وتعيين حكومة ائتلاف وطني. سحبت أمريكا قواتها في ٢٥ أكتوبر ١٩٥٨، وبعث الرئيس ايزنهاور بالدبلوماسي روبرت دي ميرفي للبنان، الذي لعب دوراً مهما في اقناع الرئيس كميل شمعون بالاستقالة، وانتخب قائد الجيش المسيحي المعتدل فؤاد شهاب بدلاً منه بالتوافق مع عبد الناصر. وقد تمخضت الأزمة عن تحقيق تمثيل سياسي أفضل للعرب السنة والدروز، ضمن استمرار حاله من الهدوء، إلى مايقرب من عشرين عاماً.

وفى عام ١٩٧٥ وقعت الحرب الأهلية اللبنانية، التى امتدت من ١٣ أبريل ١٩٧٥ – ١٣ أكتوبر ١٩٩٠. وقد سبقت الأحداث الدامية للحرب، العديد من الإشكاليات التي مهدت لها. ففى عام ١٩٦٩، اقتتل الجيش اللبناني مع المسلحين الفلسطينيين، وانتهى الاقتتال بالاعتراف بحق الفلسطينيين بامتلاك السلاح على الأرض اللبنانية، من خلال اتفاق القاهرة ١٩٦٩. في عام ١٩٧٥، حدثت اضطرابات مختلفة في لبنان، كان أخطرها مظاهرات صيدا التي أدت إلى استشهاد الزعيم معروف سعد. وكذا وقع العديد من المناوشات بين المسيحيين والفلسطينيين في مناطق مخيم تل الزعتر والكحالة. كما قام الفلسطينيون بالعديد من الأعمال الفدائية ضد إسرائيل انطلاقا من لبنان، ما جعل العالم يعتبر لبنان مرتعاً للإرهابيين. الشرارة الحقيقية لبدء الحرب الأهلية اللبنانية كانت في ١٣ أبريل ١٩٧٥ عندما

قام مجهولون بمحاولة اغتيال بيار الجميّل رئيس حزب الكتائب، الذي نجى من المحاولة، ولقى أربعة أشخاص حتفهم في المحاولة. ردت ميليشيات حزب الكتائب على محاولة الاغتيال بكمين نصبه مقاتلوها لأوتوبيس، أدى إلى مقتل ٢٧ فلسطينياً. وسرعان ما اندلعت الاشتباكات بين الميليشيات الفلسطينية والكتائبية. وكانت الأطرافتتقاتل ضمن محاور دينية وسياسية. هذه الأطراف تمثلت في المسيحيين الموارنة، والشيعة، والسنة، والدروز، ومنظمة التحرير الفلسطينية، والإسرائيليين، وكذلك الجيش السوري، وأطراف أخرى متفرقة. في البداية كانت هناك ٣ جبهات رئيسية، هى الجبهة اللبنانية بزعامه كميل شمعون،ومجموعات الحركة الوطنية اللبنانية بقيادة السياسي الدرزي البارز كمال جنبلاط، ، ومنظمة التحرير الفلسطينية، بجميع قواها وأطيافها، وقد تحالفت مع الحركة الوطنية اللبنانية. وبشكل عام لم تكن أطراف الصراع في لبنان متمايزة تماما. وكانت التحالفات تتغير خلال الحرب وفي خضم الأحداث. وأدى الاقتتال الطائفي إلى هجرة جماعية متبادلة للمسلمين والمسيحين. حيث لجأ كل منهم إلى المنطقة الواقعة تحت نفوذ طائفته. وانقسمت بيروت إلى شرقية مسيحية وغربية مسلمة. فى عام ١٩٧٦دخلت القوات السورية لبنان واحتلت طرابلس وسهل البقاع، متفوقة بسهولة على قوات الحركة الوطنية اللبنانية والميليشيات الفلسطينية. في ١٤ مارس ١٩٧٨ غزت القوات

الإسرائيلية جنوب لبنان، وسرعان ما سيطرت على ١٠ ٪ من مساحة البلاد. وأنشأت إسرائيل جيش لبنان الجنوبي بقيادة سعد حداد على طول الحدود. وبقيت إسرائيل مسيطرة على المنطقة الحدودية. في يناير ١٩٨٢ قابل إرييل شارون بشير الجميل على متن سفينة قبالة السواحل اللبنانية. وناقشا خطة تتضمن وصول القوات الإسرائيلية إلى مشارف بيروت، ومحاصرة بيروت الغربية، فيما تقوم ميليشيات القوات اللبنانية باقتحامها، والقضاء على منظمة التحرير الفلسطينية. في ٦ يونيو ١٩٨٢ بدأت إسرائيل غزو لبنان من حدودها الجنوبية. وفي غضون بضعة أيام استولت على مدن الجنوب المهمة مثل صور وصيدا.ودخلت بيروت الشرقية. في هذه الأثناء جاء فيليب حبيب مبعوث الولايات المتحدة في المنطقة ليتفاوض مع إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية لإنهاء الحصار. في ١٢ أغسطس توصل حبيب إلى هدنة يتم أثناءها خروج منظمة التحرير الفلسطينية من لبنان وانسحاب القوات الإسرائيلية، على أن تأتى قوات أمريكية وفرنسية وإيطالية للإشراف على خروج مقاتلي منظمة التحرير وتأمين الحماية للمدنيين العزل من الفلسطينيين. وصلت القوات الفرنسية والأمريكية والإيطالية تباعاً في ٢١، ٢٤ و ٢٦ من أغسطس. في ٣٠ أغسطس أشرفت القوات المتعددة الجنسيات على خروج منظمة التحرير من بيروت، بحراً إلى اليونان، ومن اليونان إلى سوريا وتونس والأردن

والجزائر. واقتحمت القوات اللبنانية مخيمي صبرا وشاتيلا في السادسة مساءً من ١٦ سبتمبر ١٩٨٢. وقتلت ما يقرب من ٣٥٠٠ فلسطيني تحت سمع وبصر الجيش الإسرائيلي. وفيما بين عامي ١٩٨٣ و ١٩٨٤، تم استهداف العديد من المصالح الأمريكية والفرنسية. في تلك الأعوام ظهر حزب الله كقوة شيعية تقاوم الاحتلال الإسرائيلي في الجنوب. وقد انبثق حزب الله من صفوف حركة أمل الشيعية. وتبنّى حزب الله فكر الثورة الإسلامية في إيران. وحصل منذ بداياته على الدعم من حرس الثورة الإيرانية. وتسبب دخول العراق للكويت في دفع المجتمع الدولي للإسراع في إنهاء حرب لبنان. وقد أدت هذه الحرب إلى تدمير كبير لبيروت الشرقية وهجرة كبيرة للسكان المسيحيين.

في أغسطس ١٩٨٩ توصل النواب اللبنانيون في الطائف، بوساطة المملكة العربية السعودية، إلى اتفاق الطائف الذي كان بداية لإنهاء الحرب الأهلية. ولدى عودة النواب اللبنانيين من مدينة الطائف، انتخب رينيه معوّض رئيساً للجمهورية. ولكن ميشال عون رفض الاعتراف بمعوّض،ورفض اتفاق الطائف، وذلك لأن الاتفاق يقضي بانتشار سوري على الأراضي اللبنانية. قُتل رينيه معوّض بعد انتخابه بـ ١٦ يوماً، وخلفه إلياس الهراوي. رفض ميشال عون الاعتراف بإلياس الهراوي أيضا. فتم إقصاء ميشال عون من قصر بعبدا الرئاسي وإعدام المئات من أنصاره في

أكتوبر عام ١٩٩٠ بعملية لبنانية–سورية مشتركة وبمباركة أمريكية. حيث فر ولجأ إلى السفارة الفرنسية.وتوجه بعدها إلى منفاه في باريس. انتهت الحرب اللبنانية الأهلية باقصاء ميشال عون وتمكين حكومة إلياس الهراوي، وبإصدار البرلمان اللبناني في مارس ١٩٩١القانون العفو عن كل الجرائم التي ارتكبت منذ ١٩٧٥. وفي مايو تم حل جميع الميليشات باستثناء حزب الله. وبدأت عملية بناء الجيش اللبناني كجيش وطني غير طائفي. رحب المسلمون بشكل عام باتفاق الطائف وبالاحتلال السوري، واعتبروه يخدم لبنان ومصالحهم وأهدافاً قومية. فيما زاد الاتفاق من هواجس المسيحيين وإحباطهم، وتسبب بارتفاع منسوب الطائفية المجتمعية عندهملعدة أسباب: نزع صلاحيات كثيرة من رئيس الجمهورية الماروني؛ خرق الدستور وقوانين الانتخاب والإعلام والتجنيس وتفصيلها على مقاس حلفاء سورية؛عدم سحب سورية جيشها من لبنان وفق اتفاق الطائف؛ استمرار تقلص أعداد المسيحيين بفعل هجرة أبنائهم وبيع أراضيهم وتجنيس الأجانب وتخويفهم بالتوطين الفلسطيني. كل ذلك أضعف الصوت والتمثيل المسيحى. فقاطع المسيحيون انتخابات العام ١٩٩٢، وشاركوا جزئياً في انتخابات العام ١٩٩٦. وتمخضت الحرب عن تحقيق تمثيل سياسي أفضل للعرب السنة على حساب الطائفة المارونية وخرج الدروز صفر اليدين.وكان الشيعة هم الفائز الإكبر، حيث خرجوا من الحرب مالكين

لمليشيات منظمة ومدربة ومسلحة وممولة على أعلى مستوى، تمكنهم من فرض إرادتهم، على الرياسة والحكومة والجيش وعلى كافة الطوائف. أما الوجود الفلسطنى السياسي، فقد انتهى بالكامل واقتصر على تواجدهم بالتكدس داخل مخيمات ممتلئة بالسلاح وترتع فى داخلها كافة أطياف التنظيمات الإرهابية، مما حدى بكثير من المراقبين لأن يعتبروا هذه المخيمات قنبلة موقوتة يمكنها أن تفجر المنطقة، وليس لبنان فقط، خاصة وأن عدد سكانها صار يقدر بما يقارب المليون نسمة.

وقد اعتبر حافظ الأسد، أن رفيق الحريري رئيس الوزراء ورئيس تيار المستقبل،ووليد جنبلاط زعيم طائفة الدروز،هما رأس المؤامرة ضد نظامه، خاصة بعد مشاركة بعض أعضاء كتلة الحريري للقوى المسيحية المعارضة. فلم تعد المعارضة محصورة بالمسيحيين، بل هي على مستوى لبنان، والحريري هو من يحرّك الأمور.إنّ تكتل "المعارضة اللبنانية" للوجود السوري، بأطيافها الطوائفية، هو الذي أعطى تحرُّكها بُعداً وطنيّاً ودوليّاً كانت الولايات المتحدة وفرنسا تحتاجان إليه لتسويغ تدخُّلهما لمصلحة لبنان، وليس لحساب فئةٍ من اللبنانيين المسيحيّين. كما كان الشريك المسيحي يحتاج إلى الغطاء الإسلامي الرافض للاحتلال السوري لإعطاء تحرُّكه بُعداً وطنيّاً، وإلا اتُهم بالعمالة لإسرائيل، وفق مفردات سورية وأتباعها اللبنانيين. وباغتيال الحريري فى فبراير ٢٠٠٥، تصاعدت

المواجهة بين السنّة وغالبية مسيحية ضد سورية، فاندلعت "ثورة الأرز" التي قابلتها القوى المؤيدة لسورية، وفي مقدمها حزب الله، بتظاهرة حاشدة وفاء لها. فانقسمت البلاد منذ ذلك الحين إلى كتلتين متنافستين، كتلة ٨ آذارالمويدة لسوريا، وتضمكلا منحزباللهوحركةأملوتيارالمردة،إلىجانبمجموعاتثانويةأخرىموالية لسوريا،مثلتيارال توحيدوالحزبالسوريالقوميالاجتماعيورابطةالشغيلة. وكتلة ١٤ آذار وضمت تيار المستقبل بزعامة سعدالدينالحريري،والقواتاللبنانية،وحزبالكتائب، والعديد من القوى الوطنيةحتى قبل خروج الجيش السوري من لبنان في مايو، ولكل منها تحالفاتها الداخلية وارتباطاتها الخارجية. وقد زادت الحرب الإسرائيلية على لبنان في العام ٢٠٠٦ وملابساتها وتداعياتها من الشرخ بين الكتلتين وبين اللبنانيين كذلك، خصوصاً أن حزب الله بدأ منذ ذلك الحين يفرض ظله على الأرض وعلى مؤسسات الدولة، ويسلبها سيادتها على قراراتها. وقبل الحرب بشهور قليلة، عقد ميشال عون تحالفاً مع حزب الله سرعان ما قلب الموازين الداخلية، وأعطى الحزب هوية وطنية، أغلب الظن أنها ليست من صفاته.

تفاقم النزاع السنّي الشيعي. وتخللته اشتباكات في الشوارع في مطلع العام ٢٠٠٧ فى أحداث ضبية وجامعة بيروت العربية. وتوج ذلك بمعارك نهر البارد في صيف ٢٠٠٧، وبأحداث إبريل ٢٠٠٨ على خلفية قرار حكومة

السنيورة نزع شبكة اتصالات حزب الله الهاتفية غير الشرعية. فانتهز الحزب هذه الفرصة الذهبية لينفذ انقلاباً ضد الدولة اللبنانية ويفرض بالتالي هيمنته على البلاد. فادعى أن مؤامرة تحاك ضده من الداخل اللبناني لكشفه أمام العدو الإسرائيلي. واجتاح بيروت بمليشياته،حتى جاء اتفاق الدوحة ٢٠٠٨ الذي تلى "اجتياح بيروت"، وجمع أقطاب الفريقين بمشاركة وضمانات عربية، وأوجد حلاً لانتخاب رئيس للبلاد وتشكيل حكومة وحدة وطنية والاتفاق على قانون انتخابي. كما حدد الاتفاق آلية لبحث قضية السلاح خارج الشرعية (يعني أساسا سلاح حزب الله)، محدداً أسسها، وانطلق هذا الاتفاق من الدوحة،على أن يستكمله رئيس الجمهورية بمشاركة الجامعة العربية. منذ ذلك الوقت تغيرت موازين القوى في لبنان من جديد. ونتيجة لأحداث إبريل، فَقَدَ المحور الأميركي – الفرنسي – السعودي في لبنان والمنطقة فعاليّتَه. وأصبح التعاملُ مع دمشق مفتاح الحلّ والربط في لبنان. ومنذ اغتيال رئيس الوزراء رفيق الحريري في ١٤ فبراير ٢٠٠٥ وانقسام اللبنانيين إلى فريقى٨ و١٤ آذار، تأججت الطائفية المجتمعية. وزاد تهميش القيادات المسيحية الرئيسية. وصعد حزب الله سياسياً وعسكرياً. هذه الطائفية المجتمعيةلم تنحصر في المجال السياسي فحسب، لكنها تنتشر في الأندية الكشفية والرياضية الطائفية والمذهبية، وفي وسائل الإعلام والنقابات والأحزاب والرابطات والاتحادات الطلابية،

وفيوالتربية الطائفية للتلاميذ. وأصبحت لبنان تعيش حالة من الصراع السياسي الطائفي، تسيطر عليه أجواء من العنف تدفع به نحو تشكيل مليشيات طائفية واغتيالات واشتباكات مسلحة، والاشتراك فى حروب إقليمية، قاربت على أن تنتقل إلى داخل لبنان.

إن التشابك بين نزاعات الداخل اللبناني وتدخُّلات الخارج، نتجت عن تطلع الطوائف اللبنانية إلى خارج حدود بلدهم، فانفتحت على الخارج منذالخمسينيات بشكل كبير طلباً للحماية أو المساعدة: مسلمون سنة يلجأون إلى محيطهم العربي الإسلامي السني، وإلى المقاومة الفلسطينية، ومؤخراً إلى التنظيمات الإرهابية، لقلب التوازن لصالحهم، ومسيحيون يلتفتون نحو الغرب وإلى سورية وإسرائيل، للحفاظ على إنجازاتهم وحضورهم السياسي، وشيعة يلجأون إلى إيران وسوريا، لتأكيد تفوقهم الميدانى. فاختلال التوازن بين المسلمين والمسيحيين كان سبباً لاندلاع أحداث ١٩٥٨، ولكن العامل الخارجي، الأمريكي والناصري، أديا إلى استمرار الخلل. واختلال التوازن والتفاوت الاجتماعي بين المسلمين والمسيحيين كان سبباً لاندلاع الحرب الأهلية في عام ١٩٧٥. ولكن التوافقات الناتجة عن اتفاق الطائف لم تنقل لبنان فى المرحلة التى تلته إلى مَصافّ الدول الحديثة، وذلك في ظِلّ تكريس العامل الخارجي الإيرانى والسوري والإسرائيلي. إن استمرار النظام الطائفي السياسي والطائفية

المجتمعية، واختلال التوازن فى القدرة على الفعل بين السنة والطوائف الأخرى، وبين الشيعة بعد وجود حزب الله المدعوم من سوريا وقطر وايران، كان سبباً فى حدوث أزمة ٢٠٠٨. ولكن العامل الخارجى: السعودي والإيرانى السوري القطري، أنهى مظاهر الأزمة حينها، ولكنه فى حقيقة الأمر كرس هذا الخلل، وأكد سيطرة حزب الله. لقد أكدت هذه الأحداث بروز دور العامل الخارجي، مستنداً بالطبع إلىالعناصر الداخلية. ولم يعد هناك خيار قابل للتطبيق كحلٍّ لأزمات لبنان، فالديمقراطيةِ التوافقيةِ وصلت إلى طريقٍ مسدود، وخيار السنة لديمقراطية الأكثرية غير مقبول من الطوائف الأخرى، والفيدرالية التى يطالب بها المسيحيون غير مقبولة من أطراف وقوى فاعلة متعددة.

إن المرء لتنتابه الحيرة عندما يتفحص التاريخ السياسي للبنان، فيجد أن هذه الطوائف التى استوطنته هروباً من الإضطهاد فى أوطانها الأصلية فشلت فى أن تبني نظاماً سياسياً يمكنها من العيش معاً فى سلام. وقد تكرس هذا الفشل وتقنن، عندما تدخلت الأطراف الإقليمية والعالمية لتبني دولة يحكم نظامها السياسي المحاصة السياسية فى وثيقة، ظناً منها أنها تحمى الطوائف التى تساندها بمثل هذا النظام. وعلى عكس غالبيةمجتمعات العالم، التى أدى الصراع السياسي والإجتماعي داخلها إلى النمو والتطور، نجد الصراع فى المجتمع اللبنانى يسير بشكل حلزوني

ويصيب الدولة بالشلل. إن المرء ليصيبة الأسى لهذا الشعب الذى يشع حيوية وتألقاً أفادا وساهما فى تطور الكثير من شعوب الإقليم والعالم.

المراجع

http://www.aramaic-dem.org/Walid_Phares/Pluralism/6.htm القبائل العربية التى استوطنت لبنان

http://syriacstudies.com/AFSS/drasat_sryanyt_3/Entries/2007/10/9_-_ الطائفة المارونية

http://www.yabeyrouth.com/pages/index184.htm الجامعة الأمريكية ببيروت

http://anbaaonline.com/?p=207105 أحداث ١٩٥٨

http://www.moqatel.com/openshare/Behoth/Siasia21/HarbLebnan/sec09.doc_cvt.htm مقدمات الحرب الأهلية.

http://www.yabeyrouth.com/pages/index1480.htm الحرب الأهلية.

http://www.reefnet.gov.sy/booksproject/fikr/2/18itifaq.pdf نص اتفاقية الطائف ١٩٨٩

http://claudeabouchacra.wordpress.com/201

4/02/03/التعايش المأزوم فى لبنان من الميثاق الوطنى حتى اتفاق الدوحة.

جمهورية السودان

جمهورية السودان دولة تقع في شمال شرق أفريقيا، بين خطي ٤ و ٢٢ شمال خط الاستواء، وخطي الطول ٢٢ و ٣٨. يحدها من الشرق إثيوبيا وإريتريا والبحر الأحمر، ويمتد طول الحدود البحرية إلى حوالي ٦٧٠ كم، ومن الشمال مصر وليبيا، ومن الغرب تشاد وجمهورية أفريقيا الوسطى، ومن الجنوب دولة جنوب السودان. يقسم نهر النيل أراض السودان إلى شطرين، شرقي وغربي. وتقع العاصمة الخرطوم عند ملتقى النيلين الأزرق والأبيض، رافدي النيل الرئيسيين. وتبلغ مساحتها ١,٨٨٧,٠٠٠كم مربع، ويبلغ عدد سكانها فى إحصاء ٢٠٠٨(وهو الإحصاء الذى سنعتمد عليه) نحو ٣١مليون نسمة. ويتكون السودان من مجموعات من القبائل العربية والأفريقية والنوبية والبجا،وهي تمثل ٦٠٠ عرق وقبيلة مختلفة. اللغة الرسمية والرئيسية هي اللغة العربية، بالإضافة إلى بعض اللغات المحلية، التي تصل إلى أكثر من ٣٠٠ لغة ولهجة.وحتى منتصف القرن التاسع عشر، كان تعبير(السودان) يطلق على كل الأقاليم الجغرافية التي تقع جنوب مصر، حيث كان المؤرخون العرب قد ترجموا اللفظ الإغريقي إثيوبيا(ويعنى "ذوو البشرة المحروقة")، إلى لفظ (بلاد السودان). وتحت اسم السودان، جمعوا كافة الشعوب القاطنة جنوب الصحراء الكبرى. فقد شمل منطقة الساحل الأفريقي حتى الصومال، بالإضافة إلى تلك المنطقة التى كانت تعرف إبان حقبة الاستعمار الغربي لأفريقيا بالسودان الفرنسي، وتشمل حاليا كلاً من تشاد والنيجر ومالي. وكانت هذه الأخيرة تعرف باسم

الجمهورية السودانية، حتى تغير عام ١٩٦٠ بعد الإستقلال إلى اسم مالي. وقد بدأت تتحدد أسماء وحدود للمناطق تباعاً خلال القرنين التاسع عشر والعشرين.

تداخل تاريخ شمال وسط السودان القديم، مع تاريخ مصر الفرعونية على مدى فترات طويلة منذ الدولة القديمة. فالمنطقة من حوض نهر النيل التي تعرف بالنوبة والواقعة في الحدود الحالية للسودان وأجزاء منها تقع في مصر كانت موطن ثلاث ممالك كوشية حكمت في الماضي، آخرها مروي (٣٠٠ق.م. – ٣٠٠م). كل من هذه الممالك تأثرت ثقافياًواقتصادياًوسياسياً وعسكرياً بالحضارة المصرية الفرعونية الواقعة في الشمال. كما أن هذه الممالك الكوشية تنافست بقوة مع تلك التي في مصر، وذلك لدرجة انه خلال الفترة المتأخرة من تاريخ مصر القديمة، سيطر ملوك كوش ونبتة على مصر الموحدة ذاتها، وحكموا كفراعنة في الأسرة الخامسة والعشرين. وتم تعريف مملكة كوش، بواسطة اليونسكو، علىأنها كانت قوة عظمى بين القرنين الثامن والرابع قبل الميلاد، امتدت إمبراطوريتها الشاسعة من سواحل البحر الأبيض المتوسط إلي أعماق أفريقيا، جاعلة من مناطق نفوذهاساحة تبادل للفنون والهندسة واللغات والأديان. وحكمت مصر لقرن ونيف. وتركت آثاراً هائلة من الإهرامات والمعابد والمنشآت الكبرى التي تم ربطها بشبكات المياه.

إن الأقاليم التى تشكل دولة السودان الحالية، لم يضمها أى كيان سياسي واحد على مرالتاريخ حتى أقام فيها محمد علي حكماً شمل معظم أقاليمها،

ولكنه لم يستمر طويلاً. ودولة السودان بحدودها الحالية تتكون فى حقيقة الأمر من أربعة أقاليم كبرى، تشكل مجتمعات متباينة، مستقلة من ناحية الخصائص السكانية والتاريخية والجغرافية. وعدد من الأقاليم قليلة السكان، مثل شمال غرب السودان التى تشملها الولاية الشمالية،وهي أكبر ولايات السودان من حيث المساحة، إذ تبلغ ٣٤٨,٧٦٥ كم مربع،تغلب عليها البيئة الصحراوية. وتعتبرأقل ولاية من حيثالكثافة السكانية، إذ يقدر عدد سكانها بحوالي ٦٦٧ ألف نسمة. وتعتبر الولاية الشمالية نموذجاً للتعايش السلمي بين مكونات المجتمع السوداني المختلفة، من عرب ومسيحييونوبة وفلاليح ونيليين. ولكى نتمكن من تناول تاريخ وأحوال وطبيعة الدولة وكيفية تكوينهالكيان سياسي واحد يضمها تحت اسم جمهورية السودان، سنضطر إلى تناول أوضاع كل إقليم على حده على الوجه التالى:

أولا: إقليم شرق السودان (قبائل البجه)

البجة إسم يطلق على الشعب الذي يسكن ما بين ساحل البحر الأحمر ونهر النيل في السودان، من شلاتين وحلايب شمالاً، وحتى إريتريا وباضع جنوباً (مصوع حالياً)، ومن ثم امتداد نهر عطبرة، فيجنوب شرق السودان. وعاصمة الأقليم هجر. وقد تم إنشاء عدة مدن أثناء الحكم الثنائي البريطانى المصرى، منها بورسودان (بورت سودان) التي أنشئت عام ١٩٠٩ فى منتصف الساحل الشمالي على بعد ٦٧٥كم من الخرطوم. وشعب البجة من أقدم الشعوب الأفريقية. وتتكون مجموعاتهم من قبائل كبيرة، منأبرزها قبيلتي بني عامر والهدندوة.وتتكون كل منهما من عشائر

وأفخاذ متشعبة يطول شرحها. وقبائل البجة عموماً ذات عادات وتقاليد متقاربة. وهم يشعرون بأنهم مجموعة متباينة عن جيرانها، باعتبار نمط المعيشة واللغة واللباس المتشابه، وأساليب الغناء والرقص المتقارب، ووجود تزاوج كثير وتداخل كبير بين قبائلهم. ويتحدثون البجاوية، وهى لغة كوشية قديمة، لا تعرف لها حروف مكتوبة. وهى قبائل غالبيتها من الرعاة الرحل الذين يركبون الإبل، والجمال كثيرة عندهم. وهم يتبعون الكلأ. وحيثما يكون يتنقلون للرعي. وللبجة في تجوالهم للرعي ثلاث رحلات، رحلة الخريف لمنطقة جنوب خور عرب وشرق نهر عطبرة وحول القاش ومداخل أريتريا واثيوبيا. وفي الشتاء يتجه الرعاة إلي ساحل البحر الأحمر، حيث موسم الأمطار، وفي الصيف يتجهون إلي أعالي الجبال وبطون الأودية في وسط منطقتهم،حيث يكون الجو معتدلاً، وحيث تثمر الأشجار وتخضر، وتتوافر المياه في الآبار. وهي المنطقة التي يستمر استقرارهم فيها أكثر من أي منطقة أخري خلال تجوالهم، وتسمي دامر. ويعتز البجا كثيرا بالرعي، ويحتقرون أي مهنة أخري.

ويذكر المؤرخون أنه فى عصور مختلفة، كانت تنشب بينهم نزاعات دائمة وحروب تدوم سنوات طويلة بسبب بئر ماء أو مرعى، الأمر الذي ترك احتقاناً وثارات في علاقاتهم البينية. هذا الوضع المتوتر أضعفهم لفترات طويلة. ولكن ازداد تقاربهم جيلاً بعد جيل. ويبدو واضحاً اليوم أنه لا توجد بينهم أي حروب تذكر. ومازالت قبائلهم تحكم وفق نظام الإدارة

العشائري. وهذه القبائل لها نظارات، أي أن شيخ القبيلة له منصب يعرف بالناظر.

وقد قامت فى أراضى البجة ممالك كبيرة فى أزمنة متعاقبة، منها مملكة ماكانا المعاصرة للفراعنة بمصر. ومن ممالك البجة القديمة مملكة نقيس وعاصمتها هجر، ومملكة بقلين، ومملكة بازين، ومملكة جارين، ومملكة قطعة.وهى ممالك متعاقبة، وأحياناً متزامنة، على أجزاء من الأقليم. وقد جاء ذكرهم كثيراً في آثار المصريين القدماء، كما توجد فى أماكن عدة من أراضيهم آثار فرعونية. وقامت حروب متعددة مع الفراعنة لإبعادهم عن أراضيهم. حيث كان الفراعنة يأتون لاستخراج الذهب من بلاد البجا. كما كانت قبائل البجة تغيرعلى مملكتي النوبة المجاورتين لها من ناحية الغرب. وأغاروا على مملكة الحبشة القديمة، وأسقطوا عاصمتها أكسوم، وحكموها في القرن الثامن الميلادي. وتشكل أراضى البجة حاليا ثلاث ولايات، هى البحر الأحمر والقضاريف وكسلا، ضمن عدد١٦ ولاية تتشكل منها جمهورية السودان حاليا. ويبلغ عدد سكانها نحو أربعة ملايين نسمة، أى حوالى ١٣% من إجمالى عدد سكان الجمهورية. وقد تكون تنظيم جبهة شرق السودان في عام ٢٠٠٥ من تحالف مشترك بين مؤتمر البجا وتنظيم الأسود الحرة، اللذين كانا يقاتلان من أجل الحصول على حكم ذاتي لأهل شرق السودان. وقد توصلت الجبهة عام ٢٠٠٧ إلى اتفاق سلام مع الحكومة، ظل يتعثر تطبيقه وتفعيل بنوده، مما دفع كثيراً من قادة الجبهة الحاليين إلى المناداة بالعودة إلى حمل السلاح. وورد فى تقرير للصحفى

السودانى بكر الصايغ عن أحوالها اليوم: " البجه شعب يتعرض للمحو والانتهاك لكامل حقوقه. ويعتبر التهميش والإهمال وعدم التنمية جزء ضئيل جداً مقابل ما يعانونه. ومخطئ من يقول إنهم يعانون من التهميش، فالتهميش لغوياً يعنى الوضع هامشاً أو التجاهل. ولو كان البجا يتعرضون لتجاهل وإهمال فقط، لكان حالهم الآن أفضل مماهم عليه بكثير. لأن الإنسان يمكنه أن ينمو بقدراته الذاتية، حتى وإن تم تجاهله، ولكن البجا يعانون مما أسميه التهشيم، وهو التكسير المتعمد لكل البنية البجاوية (المجتمعية، الجغرافية، الحضارية والثقافية، الاقتصادية)، وذلك من خلال الخطط العميقة لهتك نسيجهم الاجتماعي، وتشتيت وتقسيم جغرافيتهم، وتحوير وانتهاك ثقافتهم، وطمس تاريخهم، والعمل على إفقارهم،من خلال اغتيال الميزان الاقتصادي بالإقليم، وتجريف بيئتهم الإنتاجية والاقتصادية بتوطين برامج مخالفة لذلك، مما يسهم فى إفقارهم واستيراد آخرين، مما يسهم فى تغييرات ديموغرافية، يحاولون عبرها تفكيك القبضة البجاوية على الإقليم، بالتجويع والإفقار والتقتيل المباشر وغير المباشر".

ثانيا : وسط و شمال السودان (السودان العربي – السودان النيلي)

وقد مر هذا الاقليم بمرحلتين تاريخيتين فاصلتين. فقد شهد خلال القرون السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر تحولات جذرية ديموجرافية

وسياسية أدت إلى انقراض سكانه الأصليين على النحو الذى سنبينه فيما يلى:

المرحلة الأولى: منذ ٣٠٠٠ قبل الميلاد حتى القرن الخامس عشر الميلادي

يمتد هذا الإقليم من الحدود المصرية شمالاً حتى الأراضي الأثيوبية جنوباً. وتقطنه قبائل النوبة النيلية، حيث يتوسطه نهر النيل برافديه الأزرق والأبيض، وأراضي الجزيرة، وجزء من نهر عطبرة. وكان يسمى ببلاد كوش. وكان يحكم معظم أجزائه حكام مصريون، منذ الأسرة الثانية الفرعونية حتى القرن الثامن قبل الميلاد. وتاريخه هو تاريخ الأسرات الفرعونية. وقامت فيه منذ القرن الثامن قبل الميلاد حتى القرن الخامس الميلادي ممالك نوبية كبيرة ومزدهرة، تعتبر امتداداً للحضارة الفرعونية، كان آخرها مملكة مروي. وتاريخ تلك الفترة نجدها فى الكتابات التى تركها النوبيون على جدران معابدهم والآثار والأهرامات التى شيدوها على ضفتى النيل، ما بين وادى حلفا شمالاً وسنار فى الجنوب. بعد نهاية دولة مروي فى القرن الخامس، قامت ثلاث ممالك نوبية. في الشمال مملكة نوباتيا (بالإغريقية: Νοβαδία، وتنطق نوباديا). وتسمى في الكتابات التاريخية العربية بمملكة المريس. وهي مملكة نوبية إفريقية مسيحية. قامت في منطقة النوبة السفلى. ثم صارت لاحقًا جزءًا من مملكة نوبية أكبر هي مملكة المقرة، وهى مملكة امتدت حدودها الشمالية من الشلال الأول جنوب أسوان، وتنتهي حدودها الجنوبية بالقرب من كبوشية جنوب مروي

القديمة، وعاصمتها "دنقلا العجوز". ثم مملكة علوة، وعاصمتها سوبا، التي تقع بالقرب من الخرطوم الحالية. وصلت ممالك النوبة إلى قوة مجدها في القرن العاشر الميلادي. ولما انهزم "كودنيس"، آخر ملك علي مملكة دنقلا عام ١٣٢٣، انتهت دولة المقرة المسيحية. ولم تبق سوى مملكة علوة، التي سقطت عام ١٥٠٤. وقد تناولت بعض المصادر العربية وصف مملكة المقرة وسكانها بصورة عامة. وبيّنوا بعض ثرواتها من الإبل والبقر والغنم والخيل، وما عندهم من نبات، مثل الحنطة والشعير والذرة والنخل والكروم. كما ورد فى كتاباتهم أن كل المنطقة الواقعة على طول النيل بين أسوان ودنقلة عمائر متصلة. وكانوا أصحاب أوثان (آثار). ولاحظوا أن النوبة بلاد واسعة عريضة في جنوبي مصر، وأنهم نصارى أهل شدة في العيش. وحظيت مدينة دنقلة، عاصمة مملكة مقرة، بالقدر الأكبر من المادة التي وردت في المصادر العربية عن مدن مملكة مقرة.وتبدو من كتاباتهم أن دنقلة مدينة كبيرة، ذات تخطيط منتظم، بها كنائس متعددة، وبها شوارع واسعة ومنازل كبيرة. والقصر الملكي مشيد بالطوب الأحمر وذو مباني عالية،يزينه عدد من القباب.

فى عام ١٢٧٦، في عهد أول سلاطين دولة المماليك بمصر، الظاهر بيبرس، تم إرسال حملة للقضاء على مملكة النوبة (دنقلا) المسيحية. وقام المماليك بغزوها، وعزل ملكها، وتنصيب ابن عمه شكاندا ملكاً. وأقاموا حامية مصرية. وبعد سلسلة انقلابات،أخلى المماليك الحامية المصرية من دنقلا فى عام ١٢٨٦. ثم عادوا إلى غزو النوبة فى ١٣١٢. ونصَّبوا على

دنقلة ملكاً مسلماً يسمى سيف الدين عبدالله بارشمبو. وقد بدأ الملك الإسلامى الجديد بأسلمة النوبة بطريقة رسمية ومنظمة. وفى عام ١٣١٧ قام بتحويل الكاتدرائية المسيحية بدنقلا إلى مسجد إسلامى. وقد أدى هذا القرار الملكيإلى تذمر بين أفراد العائلة المالكة وعامة الناس، إلا أن هجمات القبائل البدوية العربية على أراضي المملكة واستيطانها حولها إلى مملكة إسلامية في عقود قليلة.واتجهوا بعد ذلك جنوباً، حتى جاوروا مملكة علوة التي كانت تدين بالمسيحية أيضاً.

منذ ذلك الحين أصبحت أخبار بلاد النوبة السفلى لاتشمل سوى صراعات قبلية بين العناصر النوبية الأصلية والعناصر الدخيلة وجنود العثمانيين الذين ورثوا نفوذ المماليك. وكانوا يعتمدون على السلطة العثمانية، لكونهم جباة الضرائب من النوبة لحساب السلطان العثماني. وقد كانوا يستخدمون القسوة والعنف مع الأهالى في هذاالشأن.

المرحلة الثانية: منذ القرن السادس عشر

تحالف العرب الذين استوطنوا النوبة السفلى بقيادة عبد الله جماع مع الفونج (وهى قبائل تستوطن جنوب غرب النيل الأزرق)،وهاجموا علوة. وكان الخراب الذي تم في عاصمتها، سوبا، علي يد قوات عبد الله جماع وعمارة دنقس كبيراً لدرجة أنه أصبح مضربا للأمثال، حيث كان يقال "مثل خراب سوبا".يعتبر سقوط سوبا في عام ١٥٠٤معلى يد تحالف العرب بقيادة عبد الله جماع، والفونج بقيادة عمارة دنقس، نقطة فاصلة في تاريخ

السودان الحديث. انسحب النوبيون بعد هزيمتهم إلى قري شمال الخرطوم، وكان بها حصن. ولفظت فيه دولة علوة المسيحية وعاصمتها سوبا آخر أنفاسها. وسقطت نهائيا. ولاشك فيأن هذه الأحداث جاءت تعبيراً عن نشوء تشكيلة اقتصادية اجتماعية كانت تتخلق في أحشاء النظام القديم. وكان لابد من التعبير عنها سياسياً في نظام معين. وهذا النظام عبر عن التحولات الجديدة التي نشأت بعد انتشار الإسلام والقبائل العربية التي سيطرت علي المراعي الخصبة في أقصى شمال السودان. وكان لابد لهذه القبائل أن تتجه لأواسط السودان وتتركز هناك،نظراً لاتساع المراعي، علي عكس الشمالالذي كانت الأراضي الزراعية فيه تتركز علي شريط النيل،إضافة لطبيعة المنطقة الجبلية والصحراوية. وهذا ربما يفسر لنا انتقال حضارة مروي إلى الجنوب الذي كانأكثر خصوبة واتساعاً من المنطقة الشمالية. كما يفسر لنا لماذا كان وسط السودان(سنار وقري الحلفايا) مركزالدولة الفونج والعبدلاب. ولاشك أن تلك القبائل الرعوية كانت متخلفة حضارياً عن شعوب النوبة الزراعية التي كانت تقطن علي ضفاف النيل، والتي كانت أكثر تحضراً في ميادين الانتاج الحضاري والمادي والسياسي، أي أنها كانت تمثل شعوباً مستقرة. وبالتالي فإن نظام الحكم الذي كان سائداً في ممالك النوبة كان يعبر عن ذلك الاستقرار: نظام حكم مركزي، وجهاز دولة منضبط وقوي، وشعوب منظمة.

كان الاتحاد الفونجي- العبدلابي، تعبيراً عن واقع اقتصادي واجتماعي وديني جديد، نشأ بعد انتشار الإسلام، وبالتالي لم يكن غريباً أن يبرز

ويقضي علي مملكة سوبا التي أصبحت عقبة في حياة هذه القبائلالتي، بحكم طبيعتها، ترفض حياة الاستقرار. كانت مملكة الفونج أبعد ماتكون عن الحكومة المركزية. فليست هناك مؤسسات إدارية متماثلة تنتشر في سائر أنحاء المملكة عدا التنظيم القبلي. وكان السلاطين يتدخلون في الشئون الداخلية وفي تعيين شيخ أو زعيم،أو ما يعرف بالمك(وجمعها مكوك) مكان الزعيم المتوفي، ولكن من أسرته الحاكمة. وربما رفضت المشيخات تسديد ماعليها من ضرائب أو الامتثال لاختيار السلطان، ومن ثم فإن قوة جيشه الرادعة كانت صمام الأمان لكثير من حالات التمرد والفيصل فيها. ومع وجود هذا التنظيم الإداري الفضفاض، الذي يكفل قدراً كبيراً من الاستقلال في الشئون الداخلية، فإن سعة رقعة وتباين شعوبها والمنافسة الكامنة بين الفونج والعبدلاب أدت إلى الكثير من التوترات والتناقضات.

ولما كانت هذه القبائل الرعوية غير ذات خبرة بالزراعة، فقد وظفت خبرات النوبيين المواطنين الأصليين. واستوعبت القبائل العربية القيم المادية في حضارة النوبة وكّيفتها تبعاً لظروفها وثقافتها. وبالطبع تركت حضارة النوبة المادية بصماتها على التكوين السياسي الجديد وعلى التشكيلة الاقتصادية- الاجتماعية التي نشأت بعد سيطرة القبائل العربية وانتشار الاسلام. وهذا الواقع الجديد، كان له انعكاساته في الاتحاد الفونجي- العبدلابي. فقد بدأت أول سلطنة عربية إسلامية في السودان. وتسمت بسلطنة سنار. وكان سلطانها هو قائد الفونج في معاركهم،وهو

عمارة دونقس.وكان قائد العرب عبد الله جماع وزيراً له. وتم الاتفاق على أن يكون السلاطين من الفونج والوزراء من العرب. وقد شمل حكمهم أراضي مملكتي المقرة وعلوة النوبيتين المسيحيتين غرب النيل والنيل الأزرق بعد استيلاء مملكة الفونج على أراضي مملكة المقرة القديمة، كما شملت فى فترات متقطعة إقليم كردفان. وهكذا تكونت مملكة الفونج الإسلامية الكبرى. وانتشر وتسيد فيها العنصر العربي.وقد قامت بعد ذلك مشيخات إسلامية عديدة فى الأقليم منها :

١- مشيخة العبدلاب الذين تحالفوا في أول الأمر مع الفونج.
٢- مجموعة الجعليين.
٣- مجموعة الشايقية.
٤- مجموعة الركابية.

وتحولت المنطقة بأكملها فى خلال ثلاثة قرون من مجتمعات نوبية منحدرة من الحضارة الفرعونية وتدين بالمسيحية إلى مجتمعات عربية من أصول بدوية رعوية تدين بالإسلام، لايوجد بها أثر للنوبيين ولا للمسيحيين.

وهكذا ظلت بلاد النوبة علي هذا الحال إلىأن جاء محمد علي باشا وشرع في عام ١٨٢١مفي فتح بلاد النوبة التي أطلق عليها في السجلات"بلاد السودان". ويشكل هذا الإقليم الآن، بما شمله من أراضي الشمال وممالك النوبة وبعض أراضى كردفان، مايمكن أن نسميه السودان العربى الذى فرض نفوذه وسطوته على باقى أقاليم السودان. ويشكل حالياً خمس ولايات

هي: الشمالية والخرطوم والجزيرة ونهر النيل وسنار، ويبلغ عدد سكانها حوالي ١٤مليون نسمة.

ثالثا: إقليم جنوب وسط السودان (جبال النوبةوالنيل الأزرق وكردفان)

يقع الإقليم جنوب وسط السودان. ويتكون من ولايتي كردفان الغربية والجنوبية، وولايتي النيل الأزرق والأبيض. وتبلغ مساحته نحو ٣٧٦,٠٠٠كم مربع.تحده أم درمان والجزيرة من الناحية الشرقية. وتمتد مساحاته الواسعة المتنوعة بالتضاريس الجغرافية المختلفة من رمال وصحارى وسهول وجبال وقيزان إلى إقليم دارفور من الناحية الغربية. كما يحده الإقليم الشمالي من الشمال. ويحده من الناحية الجنوبية مناطق السافانا الغنية المشتركة مع دولة جنوب السودان. وتقع فى جنوبه الشرقى جبال النوبة التى تتميز بخصوبتها. ويقدر عدد سكانه بنحو ٥ ملايين نسمة. وقد تداول حكم مناطق الإقليم سلاطين الفونج وسلاطين دارفور، إلى أن احتلتها القوات البريطانية المصرية عام ١٨٩٨، وألحقتها بالسودان المصرى. ويضم غرب وجنوب الإقليم بعض قبائل المسيرية العربية –زرق وحمر– وقبائل النوبة بتقسيمات وبطون مختلفة يسكنون منطقة جبال النوبة، بولاية جنوب كردفان، وكذلك بعض القبائل الرعوية الأفريقية. كما يشمل منطقة أبييالمتنازع عليها بين جنوب وشمال السودان. ويطلق عليه اسم مناطق التماس بين الجنوب والشمال لتأثره بالحرب الأهلية التي كانت دائرة بين الطرفين. ويقوم حالياً بجبال النوبة تحالف تم تكوينه بدعم من

الحركة الشعبية لتحرير السودان، قطاع الشمال(التى تخوض حربا ضد حكومة الخرطوم مطالبة بالحكم الذاتى للإقليم). وفى تقرير يتناول أحوالها للصحفى السودانى بكر الصايغ جاء عنها مايلي: "ولاية النيل الأزرق من ولايات السودان التي تذكرني بالمعتقلات النازية التي أقامها هتلر لتعذيب معارضيه وحرق اليهود والغجر في أفران الغاز. النظام في الخرطوم ومنذ أكثر من أربعة أعوام يطبق سياسة الابادة بالتجويع المتعمد مع سبق الاصرار حتي الموت علي سكان ولاية النيل الأزرق الابرياء. يجوعهم ويمنع عنهم الغذاء والدواء. ويحاصرهم بقواته المسلحة التي تمنع دخول قوافل الإغاثة الدولية للمناطق المحاصرة . إن مايجري في ولاية النيل الأزرق لايختلف كثيراً عن معسكرات النازية. لقد خرجت للعالم أخبار وصور وأفلام عن هذه الانتهاكات المريعة. ووصلت مأساة السكان للأمم المتحدة. وأدانها الامين العام. وشجبت فى كل دول العالم، ماعدا العالم العربي! إنها منطقة جغرافية سودانية خرجت تماماً من خارطة وذاكرة السودان!".

كماجاء فى مؤتمر صحفي عقدته الأمم المتحدة فى الخرطوم،ونشرت وقائعه شبكة سكاى نيوز فى ٢٠١٣/٦/٢٠،ما يلي:"حذرت الأمم المتحدة، الخميس من استمرار عمليات القتال في ولايتي جنوب كردفان والنيل والأرزق وسط السودانوتجدد المواجهات القبلية". وأدان بدرين، ممثل الأمم المتحدةتشريد الجبهة الثورية للمدنيين في منطقة أبو كرشولة بجنوب كردفان. كمادعا الطرفين (الحكومة السودانية والجبهةالثورية)إلى انتهاج

الحوار، وفتح الطرق أمام وصول المساعدات الإنسانية إلى المناطق التي تسيطر عليها الحركة الشعبية، قطاع الشمال في جنوب كردفان والنيل الأزرق. وفى تقرير لشبكة سكاى نيوز عن نتائج آخر مفاوضات جارية بين الحكومة والحركة بثته فى ٢٠١٤/٥/١، جاء ما يلي: "فشل وفدا الحكومة السودانية والحركة الشعبية قطاع الشمال في التوصل لأي اتفاق في مفاوضاتهما التي استضافتها العاصمة الإثيوبية أديس أبابا منذ الثلاثاء الماضي، والرامية لإيجاد حل للنزاع في ولايتي النيل الأزرق وجنوب كردفان، وإيقاف القتال فيهما، الذي استمر لثلاث سنوات. وكانت الوساطة الأفريقية قد عقدت اجتماعاً مطولاً مع وفدي التفاوض للاستماع لموقف الحركة الأخير بشأن مسودة الاتفاق الطارئ المعدلة التي وافق عليها الوفد الحكومي، مضيفاً أن وفد الحركة لم يوافق على كل ما جاء في المسودة. وبدت الحكومة السودانية متمسكة بموقفها الداعي لعدم السماح بوصول المساعدات الإنسانية للمنطقتين من خارج البلاد. فيما أعلنت الحركة الشعبية قطاع الشمال استعدادها للوقف الفوري للأعمال العدائية والمشاركة في الحوار القومي الدستوري، شريطة إيقاف الحرب، وإشراك كافة القوى السياسية ومنظمات المجتمع المدني في الحوار. واتهمت الحركة في بيان لها الحزب الحاكم بعدم الرغبة في التوصل لاتفاق يحل أزمات البلاد. واستمرت الحرب على حالها إلى وقتنا هذا".

رابعا: إقليم دارفور (غرب السودان)

تبلغ مساحة إقليم دارفوربولاياته الأربع حوالي ٥٠٠,٠٠٠ كم مربعاً. وهو يحتل ربع مساحة السودانتقريباً. ويتشكل الإقليم حالياً من أربع ولايات، هي شمال وجنوب وغرب ووسط دارفور. ويبلغ عدد سكانه حسب إحصاء ٢٠٠٨، ٧.٥مليون نسمة، ينتمون إلى عدة قبائل ذات أصول عربية وأفريقية. أول ظهور لتاريخ دارفور جاء مع مملكة الداجو، منذ القرن الثانى عشر. وقد اقتصرحكمهم على الجزء الجنوبي الشرقي من دارفور. إلى أن تكونت سلطنة الفور، وحكمت الإقليم بالكامل، حكماً مستقلاً مستقراً، منذ عام١٤٤٥، حتى إنتهت آخر فصولها في عام ١٩١٦، بعد استشهاد السلطان علي دينار بجبل مرة، على يد القوات البريطانية. وتم الإطاحة بالسلطنة، وضمها للسودان المصري عام ١٩١٧.

وقد نشب نزاع مسلح في الإقليم، منذ بداية فبراير ٢٠٠٣، على خلفيات عرقية وقبلية. وأحد جانبي هذا الصراع يتألف من قوات حكومية سودانية، بالإضافة إلى مليشيات مسلحة مؤلفة من بعض بطون القبائل العربية، البدو الرحّل، معروفة باسم الجنجويد. والطرف الآخر جماعات متمردة تنتمى إلى سكان دارفورالأفارقة، من أهم تنظيماتها حركتا تحرير السودان، والعدل والمساواة. ولهذه الحرب بدايات مبكرة، حيث كانت هناك اشتباكات متكررة بين الجماعات العرقية المختلفة. ويحدث ذلك في الغالب بسبب الحقوق المتعلقة بالأراضي والمياة. وفي الثمانينيات من القرن العشرين، ظهرت حركة التفوق العربي. والشائع أنها كانت مدعومة آنذاك، من قبل

الزعيم الليبي معمر القذافي. وتعد مسألة الهوية في دارفور أمراً جوهرياً. ويترسخ فى وجدان القبائل الأفريقية من الفور، والزغاوة، والمساليت، أن الحكومة تنحاز إلى صف العرب. ولم يكن الدين أمراً خلافياً في هذا الشأن، فالجميع في دارفور مسلمون. ورغم أن الحرب بدأت في عام ٢٠٠٣، فإن حركات التمرد قد تشكلت قبل ذلك. وفي إبريل عام ٢٠٠٣، ضرب المتمردون مطار مدينة الفاشر، عاصمة ولاية شمال دارفور،التي تعد حاضرة الاقليم. وكان رد الحكومة السودانية الذي اعتمد على القوة الجوية ودعم ميليشيا الجنجويد عنيفاً بدرجة غير مبررة. وتعرضت قرى الفور والزغاوة والمساليت للقصف والحرق. وقُتل المدنيون فيها، واغتصبت النساء.

وفي عام ٢٠٠٨، قدرت الأمم المتحدة عدد القتلى بسبب الحرب بنحو ٣٠٠ ألف شخص. وتشكك الخرطوم بهذا الرقم. وقد وجهت المحكمة الجنائية الدولية للرئيس السوداني عمر البشير تهماً تتعلق بالإبادة الجماعية وارتكاب جرائم حرب وجرائم ضد الإنسانية في دارفور. وهناك فرص ضئيلة بشأن إعفاء السودان من ديونه الثقيلة، أو إلغاء العقوبات الأمريكية عليه، ما دام البشير في السلطة. ومع ذلك، فقد رفعت اتهامات المحكمة الجنائية الدولية من شعبية البشير في السودان وبعض الدول العربية والأفريقية.

وعلى الرغم من توقيع عدد من الجماعات المسلحة المتمردة على اتفاق سلام بالدوحة برعاية قطرية في عام ٢٠٠٦، إلا أنها تراجعت عن موقفها

بعد ذلك، وعادت إلى حمل السلاح مرة أخرى. وكانت وثيقة الدوحة قد تضمنت وعوداً بتقاسم الثروة والسلطة، وتنمية دارفور، وتعويض الذين عانوا خلال الحرب. إلا أن كل ذلك لم يدخل إلى حيز التنفيذ حتى الآن. ولا تزال ثلاث مجموعات مسلحة تحارب الحكومة حاليا. وفي أواخر عام ٢٠١١، انضمت الحركات الثلاث التي مازالت تحمل السلاح إلى متمردي الحركة الشعبية، قطاع الشمال، الذين يعملون في منطقة جنوب كردفان وولاية النيل الأزرق. وذلك في تحالف أوسع، يعرف باسم الجبهة الثورية السودانية. وقد أثار تشكيل الجبهة الثورية السودانية مخاوف حقيقية لدى الخرطوم. لكن هذه الجبهة لم تغير إلى حد كبير من الوضع العسكري على الأرض. وقد تفاقمت آثار هذه الحرب بين المتمردين والدولة. فبالرغم من أن حدة الحرب قد خفت، مقارنة بسنواتها الأولى، إلا أن معظم أنحاء دارفور لا تزال محفوفة بخطر شديد. ولا يزال أكثر من ١.٤ مليون من السكان المشردين يعتمدون على المساعدات الغذائية في المعسكرات المنتشرة في جميع أنحاء دارفور، بينما فرَّ الكثيرون خارج البلاد. وازدادت معدلات الإجرام الدموية والفوضوية في جميع أنحاء الإقليم. ورغم مرورأكثر من عشر سنوات على بداية هذه الحرب المدمرة في الإقليم، فحالة الجمود مستمرة. ولايوجد أملفي الأفق لنهاية القتال لأن المشكلات في دارفور لن تنتهي ما لم يوجد علاج للأسباب الكامنة وراءها.

خامساً: إقليم جنوب السودان (دولة جنوب السودان)

لا يعرف عن تاريخ جنوب السودان قبل عام ١٨٢٠ إلاَّ القليل. وبدأ كثيرمن الأوروبيين رحلاتهم لاكتشاف منابع النيل خلال فترة الحكم المصرى. وقبل عام ١٨٨٥، عيّن الخديوي إسماعيل، حاكم مصرحينذاك، بعض الأوروبيين كمديرين للمنطقة الإستوائية لخدمة توسيع ومد نفوذه فى تلك المناطق. وقد اشتهرت فترة الحكم المصري، وفترة حكم المهدية ١٨٨٥ – ١٨٩٩ بغارات جلب الرقيق من قبل أهل شمال السودان،التي قام بها بعض الأوروبيين والمصريين والعرب، مما نجم عنه شعور زائد بالكراهية. وولّد نفوراً شديداً تجاه الشماليين. وقد حُرِّمت تجارة الرقيق بعد الحكم الثنائي المصري الإنجليزي والقضاء على الثورة المهدية عام ١٨٩٩. وكانت الادارة البريطانية تمانع فى ضم الجنوب إلى الحكم الثنائى، وتتعامل معه باعتباره مستعمرة منفصلة. ويرجع ذلك فى تقديرهم إلى الاختلافات العرقية والدينية والثقافية بين الجنوب والشمال. إلا أن قيام الجنوب كدولة مستقلة جابهته تحديات كبيرة. وعقد مؤتمر جوبا فى عام ١٩٤٧، وقد نظمه البريطانيون لتقرير مستقبل جنوب السودان. وشارك فيه مندوبون من شمال وجنوب السودان. وكان لمندوبى الجنوبيين المشاركين فى المؤتمر تحفظات كثيرة على الإشتراك مع الشماليين فى كيان سياسي واحد. واشترطوا، فى حالة معالجة هذه التحفظات، أن يكون لديهم نوع من الحكم الذاتى الواسع. ولم ينته المؤتمر إلى موقف محدد. وحسم الموقف

فى النهاية بقرار من بريطانيا بضم إقليم الجنوب مع باقى أقاليم السودان فى كيان سياسى واحد.

وبعد جلاء قوات بريطانيا، وانفصال السودان عن مصرعام ١٩٥٦، واصل الجنوبيون مطالبهم بأن يكون لهم نظام فيدرالي خاص داخل الدولة السودانية الموحدة. ولكن الحكومات المتعاقبة ماطلت بشتى الذرائع. وكانت الحكومات التى تعد بتنفيذ تلك المطالب سرعان ما تنكص عن وعودها، وتتراجع عن التنفيذ. مما نتج عنه توتر العلاقة بين الشمال والجنوب، وتحولها إلى نزاع مسلح أصبح أطول حرب أهلية في أفريقيا.

ويمكن تقسيم هذه الحرب إلى مرحلتين.الأولى المعروفة باسم تمرد أنانيا، وكان صراعاً دائراً بين أعوام ١٩٥٥ إلى ١٩٧٢. وانتهى القتال باتفاق وقع في عام ١٩٧٢،أعطى الجنوب حكما ذاتياً، مع تعيين رئيس إقليمي للجنوب، من قبل الرئيس السوداني. وقد ساهم هذا فى تحقيق سلام نسبى. إلا أن إلغاءالرئيس النميرى للحكم الذاتي وإعلانه تطبيق ونشر الشريعة حتى فى الجنوب أدى إلى إطلاق شرارة الصراع بين الشمال والجنوب مجدداً. ووقعت الحرب الأهلية السودانية الثانية، أو حرب أنانيا الثانية، مابين أعوام ١٩٨٣—٢٠٠٥. وانتهت الحرب، التى قدر عدد ضحاياها بأكثر من ٢ مليون قتيلو٤مليون نازح مشرد، بتوقيع افاقية السلام الشامل بين حكومة السودان والحركة الشعبية لتحرير السودان عام ٢٠٠٥. واستقل الجنوب عام ٢٠١١ بعد استفتاء تلى الفترة الانتقالية التي نصت عليها الاتفاقية. وتشكلت دولة مستقلة جديدة بإسم دولة جنوب السودان. كان

يمكن أن يظل الجنوب منطقة ذات حكم ذاتي فى إطار السودان الموحد، كما كان يمكن تجنيب السودانيين قتل مليونينوتشريد ٤ملايين آخرين من أبنائهم، لو أن حكومات السودان الشمالية العربية قد التزمت بما أسفر عنه مؤتمر جوبا الذي عقد عام ١٩٤٧ وأوصى بمنح الجنوب حكماً ذاتياً.

وعودة إلى التطورات التى مرت بها أقاليم السودان الشمالي، ووصلت إلى تجميعها فى دولة واحدة لأول مرة فى التاريخ. فقد كان محمد علي باشا، والى مصر القوى المتطلع لتكوين إمبراطورية، قد أرسل جيشاً بقيادة إبنه إسماعيل في عام ١٨٢٠ لغزو السودان (الأراضى الواقعة جنوب مصر). ولم يقابل جيش إسماعيل أية عقبة حتى وصل إلى سنار عاصمة مملكة الفونج. وعندما اقترب إسماعيل من سنار، خرج إليه السلطان بادي السادس مبايعاً، وتنازل عن سلطانه لخليفة المسلمين (الذى كان محمد علي يفتح البلاد بإسمه). وهكذا انتهت سلطنة الفونج التي حكمت شمال وسط السودان من عام ١٥٠٤ – ١٨٢١، كماسقطت كردفان عام ١٨٢٢. وأحكم جيش محمد علي سيطرته على مناطق واسعة من شمال ووسط السودان، مرتكباً المجازرالبربرية. كما قام جنود جيشه الإنكاشارية والديلم المرتزقة، من بقايا الجيش العثماني، بالبطش والنهب، إلى أن ثار الرأي العام الأوروبي، فأمر محمد علي بإنهاء الحكم العسكري وإرساء نظام إداري أكثر إنسانية، وهى المرحلة التى بنيت فيها مدينة الخرطوم، وشهدت عمراناً واسعاً وقدرا كبيراً من الإستقرار.نجح محمد علي في ضم السودان حتى المناطق الاستوائية جنوباً، وكردفان غرباً حتى تخوم دارفور، وسواحل

البحر الأحمر وإريتريا شرقاً. وكان لمحمد علي وخلفائه دور فاعل في تشكيل السودان ككيان سياسي، على حدود مقاربة لحدوده الحالية، إلى أن قامت الثورة المهدية وأزالت الحكم المصرى. وحكمت المهدية السودان حكماً فيدرالياً، في الفترة ١٨٨٥ – ١٨٩٩. إلى أن تم الغزو الثانى للجيش المصري، ولكن بقيادة سلطات الاحتلال البريطاني عام ١٨٩٩، بادئاً مرحلة الحكم الثنائي،أو ما يعتبره السودانيون الاستعمار الإنجليزي المصري، بناء على توقيع اتفاقية الحكم الثنائي بين بريطانيا ومصر، وهى اتفاقيه حكم ثنائي لإدارة شؤون السودان. وقعتها الحكومه المصريه مع انجلترافى ظل الاحتلال البريطاني لمصر. وبموجب هذه الاتفاقيه أصبح لمصر حق رسمي فى المشاركة فى إدارة شؤون الحكم فى السودان مع بريطانيا، ورفع العلم المصريإلى جانب العلم البريطاني فى كل السودان، وتعيين حاكم عام للسودانبناء على طلب بريطانيا. وتمكنت بريطانيا من تشكيل الكيان السياسي النهائي المطابق لحدود السودان الحالية، بعد إنهاء سلطنة الفور، والقضاء على السلطان علي دينار عام ١٩١٦م. وبذلك خضعت دارفور لحكومة الخرطوم. وأعطت الحكومة البريطانية لحكام المناطق السودانيين وزعماء القبائل وشيوخها صلاحيات واسعة.

ولما كانت بريطانيا قد التزمت بإعطاء مستعمراتها حق تقرير المصير عقب إنتهاء الحرب العالمية الثانية، فإنها لعبت دوراً كبيراً في تقوية الاتجاه الاستقلالي. كما برز دور مؤتمر الخريجين عام ١٩٣٨، الذي كان بمثابة قيادة وطنية غير رسمية وبلا صلاحيات، إلا أنها كانت ذات أثر بالغ في

إذكاء الروح الوطنية. بالإضافة إلى أن الفاعليات الوطنية بدأت تأخذ أشكالاً عديدة ومختلفة، ظهرت في شكل روابط ثقافية، ومنتديات فكرية وأشكال أدبية وفنية، من أشعار وأغانضد الاحتلال. وعندما قامت ثورة يوليو بمصر في عام ١٩٥٢، وأطاحت بالحكم الملكي، وبدأ الوضع السياسي يتغير في كل المنطقة، أقرت مصر فى اتفاقية الجلاء، بحق تقرير المصير للسودانيين، وبإجراء استفتاء يقرر فيه السودانيون مستقبل بلادهم. وقد اختاروا الاستقلال، وأقر الرئيس جمال عبد الناصر بنتيجة الاستفتاء، ورحب باستقلال السودان، ومنحها السلاح والكوادر والجنود المصريين. وفي عام ١٩٥٥، بدأت المفاوضات بين حكومتي الحكم الثنائي إنجلترا ومصر بشأن تشكيل لجنة دولية تشرف على استفتاء تقرير المصير في السودان. وضمت كلاً من باكستان والسويد والهند وتشكوسلوفاكيا وسويسرا والنرويج ويوغسلافيا السابقة. واجتمع البرلمان السوداني لإجازة أربعة مقترحات حددت مطالب البلاد، وهي: الاستجابة لمطالب الجنوبيين بالفيدرالية، وإعلان الاستقلال، وتشكيل لجنة السيادة، وتكوين جمعية تأسيسية. تم تأجيل مطالب الجنوبيين بإقامة حكومة فيدرالية للمديريات الجنوبية الثلاث، بحر الغزال وأعالي النيل والاستوائية،على أنهأن تؤخذ في الاعتبار فيما بعد، وتمت إجازة المقترحات الثلاثة الأخرى. وتم إعلان الاستقلال رسمياً وقيام جمهورية ديمقراطية مستقلة في ١ يناير ١٩٥٦. ولم يتم الاتفاق، في الفترة التي سبقت الاستقلال وما بعدها، على نمط معين من الحكم. فتم اختيار لجنة من قبل البرلمان من خمسة نواب

أحدهم جنوبي،، لتمارس سلطات رأس الدولة بموجب أحكام دستورمؤقت أقره البرلمان حتى يتم انتخاب رئيس للدولة بمقتضى أحكام دستور دائم.
ولكن الجيش فاجأ الجميع بإنقلاب عسكرى بقيادة الفريق إبراهيم عبود، واستولى على السلطة في ١٧ نوفمبر ١٩٥٨، فى أول ضربة لنظام الحكم الوليد. خاصة وأن أول قراراته كانت حل الأحزاب، والإعلان عن مجلس عسكري لحكم السودان. مما عبر عن مدى عمق أزمة الحكم في السودان منذ البداية.حيث إنه كلما تأزم الوضع في البلاد، تتجه الأنظار نحو الجيش، طلباً للخلاص من الأزمة. مما أدخل البلاد فى سلسلة من الانقلابات العسكرية، وصل عددها إلى ١٣ انقلاباً منذ الاستقلال حتى إنقلاب البشير عام ١٩٨٩، بمعدل انقلاب كل سنتين ونصف. أصابت هذه الانقلابات الدولة بالعجز والفشل،أافقدت المجتمع القدرة على بناء نظام سياسي يلبى تطلعات المواطنين ويعبر عن التركيبة السكانية المتنوعة فى أقاليم السودان المتباينة. كما أفقدته القدرة على النمو وتحسين مستوى معيشة المواطنين. وكان آخر هذه الانقلابات في عام ١٩٨٩، حيث قاد العميد عمر البشير إنقلاباً عسكرياً أطاح بحكومة مدنية برئاسة الصادق المهدي زعيم حزب الأمة. وأصبح البشير رئيساً لمجلس قيادة ثورة الإنقاذ ذات الاتجاه الإسلامى، ثم رئيساً للجمهورية إلى الآن، فى ظل مناخ سياسي مضطرب تسوده الحروب الأهلية وحركات التمرد والانتفاضات الشعبية، والتوترات السياسية التى أدت أحداثها إلى أن وجهت المحكمة الجنائية الدولية لعمر البشير سبعة اتهامات، منها ارتكاب جرائم ضد

الإنسانية والترحيل القسري والتعذيب. وتوجد تهمتان من جرائم الحرب، منها قيادة الهجمات ضد السكان المدنيين، وجرائم إبادة جماعية .

أينما ينظرالمرء إلى أحوال الأقاليم المكونة للدولة السودانية، يذهله حجم الهواجس التى تسكن وجدان وذهن نخبة مجتمع الأقليم الشمالي وطبقته السياسية التى ترى خلف كل مطالب بحق تقرير المصير أو مخالف لأفكارها ومعتقداتها شخصاً أجنبياً شريراً يضلله، وأن الاستجابة لمطالبه إذعان ورضوخ للأجانب الكفار أو الاستعماريين أو الامبرياليين الصهاينة أو الشيوعين،بحسب الانتماء السياسي للفصيل الحاكم. وعندما لايجد المعارض بداً من حمل السلاح، يتحول إلى عدو لله والوطن، يستحق تدمير أراضيه وتشريد عشيرته وطائفته إلى الدرجة التى يستحيل معها أن تخف المرارة وتندمل الجروح. حتى دخلت البلاد فى نفق مظلم. ومالم تتخلص النخبة والطبقة السياسية العربية من هواجسها، لن نرى فى نهاية النفق المظلم سوى وطن مفتت وطبقة سياسية ملقاة فى مزبلة التاريخ.

المراجع

http://www.alrakoba.net/articles-action-show-id-40300.htm إقليم البجة،تقرير لبكر الصايغ

http://www.skynewsarabia.com/web/tag?s=ولاية%٢٠النيل%٢٠الأزرق تقارير عن مناطق النيل الأزرق وكردفان

http://www.elwatannews.com/news/details/42497 تقريرعن الحرب بين الشمال والجنوب

http://www.startimes.com/f.aspx?t=16255067 تجميع محمد على لأقاليم السودان

http://www.sudanway.sd/history_EgyptianEnglishRule.htm الحكم الإنجليزى المصرى

دولة ليبيا

دولة ليبيا (وهو الاسم الرسمى لها فى المرحلة الانتقالية)، تقع في شمال أفريقيا، على الساحل الجنوبي للبحر الأبيض المتوسط. تحدها من الشرق مصر، ومن الجنوب الشرقي السودان، ومن الجنوب تشاد والنيجر، ومن الغرب الجزائر ومن الشمال الغربي تونس. تملك أطول ساحل بين الدول المطلة على البحر المتوسط، يبلغ طوله حوالي ١,٩٥٥ كم. وبلغ عدد سكانها ٦,٥٩٧ مليون نسمة، فى تعداد ٢٠١٠. وقد سميت هذه المنطقة بهذا الاسم عندماعرّف قدماء المصريين الأقوام التي تقطن إلى الغرب من مصر بالليبيين. حيث كانت القبيلة التي تعيش في المنطقة المتاخمة لمصرهي قبيلة الليبو. وقد ورد ذكر هذه القبيلة لأول مرة في النصوص المصرية فى القرن الثالث عشر قبل الميلاد، ومناسمها اشتق إسم ليبيا. وقد عرف الإغريق هذا الاسم عن طريق المصريين، ولكنهم أطلقوه على كل شمال أفريقيا إلى الغرب من مصر. وتكونت فى هذه المنطقة ثلاثة أقاليم: إقليم برقة ويشمل النصف الشرقي من ليبيا الحالية؛ إقليم طرابلس ويشمل الجزء الشمالي الغربي؛ إقليم فزان ويشمل الجزء الجنوبى الغربى. وسنتناول كيفية نشأة وتطور هذه الأقاليم حتى منتصف القرن العشرين عندما شكلت أول دولة مركزية فى ليبيا :

أولا : إقليم برقة

هذه التسمية الأمازيغية "برقة"، مشتقة من باركي (Barce)، مدينة المرج الحالية، وهي مدينة رومانية كانت عاصمة للإقليم. وقد سمى الأقليم ومدنه بأسماء متعددة طبقاً للعصور والحقب التاريخية التى مرت عليه، منها "قورينائية" و"بنتابوليس". وقد بلغت بعض القبائل التي كانت تعيش فى منطقة الحدود مع مصر درجة من القوة مكنتها من حكم مصر وتكوين أسرة حاكمة، هي الأسرة الثانية والعشرون، التي حكمت مصر من القرن العاشر إلى القرن الثامن ق. م. هاجر الإغريق من جزيرة كريت إلى ساحل برقة، وبنوا عدة مستعمرات. وبدأ الاحتلال الإغريقي لإقليم برقة٦٣١ق.م. وقد أسسوا مع السكان المحليين عدة مدن، منها برقة وبنغازى. وأصبح الإقليم يضم عدداً من المدن المستقلة عن بعضها البعض. وقد عانى الإقليم من الاضطرابات السياسية، وازدياد خطر هجمات القبائل الأمازيغية على المدن وتصارع المدن فيما بينها. وبعد أن حكم البطالمة مصر، استولواعلى الإقليم سنة ٣٠٠ ق.م. وساد به الهدوء النسبي، وتكون إتحاد إقليمي يضم مدنه، وتمتع بالاستقلال الداخلي. وبقيت برقة تحت الحكم البطلمي، حتى تم التنازل عنها لروما سنة ٩٦ ق.م.وأصبحت مقاطعة رومانية، لديها مجلس حكم خاص بها. وفي عام ٢٩٦ م تم تقسيم برقة إلي قسمين: (ليبيا الرئيسية) و(ليبيا السفلي)، وكلتاهما ضمتا إلي "بطريركية مصر"، وفى عام ٣٦٥مانتقلت تبعية الإقليم إلى الإمبراطورية البيزنطية.كانت برقة بعد دخول العرب فى القرن السابع الميلادي، محطة

للجيوش الإسلامية وللمسافرين في الطريق إلى المغرب الكبير والأندلس. وقد استقر بها بعض أبناء القبائل العربية من بني سليم وبني هلال، بداية من عام ١٠٥١م،إلا أنهم واصلوا رحلتهم بعد ذلك إلى بلاد المغرب. ويقول إبن خلدون فى مقدمته: "... أما برقة فتحطمت معالمها وخربت أمصارها وانقرض أمرها. وأصبحت مجالاً للعرب الوافدة عليها بعد أن كانت دارا للواتة وهوارة وغيرهم من الأمازيغ. وكانت بها الأمصار المستبحرة مثل لبدة وزويلة وبرقه وقصر حسان وأمثالها، فعادت يباباً ومفاوز كأنها لم تكن".

واختفى ذكر برقة من كتابات الرحالة والإخباريين، حتى احتلها الإيطاليون خلال الحرب الإيطالية التركية ١٩١١. واجهت القوات الإيطالية في ليبيا مقاومة عنيفة. والتحم المجاهدون بالأتراك. وشكلوا قوة عسكرية ضاربة. وأدركت إيطاليا عجزها عن إتمام احتلال بقية الولاية. ولذلك قررت أن تهاجم الدولة العثمانية في مراكزها الضعيفة بالبحر المتوسط، حتى رضخت السلطنة التركية، وتنازلت رسمياً عنها لإيطاليا بعد معاهدة أوشي التى وقعت بين إيطاليا وتركيا في عهد رجال الاتحاد والترقي. وعقدت في أوشي Ouchy من ضواحي لوزان بسويسرا في ٣ أكتوبر ١٩١٢. وبموجبهذه الاتفاقية انسحبت الدولة العثمانية من ليبيا، وتركت أهلها وحدهم، وجهًا لوجه أمام الإيطاليين. وقد نصت الاتفاقية على أنّه خلال ثلاثة أيّام، يلتزم السّلطان التّركي بمنح الاستقلال الذّاتي لطرابلس وبرقة، ووافقت الحكومة الإيطالية على أن يعين السّلطان التّركي القضاة في ليبيا والكف عن إرسال الأسلحة والذّخائر والجنود والضّباط إلى طرابلس

وبرقة.وقد شكلت المستعمرة في ١٩٢٧ حتي ١٩٣٤ من إقليمين، يدير كلا منهما حاكم خاص. وفي سنة ١٩٣٤ اعتمدت إيطاليا اسم ليبيا، كاسم رسمي للمستعمرة (وهو الاسم الذي استخدمه الإغريق لوصف شمال أفريقيا بأكمله عدا مصر). وتتكون من ثلاث محافظات هى برقة وطرابلس وفزان. وتدار المستعمرة من خلال أربعة أقاليم: إقليم طرابلس وعاصمته طرابلس. إقليم بنغازي وعاصمته بنغازي. إقليم درنة وعاصمته درنة. إقليم مصراتة، وعاصمته مصراتة، بالإضافة إلىإقليم منطقة الصحراء الليبية، وعاصمتها هون.

وقد أعيد نقسيمم تلك الأقاليم إلى مناطق، حيث صدر في ٩ يناير ١٩٣٩ مرسوم بقانون حوّل تلك الأقاليم إلى مناطق تابعة للمملكة الإيطالية. وبذلك ألحقت ليبيا قانونياًبإيطاليا الكبرى، وسمي ساحلها باسم الشاطئ الرابع (Quarta Sponda). وأضحت قرى ومدن المستعمرة بلديات إيطالية، ويديرها رئيس بلدية أو (podestà). اتخذ النظام الفاشي موقفاً متشدداً ضد الوطنيين الليبيين العرب الذين كانوا يقاتلونهم لسنوات طويلة في حرب عصابات في برقة تحت قيادة عمر المختار.

وقد قام دكتاتور إيطاليا الفاشي بنيتو موسوليني بقمع حركة المقاومة. وأعدم عمر مختار سنة ١٩٣١. بعد ذلك انتهج سياسات لجذب ثقة القادة العرب. وقد نجح أيما نجاح،لدرجة أن انضم ٣٠ ألفاً من الليبيين من العرب والبربر إلى الجيش الإيطالي سنة ١٩٤٠، وقاتلوا بشجاعة دفاعاًعن الشاطئ الرابع لايطاليا الكبرى، بين عامي ١٩٤٠ و ١٩٤٣. بعد إنتهاء

الحرب وهزيمة إيطاليا، تركت قضية التصرف في المستعمرات الأيطالية للدول الأربع الكبرى التي وقعت معاهدة الصلح مع أيطاليا. فوقعت برقة وطرابلس في الفترة من ١٩٤٣ حتي ١٩٥١ تحت الإدارة البريطانية، بينما خضعت فزان للسيطرة الفرنسية، حيث تخلت إيطاليا عن جميع مطالباتها بليبيا. ثم في ٢١ نوفمبر ١٩٤٩، أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة قراراً ينص علىأن ليبيا يجب أن تصبح مستقلة قبل ١ يناير ١٩٥٢.

فى عام ١٩٤٩ أعلنت إمارة برقة الاستقلال عن المملكة المتحدة تحت حكم الأمير إدريس السنوسي، وذلك في مؤتمر وطني عقد في بنغازيفي ١ يونيو ١٩٤٩.

ثانيا : إقليم طرابلس

إقليم طرابلس هو منطقة في الشمال الغربي من ليبيا الحالية. سكن المنطقة قديماً الأمازيغ. وفي القرن السابع قبل الميلاد استوطنها الفينيقيون في مستعمرات على الساحل. ولاحقاً أصبحت تحت سيطرة قرطاج التي إستولت عليها في عام ١٤٦ ق.م. ثم استولى عليها الرومان، لتنضم إلى تونسويشكلا معا إقليم أفريقيا المزدهر. وقد استولى عليها الوندال فى عام ٤٣٥م، لتكون تحت سيطرة الإمبراطورية البيزنطية في القرن السادس الميلادي.وأصبحتالمدينةتحتالحكمالعربيبعدذلك كولاية مستقرة،ماعدا الفترة من ١١٤٦–١١٥٨،عندمااستولىعليهاالنورمانالصقليون.وكانت في بداية القرن السادس عشر،كمعظم موانى الساحل الجنوبى للبحر المتوسط،ملاذاً

آمنا للقراصنة. وصارت طرابلس تحت حكم الدولة العثمانية منذ عام ١٨٦٤. وكانت تعرف باسم إيالة طرابلس غرب، وتعرف أيضاً باسم مملكة طرابلس، بالرغم من أنها لم تكن مملكة بالفعل، سوى حين حكمتها الأسرة القرمانلية، من عام ١٧١١ حتى ١٨٣٥، كملكية وراثية بسياسة الأمر الواقع. لكنها كانت إيالة عثمانية، يحكمها باشا حاكم، بالإضافة إلى الأراضي المركزية الرئيسية، فقدكانت تعتبر جزءاً من ولاية طرابلس، وكان يحكمها باشا طرابلس.

فى عام ١٩١١ احتلتها إيطاليا عقب الحرب التركية الإيطالية، وتلى ذلك التوقيع على معاهدة أوشي (ملحق معاهدة لوزان) بين إيطاليا والإمبراطورية العثمانية فى عام ١٩١٢.وتنازلت تركيا بموجبها عن برقة وطرابلس.

فى عام ١٩٥٤، بلغ عدد سكان الإقليم ٧٣٨,٠٠٠ نسمة يشكلون ٦٨% من سكان ليبيا. وفى عام ٢٠٠٦ بلغ ٣,٦٠٠,٠٠٠ نسمة يشكلون ٦٣% من السكان.

ثالثا : إقليم فزان

فزان هي منطقة في الجنوب الغربي من ليبيا الحالية. معظمها أراض صحراوية، تكثر بها الجبال الصخرية والمرتفعات والوديان في الشمال. كما تكثر بها الواحات المنتشرة في الصحراء الكبرى، التي تعتمد عليها بعض القرى في مصادر المياه. والمصدر الرئيسي للمياه بفزان هو المياه الجوفية. ويغطى بحر الرمال مساحات واسعة منها. كما يوجد بها

احتياطي كبيرمن البترول. ومنذ القرن الخامس ق.م وحتى القرن الخامس الميلادي، كانت فزان موطن مملكة جرمة، وهي "مدينة – دولة" أمازيغية، ظلت مزدهرة ومهابة لأكثر من ألف عام، تدير طرق تجارة الصحراء الكبرى مع القرطاجيين والإمبراطورية الرومانية لاحقاً، وبين دول غرب ووسط أفريقيا. ورغم دخول الإسلام مع قوافل التجارة، كغالبية شأن المراكز المحيطة بطرق القوافل بالصحراء الكبرى، إلا أن السكان الأمازيغ هم الغالبية حتى الآن. وخلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر، نشأت دولة تسمي أولاد أمحمد على أجزاء من فزان. وكانت عاصمتها مدينة مرزق، الموجودة حتى الآن. إلى أن سيطر حكام شمال أفريقيا العثمانيين على المنطقة في القرن السابع عشر، بعد حروب خاضوها مع حكام دولة أولاد أمحمد.وفي أوائل ١٩١١ احتلت فزان من قبل إيطاليا، حيث ووجه الإيطاليون بالمقاومة من قبل القبائل الأمازيغية. وأثناء الحرب العالمية الثانية قامت قوات فرنسا الحرة بطرد القوات الإيطالية إحتلال مرزق في ١٦ يناير ١٩٤٣. وظلت المنطقة تحت السيطرة العسكرية الفرنسية، حتى ١٩٥١، حين أصبحت فزان ولاية ضمن المملكة الليبية المتحدة. وفى عام ١٩٥٤ بلغ عدد سكان فزان ٦٠,٠٠٠ نسمة يشكلون ٥,٥% من سكان ليبيا. وفى عام ٢٠٠٦ بلغ عدد السكان ٤٤٢,٠٠٠ نسمة يشكلون ٧,٨% من السكان.

بعد إنهزام ايطاليا فى الحرب العالمية الثانية، احتلال شمال افريقيا من قبل قوات الحلفاء حتى عام ١٩٤٧، صار إقليما طرابلس وبرقة تحت إدارة المملكة المتحدة اعتبارا من عام ١٩٤٧.وفي هذه الأثناء ظهر مشروع بيفن- سفورزا، وهو اتفاق سرى كان قد جرى بين وزير خارجية بريطانيا أرنست بيفن ووزير خارجية إيطاليا كارلو سفورزا، وفيه تم الاتفاق بين الدولتين على أن تحصل ليبيا على استقلالها بعد عشر سنوات، على أن توضع أقاليم ليبيا الثلاثة، خلال هذه الفترة، تحت وصاية دولية.حيث تتولى بريطانيا الوصاية على برقة، وتتولى إيطاليإدارة طرابلس، وتتولى فرنسا إدارة فزان. وقدم المشروع للأمم المتحدة، للتصويت عليه أمام الجمعية العامة في ١٧ مايو ١٩٤٩.وولتمريره كان يتطلب موافقة ثلثي الأعضاء الحاضرين وعددهم ٥٨ دولة. وكان صوت ممثل دولة هايتي لدى الأمم المتحدة هو المرجح الذي أدى إلى سقوط المشروع. ثم في ٢١ نوفمبر ١٩٤٩، تبنت الجمعية العامة للأمم المتحدة قراراً، اقترحته وفود الهند والعراق وباكستان والولايات المتحدة، ينص على أن ليبيا يجب أن تصبح مستقلة قبل ١ يناير ١٩٥٢. فصوت لصالح القرار ٤٨ صوتاً ومعارضة الحبشة وغياب تسع دول منها فرنسا وخمس دول شيوعية.

وفي ٢٤ ديسمبر ١٩٥١، أعلنت ليبيا استقلالها تحت اسم المملكة الليبية المتحدة، بنظام ملكي دستوري وراثي. وقد أقرت الجمعية الوطنية الليبية الدستوربمدينة بنغازي في ٧ أكتوبر ١٩٥١. ونصت مقدمتة على: "نحن ممثلي شعب ليبيا، من برقة وطرابلس الغرب وفزّان، المجتمعين بمدينة

طرابلس فمدينة بنغازي في جمعية وطنية تأسيسية بإرادة الله . تم الاتفاق وعقد العزم على تأليف اتحاد بيننا تحت تاج الملك محمد إدريس المهدي السنوسي، الذي بايعه الشعب الليبي، ونادت به هذه الجمعية الوطنية التأسيسية، ملكاً دستورياً على ليبيا. وعلى تكوين دولة ديمقراطية مستقلة ذات سيادة، تؤمن الوحدة القومية، وتصون الطمأنينة الداخلية، وتهيئ وسائل الدفاع المشتركة، وتكفل إقامة العدالة، وتضمن مبادئ الحرية والمساواة والإخاء، وترعى الرقي الاقتصادي والاجتماعي والخير العام. وبعد الاتكال على الله مالك الملك، وضعنا وقررنا هذا الدستور للمملكة الليبية المتحدة". وقد أُلغي الفصل الثالث المنظم للحقوق الفيدرالية، بفرعيه الأول والثاني بالقانون رقم ١ لسنة ١٩٦٣، ويشمل المواد ٣٦ و ٣٧ و ٣٨ و ٣٩ من الدستور.وقد كان ينص على أن ليبيا دولة ملكية فيدرالية تتكون من ثلاث ولايات هي: برقة وطرابلس الغرب وفزّان، وعلى توزيع الصلاحيات بين السلطات الفيدرالية وبين سلطات الأقاليم المحلية (المادة٣٩)، بحيث حددت صلاحية الأولى على سبيل الحصر في المادة ٣٦، وتتولى سلطات الأقاليم الصلاحيات الأخرى غير المنصوص عليها في الدستور بالنسبة للسلطات الفيدرالية التي حصرت صلاحياتها في الآتي: الشؤون الخارجية والعسكرية، التجارة الدولية، الهجرة والضرائب والجنسية، والقانون العسكري، والسياسة العلمية، والنقل العام، والبنك الاتحادي والسياسة المالية والاقتصادية، والشرطة والتعليم العالي. كما نص الدستور (المادة ٣٨) على بعض الصلاحيات،المخولة للسلطات التنفيذية

للأقاليم الثلاثة تحت إشراف السلطة التشريعية الفيدرالية، بهدف التنسيق بينها، بحيث تتولى الأخيرة عملية التنسيق بين السلطات الثلاث فيما يتعلق بالمسائل التالية: الشركات والبنوك والملكية الفكرية، وضريبة الدخل، والموازين والمقاييس، والإحصاء السكاني، والموانئ الجوية والبحرية، والقانون المدني والتجاري والجنائي، والإعلام، والعمل والضمان الاجتماعي، والتعليم العام، والصحة العامة.

وفي ٢٤ ديسمبر ١٩٥١ أعلن قيام المملكة الليبية المتحدة، مملكة مستقلة، تتكون من ثلاثةأقاليم، هي برقة وطرابلس وفزان، لتكون مملكة دستورية فيدرالية ديمقراطية وراثية، وليصبح إدريس الأول ملكاً عليها، وعاصمتيها مدينتي طرابلس وبنغازي، بالتناوب بشكل مؤقت إلي ١٩٦٤. ومن ثم تنتقل العاصمة إلي مدينة البيضاء ذات الموقع المتوسط،والتي كان العمل جارياً على بنائها، لتكون عاصمة لليبيا بمقتضي الدستور. وبعد أن كانت ليبيا تعد واحدة من أفقر دول العالم، تحولت إلى دولة ثرية بفضل إكتشاف احتياطيات نفطية كبيرة في عام ١٩٥٩. بعد ذلك (وقد يكون بسبب ذلك)، تم تعديل الدستور، وألغى النظام الاتحادي الفيدرالى عام ١٩٦٣.وأصبح نظام الحكم مركزياً، تمارس مهامه من العاصمة، التي تمركزت في طرابلس، حيث مقرالملك وقيادات الدولة والوزارات والسفارات.

في ١ سبتمبر عام ١٩٦٩، نظمت مجموعة صغيرة من ضباط الجيش بقيادة العقيد معمر القذافي، البالغ من العمر حينئذ ٢٧ عاماً،انقلاباً ضد الملك إدريس السنوسى، وأطلق ماعرف لاحقاً باسم ثورة الفاتح من

سبتمبر .وتم الإشارة لمعمر القذافي بوصفه "الأخ القائد" أو "مرشد الثورة"، في التصريحات الحكومية والصحافة الليبية الرسمية. وفي عام ١٩٧٧،تغير اسم ليبيا رسمياً ليصبح "الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية"،أضيفت له صفة"العظمى" في ١٩٨٦. وأعلن القذافي تسليمه السلطة رسمياً إلى اللجان الشعبية العامة، حيث ادعى أنه (من الآن فصاعداً لن يكون أكثر من رئيس صوري رمزي). لكن منتقديه المحليين والدوليين قالوا إنه استحوذ على سلطات مطلقة غيرمحدودة. كما لم يُسمح بالمعارضة السياسية في النظام الجديد، إلى أن وصل الأمر إلى اتخاذ عقوبة الإعدام ضد أعداء الثورة. وقد خاض القذافى العديد من المشاريع الوحدوية مع جاراته العربية والإفريقية، منها: ميثاق طرابلس الوحدوي في ٢٧ ديسمبر ١٩٦٩ بين مصر والسودان وليبيا؛ اتحاد الجمهوريات العربية ١٧ أبريل ١٩٧١، باعتبارها النواة الأساسية لتحقيق الوحدة الشاملة بين سوريا ومصر وليبيا، وذلك في عهد أنور السادات وحافظ الأسد ومعمر القذافي؛ الوحدة الاندماجية بين ليبيا ومصر سنة ١٩٧٢؛ الجمهورية العربية الإسلامية فى١٢ أبريل ١٩٧٤ بين ليبيا القذافي وتونس بورقيبة، وعرف ببيان جربة؛ بيان حاسي مسعود الوحدوي بين ليبيا والجزائر ٢٨ ديسمبر ١٩٧٥؛ الوحدة الاندماجية بين ليبيا وسوريا ١٩٨٢؛ الاتحاد العربي الأفريقي في ١٨ اغسطس ١٩٨٤ بين ليبيا والمغرب وعرف ببيان وجدة الوحدوي؛ اتحاد المغرب العربي؛ تجمع دول الساحل والصحراء؛ الاتحاد الأفريقى في فبراير عام ١٩٧٧. كمابدأت ليبيا فى تقديم إمدادات

عسكرية لقوات المتمردين في شمال تشاد. ثم قامت بغزوها في وقت لاحق من ذلك العام. وقد خاضت ليبيا ومصر حرباً حدودية استمرت أربعة أيام، من ٧/٢١ – ٧/٢٤ عام ١٩٧٧، عُرفت باسم الحرب الليبية المصرية. وقد فقد المئات من الليبيين أرواحهم في الحرب الأهلية التي وقعت في تنزانيا. وكانت ليبيا طرفاً في غالبية النزاعات والحروب الأهلية التى نشبت فى أفريقيا والشرق الأوسط ، بل أحيانا فى العالم. كما قامالقذافي أيضاً بتمويل العديد من المجموعات والحركات الإرهابية والثورية التى اعتبرها معادية للاستعمار. وقد فشلت غارة جوية امريكية لقتل القذافي في عام ١٩٨٦. وتم وضع ليبيا تحت عقوبات دولية من الأمم المتحدة، بعد تفجير رحلة طيران تجارية، قتل فيها مئات المسافرين. وأعطى القذافي نفسه لقب "ملك ملوك أفريقيا" في عام ٢٠٠٨، كجزء من حملته لإقامة الولايات المتحدة الافريقية.

وفي فبراير ٢٠١١، وبعد نجاح الثورة في كل من تونس ومصر في الإطاحة برئيسيهما، قام المواطنون الليبيون فى بني غازي بمظاهرات سلمية على حكم العقيد معمر القذافي. غير أن القذافي تعامل معها بعنف شديد، في محاولة لقمعها.وكان أن تحول الأمر إلى "حرب مسلحة" بعد إنضمام أعداد كبيرة من أفراد الشرطة والجيش الليبيين إلى الثورة الشعبية. كما سقطت جميع المدن الشرقية، وبعض المدن الغربية بالكامل، تحت سيطرة الثوار. وشكلوا فيها حكومة مؤقته برئاسة وزير العدل المستقيل

مصطفى عبد الجليل. وبعد أن تمكنت قوات القذافي من الوصول إلى مشارف بنغازي معقل الثوار، أصدرمجلس الأمن قراراً يقضي بفرض حظر جوي على ليبيا لحماية المدنيين في١٨مارس ١٩١١. وفى٢٤ مارس أكدالأمينالعاملحلفشمالالاطلسي (الناتو) موافقةالحلفعلىفرضمنطقةحظرجويعلىليبيا "لحمايةالمدنيين". ثم اقتصرت الحرب على مناطق مصراتة وجبل نفوسة في الغرب الليبي. وساندت الثوار فيها القوات الدولية بالقصف الجوى والصواريخ. وبحلول أكتوبر سقط آخر معاقل القذافي في بني وليد. وقتل القذافي مع عدد من أبنائه في ٢٠ أكتوبر، عندما سقط آخر معاقله في سرت. في ٧ يوليو ٢٠١٢، صوت الليبيون في أول انتخابات برلمانية. في ٨ أغسطس ٢٠١٢، سلم المجلس الوطني الانتقالي رسمياً السلطة إلى المؤتمر الوطني العام المنتخب والذي أسندت إليه مهمة تشكيل حكومة مؤقتة وصياغة دستور ليبيا الجديدة. ثم رأى المجلس تشكيل لجنة مستقلة (لجنة الستين) لتقوم بوضع دستور للبلاد، ويتم إقرار الدستور في استفتاء عام. إلا أن مسار الثورة آخذ فى التعثر. فعلى الرغم من أن ليبيا تخلصت من حكم الاستبداد والديكتاتورية، لا تزال تعاني من تحديات أمنية خطيرة. الأمر الذي حول الصراع السياسي بين الأحزاب السياسية إلى صراع مسلح بين ميليشيات، بالإضافة إلى بعض الجماعات المسلحة التابعة لبعض القبائل،وهو ما

يخلق حالةمن الهشاشة الأمنية، أدت إلى عجزالدولة الليبية عن فرض هيبتها، في ظل ضعف وغياب الأركان العامة لأى دولة: الجيش، والأمن، والقضاء، والمخابرات. وتفشت ظاهرة الاختطاف والتعذيب وعمليات السلب والنهب، كما أن بعض الكتائب التابعة لقوى الإسلام السياسي تقوم بأعمال التفتيش داخل طرابلس، وترهب الأهالى وتقطع الطرق. وهناك ارتفاع في أعداد المشردين بسبب فقدانهم لمنازلهم إثر الثورة. كما تفاقمت مجموعة من المشاكل البيئية، تتمثل في انتشار الأمراض الناتجة عن تلوث المياه بسبب التفجيرات التي كانت تشهدها البلاد، مع مخاطر الألغام المزروعة فى كل مكان والأسلحة ومخلفات الحرب والذخائر، فى غيبة المؤسسات الاجتماعية والطبية القادرة على التعامل مع هذه الظواهر. وتواجه ليبيا العديد من المشاكل الاقتصادية، بفعل سيطرة المليشيات والجماعات المسلحة على عدد من المناطق والمؤسسات الاقتصادية المهمة، ومنها المؤسسات النفطية التي توفر أكثر من ٩٦% من عائدات ليبيا. الأمر الذي يكلفها خسائر ضخمة في مجال صناعة النفط، بحيث هبط إنتاجه بشكل حاد في يوليو ٢٠١٣إلى معدل ١,٤ مليون برميل يومياً، تسيطر المليشيات على معظمها، بينما كان المعدل فى ٢٠١٠ يصل إلى ٣مليون برميل يومياً، مما أدى إلى مواجهة الحكومة لمشكلة في إعداد ميزانية سنة ٢٠١٤ بسبب تقهقرالإيرادات النفطية. وهو ما كلف الخزينة العامة خسائر

وخيمة. كما تراجعت قيمة الدينار الليبي إلى نصف قيمته. وعرف المجتمع الليبي سلسلة من الفوضى بين القبائل، بحيث تم تهميش فئة من المواطنين وإلغاء وجودهم في السياسة وحضورهم في صناعة القرار.

ولم تتمكن الطبقة السياسية الليبية،متمثلة فى المجلس الوطني الانتقالي والمؤتمرالوطنى العام المنتخب الذى تبعه، من التعامل مع هذه الأوضاع التى استجدت. ولم تتمكن من جمع الشعب الليبي تحت راية سلطة مركزية واحدة. وفشلت في تحقيق تماسك وتلاحم مختلف القبائل والعشائر الليبية والتيارات الدينية.وعليه،أصبح المشهد السياسي الليبي فوضوياً، بحيث أن غالبية أعضاء المؤتمر الوطني أظهروا إيثاراً لمصالحهم العقائدية والحزبية الضيقة، كما أظهرواعدم درايتهم بالتركيبة القبلية للبلاد، وشكلوا جماعات مسلحة في مناطق مختلفة، هدفها إسقاط الحكومة وكافة سلطات الدولة،بديلا عن الإدارة السلمية للصراعات السياسية، وجعلوا البلاد تعيش فى دوامة من الصراعات المسلحة.

كما أنه فى ظل هذه الأجواء فإن دعوات الحكم الذاتي التيتنادى بها قطاعات كبيرة من أهالى برقة وأمازيغ فزان تكاد تفقد مشروعيتهاكنتيجة لفقدانها لسلميتها. وكل الأملفي أن التضحيات التى بذلها الشعب الليبي، ومازال يبذلها، ستقوده إلى تحقيق أهدافه طال الزمن أو قصر.

المراجع

http://almgarba.blogspot.com/p/blog-page_15.html تاريخ برقة وطرابلس

http://www.startimes.com/f.aspx?t=18573945 الاحتلال الإيطالى

https://www.facebook.com/permalink.php?id=195146877237179&story_fbid=458316957586835أتفاقية أوشى، بين تركيا وإيطاليا

http://tamimi.own0.com/t75654-topic إستقلال ليبيا

http://www.libyanconstitutionalunion.net/dosstoor.htm الدستور الليبى المؤسس للمملكة الليبية المتحدة

http://www.libya-al-mostakbal.org/news/clicked/34530 الإنقلاب الدستورى والغاء الفيدرالية

http://www.bbc.co.uk/arabic/middleeast/2011/03/110324_libya_developments منطقة الحظر الجوى أثناء الثورة

http://www.startimes.com/f.aspx?t=33733818 الموقف الرهن فى ليبيا.